# لِقَاءَاتٌ صَحَفِيَّةٌ

## فِي قَضَايَا الفِكْرِ وَالحَيَاةِ الإِسْلَامِيَّةِ

- صراع الحضارات.
- قضية نقد العقل المسلم.
- الثوابت والمتغيرات ومفهوم الحداثة.
- السبيل إلى توحيد الشعوب الإسلامية.
- المخطوطات ودورها وأهمية التحقيق.
- العولمة وفرض النموذج الغربي.
- المحن المعاصرة للشعوب العربية والإسلامية... ولقاءات أخرى متعددة




تأليف

أ. د. عماد الدين خليل



دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

# لقاءات صحفية

## في قضايا الفكر والحياة الإسلامية

• صراع الحضارات.
• قضية نقد العقل المسلم.
• الثوابت والمتغيرات ومفهوم الحداثة.
• السبيل إلى توحيد الشعوب الإسلامية.
• المخطوطات ودورها وأهمية التحقيق.
• العولمة وفرض النموذج الغربي.
• المحن المعاصرة للشعوب العربية والإسلامية...

ولقاءات أخرى متعددة

تأليف
أ. د. عماد الدين خليل

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م

خليل ، عماد الدين .

لقاءات صحفية في قضايا الفكر والحياة الإسلامية /

تأليف عماد الدين خليل - ط ١ القاهرة: دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٤م .

٢٨٨ ص ؛ ٢٤ سم .

تدمك ٩ ١٥١ ٧١٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الإسلام والمجتمع

٢ - العولمة

أ - العنوان ٣٠١٣٤,٢١٤

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار

الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

أسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر

هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ ( ٢٠٢ + )

فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ ( ٢٠٢ + )

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ ( ٢٠٢ + )

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ ( ٢٠٢ + )

فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ ( ٢٠٢ + )

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ ( ٢٠٣ + )

بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

## فهرس المحتويات


مقدمة ..... ٧

**اللقاء الأول:** العمق التاريخي لتراث الموصل/ الدور السياسي لها ..... ٩ - ١١

**اللقاء الثاني:** الحوار الفكري وأهمية قراءة التاريخ ..... ١٢ - ٣٦

**اللقاء الثالث:** إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ..... ٣٧ - ٣٨

**اللقاء الرابع:** الأدب الإسلامي ..... ٣٩ - ٤١

**اللقاء الخامس:** مجلة المسلم المعاصر: الواقع والمأمول ..... ٤٢ - ٤٥

**اللقاء السادس:** هل التاريخ مصدر للتأطير والتنظير في المستقبل؟ وما صفات القيادة في هذا العصر؟ ..... ٤٦ - ٥٢

**اللقاء السابع:** بين الأدب العربي والإسلامي ..... ٥٣ - ٥٨

**اللقاء الثامن:** عن الأدب الإسلامي والأديب المسلم/ المورث الشعبي/ أزمة العقل العربي المسلم ..... ٥٩ - ٦٩

**اللقاء التاسع:** فلسفة التاريخ/ منهجية إعادة كتابة التاريخ الإسلامي/ الموقف من العلمانيين وفصل الدين عن الدولة ..... ٧٠ - ٨٥

**اللقاء العاشر:** الأدب ( التأثير، شروط التأثير، الوظيفة ) ..... ٨٦ - ٨٧

**اللقاء الحادي عشر:** أصحاب الهوى من المؤرخين وطمس الحقائق ..... ٨٨ - ٩٠

**اللقاء الثاني عشر:** السيرة النبوية ( المراجع، مناهج دراستها ) ..... ٩١ - ٩٣

**اللقاء الثالث عشر:** ملامح وسمات الأدب الإسلامي ..... ٩٤ - ١٠٥

**اللقاء الرابع عشر:** ليس كل ما يعرف يقال ..... ١٠٦ - ١٠٨

**اللقاء الخامس عشر:** حول مقالة الإسلام والعروبة معًا في مواجهة الإعصار ..... ١٠٩ - ١١٠

اللقاء السادس عشر: إغراء الشعر ............ ١١١
اللقاء السابع عشر: أبعاد التفرد الأمريكي في القرار والقطبية الواحدة ..... ١١٢ - ١١٩
اللقاء الثامن عشر: رمضان في المنظور الإسلامي ............ ١٢٠ - ١٢٢
اللقاء التاسع عشر: حول ملتقى البردة للأدب الإسلامي ............ ١٢٣ - ١٢٤
اللقاء العشرون: الاحتلال الأمريكي للعراق ............ ١٢٥ - ١٢٧
اللقاء الحادي والعشرون: رابطة الأدب الإسلامي في الموصل ............ ١٢٨ - ١٣٠
اللقاء الثاني والعشرون: الداعية وتحصين الذات وتزكية النفس ............ ١٣١ - ١٣٥
اللقاء الثالث والعشرون: محنتنا العراق وفلسطين بين الواقع واستشراف المستقبل/الحداثة الأدبية/الحصار العلماني للأدب الإسلامي ............ ١٣٦ - ١٤٠
اللقاء الرابع والعشرون: كلية العلوم الإسلامية ............ ١٤١ - ١٤٢
اللقاء الخامس والعشرون: العولمة ( التحديات التقنية التي تعتمدها/الفوائد وجوانب السوء ) ............ ١٤٣ - ١٤٥
اللقاء السادس والعشرون: إمكانية تجاوز معوقات العمل الإسلامي والوصول لأفضل النتائج ............ ١٤٦ - ١٤٩
اللقاء السابع والعشرون: تفعيل العمل الإسلامي ............ ١٥٠ - ١٥١
اللقاء الثامن والعشرون: الصحافة وتفعيل الاتصال مع قادة الفكر والرأي ... ١٥٢ - ١٥٣
اللقاء التاسع والعشرون: المكتبات الشخصية والعامة ............ ١٥٤ - ١٦٢
اللقاء الثلاثون: كتاب « مدخل إلى الحضارة الإسلامية » من أفضل عشرة كتب عالمية ٢٠٠٥م ............ ١٦٣ - ١٦٤
اللقاء الحادي والثلاثون: تفعيل دور مؤسسة الوقف ............ ١٦٥ - ١٦٦
اللقاء الثاني والثلاثون: الدراسات العليا وآليات الارتقاء بها ............ ١٦٧ - ١٦٨
اللقاء الثالث والثلاثون: الانطلاق من عالم الضرورة ............ ١٦٩ - ١٧٠
اللقاء الرابع والثلاثون: عن مجلة الأدب الإسلامي ............ ١٧١ - ١٧٢

اللقاء الخامس والثلاثون: عن الأدب المسرحي ........ ١٧٣ - ١٧٤
اللقاء السادس والثلاثون: كتابة التاريخ الإسلامي/ الفقه الحضاري الإسلامي ١٧٥ - ١٨١
اللقاء السابع والثلاثون: ( الكتاب المقروء وصناعة المبدع/ السبيل لبناء مجتمع متحضر/ القوة الفاعلة التي تشكل الحضارات ) ........ ١٨١ - ١٨٦
اللقاء الثامن والثلاثون: كيفية صياغة نظرية نقدية إسلامية/ صياغة فكرة عن العلاقة بين الإسلام والأدب ........ ١٨٧ - ١٩٢
اللقاء التاسع والثلاثون: سلبيات في المجتمع الجامعي ........ ١٩٣ - ١٩٦
اللقاء الأربعون: الفكر الإسلامي والدراسات الاستشراقية ........ ١٩٧ - ١٩٩
اللقاء الحادي والأربعون: المسرحية الإسلامية في الأدب المعاصر ........ ٢٠٠ - ٢٠١
اللقاء الثاني والأربعون: التاريخ كله معاصر ........ ٢٠٢ - ٢٠٤
اللقاء الثالث والأربعون: كيفية تفعيل أنشطة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٢٠٥ - ٢٠٨
اللقاء الرابع والأربعون: ( المدخل إلى التاريخ الإسلامي ( الفتنة الكبرى/تيار التغيير ومحاولات الالتزام/ فلسفة الصمود والسقوط في التاريخ/ أسباب التوسع الشاسع في الفتوحات الإسلامية ) ... ٢٠٩ - ٢١٦
اللقاء الخامس والأربعون: متفرقات عن شخصية الأمة الإسلامية وثقافتها/ إصلاح المجتمع/ إعادة صياغة التاريخ ........ ٢١٧ - ٢٢٠
اللقاء السادس والأربعون: مدخل إلى الحضارة الإسلامية ........ ٢٢١ - ٢٢٨
اللقاء السابع والأربعون: المخطوطات والتحقيق ........ ٢٢٩ - ٢٣٠
اللقاء الثامن والأربعون: تقييم الفكر الإسلامي في العصر الحاضر ........ ٢٣١ - ٢٣٤
اللقاء التاسع والأربعون: التأصيل الغربي لصراع الحضارات بدلًا من الحوار/ ولماذا تأخر المسلمون؟ ........ ٢٣٥ - ٢٤٣
اللقاء الخمسون: الأدب الإسلامي بين المؤيدين والمعارضين ........ ٢٤٤ - ٢٤٩
اللقاء الحادي والخمسون: نبذة عن بعض المراحل التعليمية الأولى التي مر بها المؤلف ٢٥٠ - ٢٥٢

**اللقاء الثاني والخمسون:** تعريف بالمؤلف وبعض آرائه وما قاله عنه معاصروه .... ٢٥٣ - ٢٧٢

**اللقاء الثالث والخمسون:** تعريف بالمؤلف وبعض آرائه في الحياة العلمية والتعليمية وغير ذلك .... ٢٧٣ - ٢٧٩

**السيرة الذاتية للمؤلف:** .... ٢٨١ - ٢٨٦

* * *
* *
*

# مُقَدِّمَة

هذه وجبة أخرى من ( اللقاءات الصحفية )، بعد أن صدرت الوجبة الأولى عن دار الحكمة في لندن عام ( ٢٠٠٠م ) بعنوان: ( ريبورتاج: حوار في الهموم الإسلامية ) والتي غطت لقاءات الفترة بين ( ١٩٩١ - ٢٠٠٠م ).

فلقد استجدت بعدها جملة كبيرة من الحواريات التي امتدت إلى عام ( ٢٠١١م )، كما أنني عدت إلى أضابيري المكدّسة فاخترت منها مقابلات أجريت في الفترة بين ( ١٩٨٢ - ٢٠٠٢م )، مما لم ينشر في الكتاب الأوّل، لكي تشكل بمجموعها هذا الكتاب الذي يجده القارئ بين يديه... لملء الفراغ الذي تعاني منه مكتبة الأدب الإسلامي، بخصوص أدب الحوار الذي يعكس جوانب مهمة من ( السير الذاتية ) للمتحدثين.

وكسابقتها، جرت هذه اللقاءات وفق صيغ شتّى، بعضها بالحوار المباشر، وبعضها الآخر بالمراسلة على البريد العادي أو الإلكتروني، وبعضها الثالث بالهاتف. وقد حرصت فيها، هي الأخرى، على تحقيق قدر من التوازن في التغطية الجغرافية للمحاورين وعلى إلغاء التقديمات السخية لهم، والتي قد لا أستحق عشر معشارها، فمعذرة.

وها هنا - أيضًا - كان حرصي على إلغاء الكثير من التكرار، ولكن بعضه الآخر كان يفرض نفسه عليّ بسبب تباعد المحرّرين الذين أجروا الحوار ما بين إنكلترا وفرنسا وماليزيا وباكستان، والمغرب والجزائر ومصر ولبنان والأردن وقطر والعراق... إلخ، والعوائق الجغرافية في ديارنا، فضلًا عن ضغط بعض القضايا الملحة في الفكر والحياة، بما يجعل بعض الأسئلة تعيد نفسها بين الحين والحين.

ثمّة - أخيرًا - ما تجب الإشارة إليه... ذلك أن عددًا محدودًا من هذه اللقاءات لم يتح له النشر في صحيفة أو مجلة، أو موقع إلكتروني، لسببٍ أو آخر، كما أن عددًا محدودًا آخر لم يتوفّر بين يدي رقم وتاريخ العدد الذي نشر فيه من هذه الصحيفة أو المجلة... أو تلك، فاضطررت للتأشير على التاريخ التقريبي للنشر.

وأسأل اللّٰه سبحانه أن أكون قد وفقت في اختيار اللقاءات المناسبة، وإليه وحده نتوجه بالكلمات والأفعال، ومنه وحده نستمد العون والسداد.

**الموصل/ أيلول سبتمبر ٢٠١١م.**

أ. د. عِمَادُ ٱلدِّين خَلِيل

# اللقاء الأول (*)

**○ لغرض مسح وتوثيق تراث الموصل، والمنطقة الشمالية بشكل عام، لا بدّ أن نعرف شيئًا عن العمق التاريخي لهذا التراث..**

* ربما تكون البداية عصر ما يسمى بأتابكية الموصل التي نشأت في عصر الحكم السلجوقي للعراق، على يد مؤسسها ( عماد الدين زنكي ) عام ( ٥٢١هـ ) واستمرت حتى الغزو المغولي في منتصف القرن السابع الهجري، فلقد استطاع أمراؤها تحقيق الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي، بعد فترة من الكوارث والمجاعات، حتى غدت الموصل تضاهي مدن بغداد والبصرة ودمشق في أنشطتها العمرانية والاقتصادية، واتسعت أحياء المدينة وكثرت فيها الجوامع والمدارس والقصور والخانات والأسواق والقيصريات وتعددت أنشطتها العلمية، ونبغ فيها مئات العلماء والأدباء من أمثال المؤرخ عز الدين بن الأثير، والناقد ضياء الدين بن الأثير، والرياضي عماد الدين بن يونس والطبيب الشهير مهذب الدين بن هبل، وغيرهم كثيرون... وأصبحت الموصل من الأسواق العالمية المعدودة، فكانت البضائع تصلها من بلدان الشرق؛ كالصين والهند وبلاد فارس، وراحت القوافل التجارية تخرج منها إلى بلاد الشام، وسواحل البحر المتوسط، ومنها يأخذ التجار الأوربيون ما يحتاجونه إلى موانئ أوربا. وتعددت الحرف الصناعية والخانات والقيصريات والأسواق... كما كثرت فيها المزارع والبساتين وأصبحت المدينة تصدر الحبوب والبقول والخضراوات والفواكه على اختلاف أنواعها. وتميزت الموصل آنذاك بفنونها التشكيلية وصناعاتها التطبيقية، التي أثرت في الفنون اللاحقة؛ كصناعة المنسوجات المطرزة والمعادن والصناديق الخشبية المطعمة، والرخام المنزل، والآجر المزجج، والكتب المزوقة.

**○ وماذا عن الدور السياسي للموصل في تلك المرحلة؟**

* كان لها دور كبير في العمل على توحيد معظم أقطار المشرق في مملكة واحدة

(*) أجرى الحوار في الموصل الأخ سامي الأنصاري، مراسل صحيفة الجمهورية التي تصدر في بغداد، ونشر في عددها الصادر في ( ١ أيلول ١٩٨٢م ).

لعبت دورًا مشرّفًا في درء خطر الصليبيين الذين اكتسحوا الشام وفلسطين ودقّوا أبواب العراق، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في كسر شوكتهم وتمهيد الطريق للناصر صلاح الدين الأيوبي في سحقهم في معركة حطين عام ( ٥٨٣هـ ) وتحرير بيت المقدس.

وتألقت الموصل مرة أخرى في العصر العثماني، وبخاصة زمن حكم الأسرة الجليلية؛ حيث شهدت المدينة حركة عمرانية واقتصادية نشطة، لا تزال آثارها باقية حتى اليوم...

**○ وماذا عن عمل لجنة المسح والتوثيق التراثي التي تتولون رئاستها؟**

* سعت اللجنة لتحقيق مهمتها عن طريق برنامج عمل منظم يتضمن كتابة الدراسات والتقارير عن المواقع التراثية وخلفياتها التاريخية، والعمل على مسح المدينة تراثيًا وذلك بعد تقسيمها إلى قطاعات لغرض السيطرة على العملية، وكتابة بيانات مركزة عن المعطيات التراثية السكنية والخدمية والتعبدية، لغرض فهرستها، وتسقيطها على خرائط الكادسترو، وتيسير المعلومات للباحثين والمتخصصين، وإنشاء مكتبة تتضمن الصور الفوتوغرافية والسلايدات والأفلام، والتسجيلات الصوتية للرجال المسنين الذين يمتلكون ذكريات جمة عن المعالم القديمة للمدينة. هذا فضلًا عن تجميع الكتب التي تبحث في تراث الموصل، وإنشاء غرفة خرائط ومرتسمات ومجمعات هندسية، ومحاولة إنشاء متحف تراثي يحتوي على المخلفات التراثية؛ كالأثاث المنزلي، والملابس والأزياء المختلفة والنقود.

هذه هي الخطوات التي تسعى اللجنة لقطعها، علمًا بأنه لم تجر أية محاولة سابقة لحماية التراث من خلال برنامج عمل شامل كهذا الذي أخذت به اللجنة نفسها.

**○ وماذا عن التقارير والدراسات التي تمّ إنجازها؟**

* أعدّت اللجنة خمس عشرة دراسة وتقريرًا عن المسائل والمعطيات التراثية، تضمنت دراسة تحليلية عن ضرورة التوفيق بين النهضة العمرانية التي تشهدها المدينة وحماية شخصيتها التراثية. وثمة دراسة أخرى عن منطقة الأسواق والخدمات تضمنت اقتراحًا باستملاك وإعادة إنشاء بعض أقسام ذلك السوق. كما قامت اللجنة

بمسح خمسة قطاعات من مجموع سبع، والعمل جارٍ من أجل استكمال المسوحات خلال السنة القادمة؛ لكي تبدأ بعدها أعمال الدراسة والتحليل للمعطيات التراثية وفهرستها في بطاقات خاصة. وتم تشكيل مجموعات متميزة من الصور والسلايدات وخرائط الكادسترو والمرتسمات، وجمع جل الكتب والأبحاث التي تناولت تراث الموصل.

وتأمل اللجنة بتنفيذ فهرسة دقيقة للمعطيات التراثية؛ مثل الدور والقناطر والخانات والحمامات والمطاعم والمقاهي القديمة... إلخ، ومحاولة إنشاء متحف تراثي لسائر المعالم الاجتماعية القديمة... تلك المعالم التي نالت إعجاب السواح والرحالة الأوربيين؛ من مثل الأب لانزاو دوبريه وبكنغهام وغيرهم.

* * *
* *
*

# اللقاء الثاني(*)

○ جذبتني فكرة الحوار الفكري منذ عهد بعيد...

كنت أقرأ يومًا كتابًا عامًّا يشكل مضمونه حوارًا مباشرًا بين كل من المؤرخ الإنكليزي الشهير أرنولد توينبي وولده الأديب والكاتب الصحفي فيليب... تلمّست في ذلك الكتاب العديد من المعاني والأفكار التي تطرق لذكرها كل من المؤرخ الشهير وولده، والتي توزعت عبر المساحات التي قادتهما إليها نماذج عديدة من الموضوعات. قلت في نفسي يوم ذاك: إنها لتجربة رائعة في عالم الفكر، أن يطلع القارئ على لقاء مباشر أو غير مباشر بين قلمين، يبدأ مع بدايتهما في الحوار... ويمضي مرافقًا مسيرتهما الفكرية والموضوعية؛ حيث يذهبان به عندما تقودهما طبيعة الحديث في فجوات ودروب ومساحات وزوايا... وعندما يفتح كل من المتحاورين فكره وعقله وروحه ووجدانه للآخر... وعندما ينفذ كل منهما لبصيرة الثاني، دون حجب تقتضيها تقاليد النشر... أو قيود أكاديمية تأسر القلم والأحاسيس، بل تتوضح للعيان، الرؤية المباشرة لكل من الكاتبين المتحاورين أمام القارئ... والأعظم من كل هذا وذاك، هو ذلك النقد البناء والمتواضع القائم على أسس متينة في التعامل الهادف، والاحترام المتبادل، والرصانة الموضوعية، وتبادل المعلومات...

عرفت الدكتور عماد الدين خليل منذ عهد بعيد، عندما كنت أجلس قبالته في قاعة الدرس ليحاضر علينا درسًا في السيرة النبوية... أو في تاريخ الدويلات الإسلامية، أو في مناهج البحث. وقرأت له مبكرًا، وكان كتابه الأول ( ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ) موضع إعجاب طلابه، كونه كتابًا حيًّا دافقًا بالحياة... مشخصًا للأبطال، وأمينًا في تسجيل الأحداث. ثم زاملت الرجل، فتوثقت عرى صداقتنا... وكان لنا أكثر من حوار مباشر يزخر بالموضوعية حول قضايا الأدب والتاريخ غاب عنا تسجيله... ثم افترقنا بعد سفري إلى بريطانيا،

(*) جرى الحوار عبر البريد بيني وبين الأخ سيار كوكب الجميل الذي كان يحضّر للدكتوراه في جامعة سانت اندروز بإنكلترا، عام ( ١٩٨٣م )، ولم يتح له النشر.

ولكن لم تنقطع؛ إذ كان لنا صفحات رسائل أدبية شيقة بين طويلة وقصيرة خلال أكثر من ست سنوات، وستجد يومًا طريقها للنشر بإذن اللّٰه.

لقد كان الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل محاضرًا بارعًا في التاريخ الإسلامي، ما تأخر يومًا عن إلقاء محاضرته دقيقة واحدة... وكان أكاديميًا في موضوعه، محللًا للأحداث التاريخية وذا استنتاجات سخية. وكان فنانًا في إلقاء حديثه، يصوغ كلامه ومحتواه صياغة أدبية، ويرافقها بحركة رشيقة بأنامله... لم نشهد له زلة لسان، أو كلل بيان. له أسلوب ممتع، تمتزج فيه الحداثة بالتراث... ولم نره يومًا وخلال السنوات الأكاديمية التي رافقناه فيها، أنه يقرأ لنا محاضرة في ورقة، أو قصاصة أو دفتر... كان يدخل صفّه بإيمان رصين، وفكر ثمين... ولكنه خالي اليدين... ويحتفظ في جيبه بمفكرته التي يسجل فيها بعض الملاحظات.

تبتدئ قصة هذا الحوار عندما راودتني الفكرة من جديد بعد أن كنت قد طويتها قبل زمن طويل... فكتبت رسالتي إلى الدكتور عماد الدين سائلًا إياه فكرة الحوار، وزدت عليها، بأن يكون حوارًا بالمراسلة... ومضت أيام، تلقيت جوابًا حارًا، مفعمًا بأحاسيس شتّى وكان صاحبه الفاضل مرحبًا بالفكرة، طالبًا إياي البدء... إذ كتب إلي يقول: « ... وقد أسرتني فكرتك بصدد فتح باب للحوار ( بالمراسلة ) بيني وبينك، قد تسأل وأجيب... وقد أسال وتجيب... أما طبيعة المعطيات فسوف تقودنا التداعيات عبر الحوار نفسه إلى آفاقها ودروبها... قد نتحدث عن قضايا تتعلق بالتاريخ وتفسيره... أو بالحضارة... أو قد نتحدث عن قضايا الأدب والنقد... أو نفتح صفحات من الحوار المركز عن مسائل الثقافة والثقافة المقارنة... إن ثمة أسئلة كثيرة تدور في ذهني وذهنك ويمكن أن يكون الحوار المكتوب سببًا في تجلّيها ».

هكذا كانت بداية رحلة هذا الحوار... أدعو اللّٰه أن يوفقنا فيها، لنصل سوية إلى شواطئ النهاية، ولا منتهى لأي حوار جاد... وقد قدمنا خدمة غنية متواضعة للفكر والفن والتاريخ عبر هذا المشروع... وما التوفيق إلا من عند اللّٰه.

وأدع المجال الآن للدكتور عماد الدين خليل لكي يتحدث لنا فيما يراه صالحًا

للتقديم لهذا الحوار، فثمة أشياء هامة لديه، يرغب في ذكرها أو إضافتها، لا سيما وأن له تجربة زاخرة في الكتابة الموضوعية والأدبية...

سيّار

* * *

## الجولة الأولى

**عزيزي الدكتور عماد الدين خليل..**

عمت صباحًا رائقًا، أفتتح حواري معكم على بركة اللّه... والساعة تشير عندي السابعة وبضع دقائق من صباح يوم الجمعة المصادف ٢٤/ ٦/ ١٩٨٣م. كل شيء ساكن هادئ.. الخضرة الوارفة تحيط بمكاني هذا، لا يطرق سمعي إلّا أصوات العصافير، وحفيف الشجر. وتهب بين الحين والآخر، نسمات باردة قادمة من البحر الذي تترامى آفاقه أمامي وهو يزهو بزرقته، وصفاء حركته وأمواجه. وأبدأ في كتابة هذا الحوار في صباح يوم الجمعة؛ لأنه أحبّ الأيام عندي، ومتعتي بضحوته لا تساويها كل أيام الأسبوع... وفي يوم الجمعة تتجلّى كل صفات الحب والصفاء والقداسة والملكوت. ولا أستطرد أكثر؛ إذ أودّ أن أبدأ حديثي معكم حول موضوع حيوي ونافع، وسيقودنا الحديث عنه إلى مواضيع حيوية أخرى.

**○ هل لقراءة التاريخ وظيفة وقضية؟**

* إن كلمة ( التاريخ ) لا تزال – عندنا – تحمل في طيّاتها معاني كثيرة، ولا يزال البعض من تلك المعاني أبعد ما يكون عن الوضوح، كون مفهوم التاريخ فلسفيًا في فكرنا العربي المعاصر مجهول القضية، ساكن الحركة، مشوّش الأبعاد... لأن التاريخ بشكل عام يتحرك بسرعة، وهو ليس كشأن ( الجغرافية ) التي تتحرك ببطء من عصر لآخر؛ لأن كلًّا منهما مرتبط بالآخر ارتباطًا وثيقًا في فترة زمنية معينة، وليس على طول المدى، وهنا لا بد وأن يتساءل المرء السؤال التالي: كيف يستطيع المؤرخ أن يسبر غور الماضي ليصل إلى أعماق ما يريد الوصول إليه، بعيدًا عن سحب الأحداث إلى جغرافيته... عليه أن ينفذ إلى الماضي ليرى ويفحص ويعيش الماضي برمته ليعود إلينا، ومعه حصيلة ثمينة من المعلومات والنتائج... وقد تضيف على ذلك يا سيدي

الفاضل، بأن على المؤرخ أن يكون متجردًا من مواقف الحاضر، وأفكاره، وجغرافيته... ليذهب هناك حيث الماضي الرحيب... ينطلق فيه وعبر مساحاته الكثار، بروحه وقلمه وعلمه ووجدانه... بإيمانه وكينونته... بوجوده ويقظته، ليعيش الوقائع التاريخية تلك، ويتمثلها أمامه حية متحركة كما لو كانت تجري أمامه على المسرح ليشاهدها، ويحاكيها، ويقف يحكم بينها وبين رجالها، ويصور لنا أساليبها ودورة حياتها. ولكن أيكفي كل ذلك؟؟ إن ثمة متطلبات أخرى يحتاجها، وهو الذي يشهد في حاضره خواءً فكريًا وروحيًا على ساحته برمّتها.

إن الأعمال التاريخية في الفكر العربي الحديث لها سلبيات ونواقص عديدة سواء أكانت على المستوى الأكاديمي أم غيره... فإنْ كان البعض من الأكاديميين العرب السابقين قد نجحت بعض أعمالهم فإنَّ طلابهم من الشباب المحصلين لدرجات أكاديمية قد فشلوا في الكتابة التاريخية فشلًا ذريعًا؛ لأنهم تعاملوا مع هذا العلم بدون موهبة وثقافة واسعة، مما جعلهم يتعاملون مع أحداث التاريخ ورجاله تعاملًا جامدًا، وبقوالب ثابتة... وعدم تطبيقهم لأسس النقد التاريخي، وبدت أعمالهم لا تعدو إلا مجرد رصف نصوص، فكانت ميتة لا حياة فيها، وقد نُشر بعضها على عواهنه مع الأسف... وكل هذا وذاك، لم يشمل أولئك الذين تخرجوا في جامعات عربية، بل حتى عند الذين تخرجوا في جامعات غربية. إذن السؤال: لماذا لم تنجح التجارب العلمية للكتابة التاريخية في الفكر العربي الحديث؟؟ ألا ترى بأن هذا الفكر الذي بدا اليوم متّيبسًا لا حياة فيه ولا روح ولا أمانة، ولا نقاء علمي، ولا تحديد للمعاني والألفاظ... هو بحاجة إلى صيغ ثابتة، وضوابط علمية، وصفاء في التأمل والتفكير، ورصد من المنطق، وإلى موضوعية في المنهج وأصول البحث... وإلى مساحات واسعة الأبعاد من الطبيعة والفن؟؟ ألا ترى بأن الكتابة التاريخية بحاجة ماسة في فكرنا إلى القيم الجمالية والفلسفة والأدب... والتحرر قليلًا من رصف النصوص، وذلك في أجواء رصينة، شرط ألّا يخلّ ذلك بالأساليب العلمية؛ حيث المقارنة والتعليل والمقايسة والنقد التاريخي بشكليه الظاهر والباطن؟؟ ثم ألا ترى بأن الموهبة والمعرفة هما أساس كل نتاج حي؟؟ كم من النتاجات الميتة معلّقة على رفوف المكتبات لا يحفل بها أحد؛ لأنها فاقدة لوظيفتها وقضيتها جملة وتفصيلًا؟؟

إن المؤرخ الجاد الذي يقرأ التاريخ ويوظّفه لخدمة حاضره وبناء المستقبل، عليه أن يدرك أن لمهمته هذه قضية... وأن قضية التاريخ هي خطوة خطيرة قد يصعب اجتيازها في أغلب الأحيان. ألا ترى يا صديقنا الفاضل بأن فهم التاريخ بصورة عامة كمنهج وفلسفة... وفهم تاريخ أية أمة على مستوى من الإدراك الأفضل هو فهم عميق لواقعها، وإثراء له إذا ما روعيت الأمانة والدقة والتحليل... ليضع المؤرخ بعد ذلك بين أيدينا الاستنتاجات التي يخلص لها، والآراء التي يتوصل إليها؟؟

إن قضية التاريخ لها أهميتها في عالم الفكر العربي هذا اليوم؛ نظرًا لما ستقوده معالجاتها من نتائج، وذلك على مختلف الأصعدة والحقول. ألا ترى بأن معالجاتنا لتاريخنا لا زالت قاصرة عن أداء دورها الحيوي، ليكون على أسمى درجة من الإفادة والنفع؟؟

لننظر قليلًا إلى بعض عيوب حقول المنهجية التاريخية في دراستنا لتاريخنا الإسلامي مثلًا، ليواجهنا السؤال التالي: هل استطعنا أن نغطّي في دراساتنا الأكاديمية – على سبيل المثال – للتاريخ كل ما تتطلبه دراسته من جوانب في الإنتاج والتوظيف؟؟ ولنسأل أيضًا: لماذا يعجز المؤرخون العرب من أكاديميين وغير أكاديميين عن تحرير دائرة معارف إسلامية ( انسكلوبيديا ) لتاريخنا الإسلامي؟ هذا إضافة إلى عجزهم الكامل عن تحرير أية دائرة معارف كبرى بالعربية أو بالإنكليزية عن تاريخ العالم...

لماذا لا زلنا نعتمد على الانسكلوبيديا الإسلامية التي حرّرها الاستشراق الغربي في إبرازتين اثنتين؟؟ هذا إضافة إلى وجود أكثر من دائرة معارف إسلامية في لغات أخرى عدا الإنكليزية...

لقد لاحظت بأن الطالب الإنكليزي أو الأمريكي أو الألماني مثلًا، الذي يقرأ تاريخ الإسلام أمامه فيض من المعلومات الموسوعية، ومحتويات الانسكلوبيدية المركزة، والمقالات التاريخية المختزلة وغير ذلك... في حين لا يجد الطالب العربي الذي يقرأ تاريخ الإسلام إلا ركامًا كبيرًا من كتب قديمة حولية يضيع في متاهاتها، أو مراجع مختصة لا تفيده، مما يضطره الحال لأن يكتفي بما يمليه عليه أستاذه، أو يقرأ ما يوزّعه عليه من كراريس، ليجتاز من خلالها امتحانه... ومع شديد الأسف، لا توجد لحد هذا اليوم موسوعة بالعربية عن تاريخ الإسلام، أو دائرة معارف حديثة كتبها مؤرخون

وعلماء عرب ومسلمون، وترجمت إلى أكثر من لغة... في حين تجد أن لكل أمة من الأمم دائرة معارف كبرى لتاريخها، ولتاريخ العالم. ولا أدري ماذا كانت مهام الجمعيات التاريخية عند العرب؟؟ وما هو دور اتحاد المؤرخين العرب؟؟ ولا أدري أن رأيت الانسكلوبيديا اليهودية الجديدة بالإنكليزية بمجلداتها الزرقاء؟؟ كنت أتمنى أن تقف إلى جانبها وعلى نفس الحجم دائرة معارف لنا بالإنكليزية في المكتبات الشهيرة في العالم، لتفند المعلومات اليهودية الخاطئة، وتدحض أحابيل كتّابها، وتظهر الصواب والحقيقة من خلال العلم والتاريخ.

لقد كان ما تحدثت به أعلاه هو مثل واحد من أمثلة عديدة لنواقصنا في دراسة التاريخ وتوظيفه، وبطبيعة الحال، سوف يزداد عتبنا على أولئك الذين ركنوا من أصحاب الشهادات العليا ومن المفكرين والمؤرخين لا يعملون فرادى أم مجتمعين... ألا ترى يا صاحبي بأن الفكر الكمي المتيبس هو المسيطر على الساحة العريضة بجامعاتها ومؤسساتها الفكرية العربية... لا ينطلق عبر الآفاق... لا يترجم الأعمال الحيّة الكبرى... لا يجوس المساحات الزمنية ليقدمها محبوكة مركزة... لا يختزل اللغة التاريخية... لا يخترق الأسوار ليرد على طعنات الأعداء... لا يحقق تراث السلف العظيم بعلم ونزاهة ودقّة... لا ينطلق ليقرأ تواريخ أمم أخرى... يرصف ما يستخرجه من بطون الكتب كالأحجار... لا يجيب على الأسئلة التي يطرحها الماضي وليس له دراية أو علم أو يقين بها... ليس له من مهام إلا تجميع المعلومات، وهذا هو عين الفكر الكمّي المتيبس الذي يحارب أصحابه من خلاله ذلك الفكر النوعي الذي يتقّبل ويفحص ويسبر الأعماق ويجتهد في منهجه وطرائقه ودلالاته في إجاباته على كل ما يطرحه التاريخ من تساؤلات، ليوظفه بعد أن يستنتج لنا قضاياه، ويخرج علينا بحقائقه الكامنة في الأعماق. دعنا نسائلكم أولئك الكمّيون ببساطة: ما هو التاريخ؟ هل هو الماضي العتيق الذي ليس له اتصال عضوي بالحاضر...؟؟ لا شك بأن الإجابات المختلفة والمتضاربة على ذلك ستحدد لنا بوضوح المشكلات الفكرية والخواء العقلي الذي يمتد على اتساع الرقعة العربية.

**○ حول قضية قراءة التاريخ الإسلامي وتوظيفه:**

* أرجو أن تعذرني أيها الأخ الفاضل إذا تحدثت معك في هذا الجانب الحيوي في

الفكر والحياة، وأنا لم أطلع بعد على كتابك الذي نشرته تحت عنوان ( في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل ). ولكنني واثق جدًّا بأن موضوعه ومضمونه لن يغيبا عن معرفتي؛ فقد كنا قد ناقشنا بعضنا الآخر في ذلك قبل سنوات خلت سواء في أحاديثك أو محاضراتك. ولعل فيما سأطرحه عليك أدناه سيعالج أفكارًا جديدة عندي، أحبّ أن أناقشك فيها.

هذا التاريخ الإسلامي الطويل والممتد في أعماق زمنية بعيدة، والذي تميّز بمتغايراته ومفارقاته... برجاله الذين صنعوه... بتجاربه على كل المستويات السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية والحضارية... بهذا التراث الكبير الذي حفل به على امتداد قرون عديدة. والآن، ما هو مدى الاستفادة من قضية قراءته، وتوظيف كل ما حفل به من تجارب وتراث؟؟ وهل استطعنا أنفسنا من خلال العديد من الدراسات التاريخية التي كانت من نتاج فكرنا بالعربية وليس من خلال دراسات استشراقية لا تمت لفكرنا ومقاييسنا بصلة... هل استطعنا أن نوظّف تجارب هذا التاريخ وتراثه الغني، ونستفيد من خلال معرفتنا بذلك على درجة من اللقانة والاهتمام والرصانة في معالجة الأوضاع المعاصرة وقضاياها الخطيرة؟؟ هل استطعنا بأصالة واعتزاز، ودراسة ونقد أن نستقي منه الخبرات والدروس؟؟ وهل استطعنا أن نخرج بنتائج موضوعية، غير مشوّهة أو قاصرة، لكي نوظفها فكريًّا أو جغرافيًّا... تربويًّا وعلميًّا... ونجعلها مدرسة قيّمة لكل الأفراد والمجتمع، وعلاجًا للأوضاع المعاصرة على طول الساحة وعرضها، وما في الأوضاع المعنية من خلل في البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية؟ ولا أقول بأن علينا أن نتشرنق بالماضي، وننعزل عمّا يفيدنا من حضارات وثقافات أمم أخرى... ولكن يجب أن نفهم بأننا نرتبط بتاريخنا وأصولنا وتراثنا ارتباطًا عضويًّا وروحيًّا، ولا يمكن أن ننفصل عن كل ذلك كي نعيش على هامشه لنضيع أمام زحمة العصر، لتسحقنا أمم أخرى تحت رهبة عجلتها القوية المتقدمة، وثقافاتها وأساليبها الغريبة.

إن المؤرخ هو طبيب لحاضره إذا ما فهم وبصورة واسعة الأبعاد ما طرحته آنفًا من خلال دراسته للماضي، سواء أكان ذلك الماضي قريبًا أم وسيطًا أم بعيدًا... وإن خبراته لا يمكن أن تهمل إذا ما أتانا بأعمال رصينة لها وزنها في المنهج والتوظيف.

وهنا يمكنني أن أتوقف لأقول بأن مهمة دراسة التاريخ هي من أصعب المهام.

ختامًا لهذا الموضوع وطروحاته المذكورة أعلاه، أود أن أذكر لك يا سيدي الفاضل بأن عندي أجوبة وتحليلات على ذلك... ولكنني سألتك راغبًا في سماع رأيك وأفكارك بهذا الخصوص أولًا، فإن اتفقت مع أفكاري فسوف أضيف أو أوضح لك ما أضفت لي. وإن اختلفنا فسوف أشرح لك ما عندي بحول اللّه.

* * *

## الجولة الثانية

* عرفت ( سيار الجميل ) أيام دراسته الجامعية، كان يجلس في الصف الأمامي دائمًا مع ثلة من الطلبة المتفوقين ذوي المشارب والاتجاهات المتباينة، كان يصغي إلى المحاضرة بجوارحه كافة، وكان يناقش باستمرار. وكان وزملاؤه الجالسون إلى جواره يثيرون بتجاوبهم ذاك الرغبة في أن تتجاوز المحاضرة صيغها التقليدية وتتحول إلى حوار مفتوح، وأن تتضمن قدرًا طيبًا من الإبداع.

لقد ألقيت عشرات المحاضرات، بل مئاتها، فما كانت إلا قلة منها تضع المحاضر في نقطة التوتر الفّعال وتجعله يقدم أفضل ما عنده، والسبب يكمن في معظم الأحيان في وجود نماذج ممتازة كسيّار!!

الاستعداد الذهني والنفسي، وحتى المناخي... نعم... ولكن ( حضور ) الطالب الممتاز هو الذي يحيل المحاضرة إلى نهر متدفق من العطاء والاكتشاف.

لا أكون مبالغًا إذا قلت أن بعض مؤلفاتي المتواضعة انبثقت فكرة تنفيذها، وتبلورت صيغها المعمارية في أعقاب محاضرة أو أكثر من تلك المحاضرات التي يتم التعاون بها على اكتشاف هذا الجانب أو ذاك من التاريخ والحضارة.

كنت ألمح في مناقشته رغبة في تجاوز الحركة على السطح والتوغل إلى الأعماق، وقد أعانت مادة تفسير التاريخ ومناهج البحث هذا الطالب الجيّد على أن يطرح بعض وجهات نظره وأن يكشف عن جانب من طموحاته. ثم ما لبثت لقاءاتنا الثنائية المتباعدة أن عززت هذا الذي خمّنته فيه.

ويومًا، ألقى محاضرة عامة، حسبما أذكر، عن العثمانيين في دراسة توينبي للتاريخ، كانت المحاضرة جيدة ولا ريب، ولكن اتساع المادة، وعدم تناسبها مع الوقت المحدود، لم يتح لسيار أن يقول كل ما عنده، هذا إلى أن تدافع أفكاره وازدحامها لم يمكّن الأداة اللغوية التي لم يكن قد امتلكها تمامًا، يومذاك، من نقل هذا الذي يعتمل في ذهنه بالشكل الذي يرجوه.

ويبدو من قبيل المفارقات، للوهلة الأولى، أن يذهب هذا المثقف المتمرّد على رتابة الأكاديمية ونصيّة البحث الجامعي، للتخصص في واحدٍ من أشد المواضيع أكاديمية ونصيّة... مرحلة متأخرة من التاريخ العثماني دراسةً وتحقيقًا، وأن يكلفه أساتذته في سانت أندروز اعتماد أشد الصيغ المنهجية صرامة في البحث، وأن يطلبوا منه تنفيذ منهج نقدي مقارن ومبتكر بما ينطوي عليه من رياضيات وإحصاء. وأن يجتاز التجربة بنجاح ويحظى أخيرًا بالدكتوراه بدرجة ( متفوق جدًّا ).

ولكنها ليست ( مفارقة ) على أية حال وإنما هو الامتداد الطبيعي للطاقة النفسية والذهنية المختزنة والتي تستطيع أن تعبّر عن نفسها بمعادلة رياضية حينًا وبقصيدة من الشعر أحيانًا...

وعلى العكس من هذا تمامًا فإن الكثيرين من عجزة الأكاديميين الذين لا يختزنون في أنفسهم أيما طاقة فعالة أو قدرة إبداعية، والذين لا يستطيعون قراءة قصيدة واحدة، ولا أقول كتابتها، والذين لا يفرّقون بين هايزنبرغ وريتشاردز ولا يدركون الفارق بين المعادلة البسيطة والمعادلة المركبة؛ هؤلاء الأكاديميون الأنصاف الذين يغمرون الجامعات في المشارق والمغارب، يختبئون بعجزهم هذا وراء الادعاء الساذج بالعلمية ويصبّون نقدهم العنيف على كل مؤرخ تتألق كلماته أحيانًا لكي تغدو شعرًا، دون أن يدركوا بأن هذا التألق إنما هو تعبير عن طاقة مختزنة لا يملكون عشر معشارها، وهي الطاقة التي تُمكن المؤرخ نفسه من أن يقدم أشد الأبحاث التاريخية علمية وصرامة، بالمفهوم الصحيح لا المفتعل الذي يصطنعه هؤلاء.

إن أطروحة ( سيّار ) العلمية الصارمة امتداد طبيعي لشاعريته ونزوعه الأدبي وليست ( مفارقة ) بأية حال من الأحوال.

إن صيغة الحوار التي تعتمدها الصفحات التالية في هذا العمل المشترك اقتضتني، ربما لأول مرة، أن اعتمد ضمير ( الأنا ) وأن ألحّ في اعتماده وهو أمرٌ لا يريحني على أية حال؛ لأنه انتقاص من الأجر الضئيل الذي يرجوه المرء على أعماله المتواضعة التي يبتغي بها وجه اللّه وحده...

وقد أبحت لنفسي ما هو أمعن من هذا في الخطأ والأثرة: قبول الإطراء الذي أحاطني به ( سيار ) والذي ما استحق عشر معشاره... لقد كانت أشد الممارسات إثارة للقرف والاشمئزاز في نفسي أن أجد الناس يمتدحون أنفسهم، أو يتقبلون بانتفاخ كاذب مديح الآخرين. وقد علمنا الرسول ﷺ ببداهته الحاضرة كالشهاب أن نحثو التراب في وجه هؤلاء.

ثم ها أنا ذا أمارس ما يمكن أن يكون مديحًا ضمنيًا. ومعلنًا للذات، وأتقبل المديح من الآخرين.

فأسأل اللّه سبحانه ألا أكون من أولئك الذين عناهم الرسول الكريم ﷺ، وأن تكون أعمالنا كافة، أبرأ عند اللّه وأكثر نقاء فـ « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** » كما علمنا عليه أفضل الصلاة والسلام.

« لقد أعادتني عباراتك التي مهّدت بها للحوار لأكثر من عشرين سنة مضت، كنتُ يومها طالبًا في الجامعة وكنتُ مولعًا بتدوين مذكراتي كطالب جامعي يومًا بيوم. وإذ سئمت الصيغة التقليدية للكتابة، تلك التي تتابع الحركة الزمنية على خط مستقيم صاعد، قررت أن أعتمد صيغة أخرى ربما تتضمن شيئًا من التعقيد والارتباك الزمني المتعمد.

أترك الأسابيع وربما الشهور تمر دون أن أدوّن شيئًا، ثم أبدأ من نقطة زمنية في الحاضر طارحًا بعض المسائل الراهنة لكي ما ألبث أن أقطعها بما يسمى فنيًا بالحركة الراجعة ( الفلاش باك ) لكي أتحدث عن ذكرياتي عبر الأسابيع أو الشهور الماضية. وحيثما وجدت فرصة نفسية مناسبة عدت ثانية إلى النقطة الزمنية الحاضرة لكي أتحدث عن معاناتها ومنظوراتها، ثم أرتدّ ثانية إلى الماضي وهكذا. لقد منحتني هذه الطريقة متعة وتدفقًا في العرض وألقت في مذكراتي البدائية البسيطة قدرًا من الحيوية، وبذرت فيها عنصر التقابل الدرامي المؤثر بين اللحظات الزمنية.

مهما يكن من أمر فإن عباراتك المذكورة التي أردت أن تمهد بها للحوار ذكرتني بواحدة من تلك المواقف المنتشرة في القسم الأخير من مذكراتي البسيطة. اتكأت على هذه ( الصورة ) التي كنت أعيشها برومانسية عذبة ورحت أتنقل في الزمن رجوعًا وتقدّمًا:

« شجرة الكرم تزهو بلونها الأخضر... تتسلق المساند التي أعدّت لها وعناقيد العنب الفجّ تمتد أمامي، والشمس اللاهبة تعصر مياه الحياة عصرًا في كل مكان... في كل مكان... في أعماقنا وفي الطبيعة على السواء...

« وإذْ تقدمت الشمس في الفناء، اضطررت لمغادرته إلى الشرفة الخلفية للدار حيث - على العكس - أخذت الشمس تتقهقر تاركة المكان في ظل بارد... وهكذا سوف يتكرر المشهد عبر أيام الصيف الطويلة...

« ساعة ونصف وأنا هنا مكب على كتابة هذه المذكرات، وعندما أجلت عيني في أنحاء المكان تذكرت الشتاء الرائع هنا في البيت؛ حيث كنت أجلس تحت الأشعة الدفيئة على بعد خطوات من هذا المكان، أقرأ في ( ثلاثية ) نجيب محفوظ أو أطالع في رائعة ليوبولد فايس ( الطريق إلى مكة )... إن الشتاء لأروع بكثير من الصيف.

« لقد ذكرني دوران الشمس بفكرة ذكرتها لأحد الأصدقاء وظننتها ساذجة وهي أن حركة الأجرام هي التي تجعل للزمن وجودًا، وقبل أيام عندما كنت أطالع في كتاب ( الشرق الفنان ) والقطار منطلق بي إلى بغداد لحضور حفل تخرُّج وجبتي من الجامعة، قرأت هذه الكلمات ( كان ابن سينا يعتقد بأن الزمن توجده حركة الأجرام )... أوه فإن فكرتي إذن ليست ساذجة إلى الدرجة التي تصورت!! ».

كان ذلك على وجه التحديد صيف عام ( ١٩٦٢م )، السنة التي تخرجت فيها من قسم التاريخ في كلية تربية جامعة بغداد. كان يتملكني يومها تياران آسران: الأدب، أو الفن بمفهومه الشامل، والتاريخ، أو حركته المتدفقة بشكل أدق. ولم أكن أتصوّر أن بالإمكان تحقيق لقاء جاد بينهما فيما عدا بطبيعة الحال صيغة الرواية أو القصة التاريخية التي هي معطيات أدبية بالدرجة الأولى ولا يمكن بحال أن تغني العمل التاريخي الجاد.

ولكن وبمرور الوقت، وبما بدأت أتلمّسه في مرحلة الماجستير من بوارِ مُخزِنٍ في عقلية رجل التاريخ في بلادنا، بدأت أحسّ بالاختناق، وبأن المسألة أكثر تعقيدًا مما تصورت. كانوا يعملون تحت مبدأ ( إما هذا أو ذاك )، إما البحث التاريخي العلمي الصارم وإما الأدب، فليس ثمة لقاء بين النقيضين.

على أية حال كانت التجربة ذات طابع شخصي قد لا تجد لها سندًا موضوعيًا مقنعًا، وهكذا وجدتني أنهي مرحلتي الماجستير والدكتوراه بأكبر قدر ممكن من ضبط النفس لتقديم عملين ( علميين ) صرفين كما هو المطلوب، نال أحدهما وهو ( عماد الدين زنكي ) درجة جيدًا جدًّا ونال الآخر وهو ( الإمارات الأرتقية في ديار بكر ) درجة الشرف الأولى، رغم أنني رجعت إلى أولهما فأعدت صياغته اللغوية وخففت الكثير من ثقلة هوامشه وكتبت له مقدمة صببت فيها هجومًا مبالغًا فيه ضد القطيعة التي يعلنها المؤرخ العربي على المؤثرات الفنية في البحث التاريخي: منهجًا وموضوعًا وأسلوبًا.

زادت تجربتي التدريسية ومعايشتي لأنماط شتى من الأساتذة الجامعيين من الإحساس بثقل التجربة التي أسميتها بالحصار المدرسي. وكانت قد مضت فترة من الزمن على ما يمكن تسميته بمحاولات تجريبية عديدة لتحقيق الوفاق من جهة ولكتابة عدد من المقالات المضادة للأكاديمية بصيغتها الجامدة من جهة أخرى، وآن الأوان لكي أخوض محاولةً أكثر اتساعًا تتميز بالشمول والتوحد وتسعى لكي تكون تعبيرًا عن اللقاء المنشود.

وهكذا جاء بحث ( ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ) ثمرة لهذا التوجه. وأذكر أنني ما كنت أبدأ جلسات العمل بين الحين والحين قبل أن أشغّل جهاز التسجيل لكي ما تلبث ألحان موتزارت وبيتهوفن وجايكوفسكي وكورساكوف تصدح بهدوء إلى جواري فتمنحني الخلفية والتأثيرات والمناخ المطلوب.

إن نبض الملامح متوحد مع إيقاعٍ موسيقي ينتشر في الخلفية، ويسهل على الفنان أن يكتشفه ببساطة...

كنت أرسم شخصية عمر الفذة، وأشكّل معاناته بمزيج متوازن من النصوص والكلمات والألحان...

قد تسألني عن الفرق بين عمل كهذا وبين الرواية التاريخية فأجيبك بأنه ليس ثمة تشابه أو لقاء أبدًا؛ لأنني لم أكتب كلمة واحدة تستمد تكوينها من الخيال المحض. كان الكتاب متشكلًا وفق طريقة علمية، وموثقًا بما لا يدع مجالًا للطعن. ولكن طريقة التشكيل ولغة العرض وتوزيع الكتل والمساحات وفرش الألوان هو الذي أحال هذا العمل العلمي إلى ما يمكن اعتباره في الوقت نفسه لوحة فنية أو مقطوعة موسيقية.

ربما كانت شخصية عمر نفسه، بما تتضمنه من تقابلات درامية حادة، وتطلّع إنساني عجيب صوب الآفاق الرحبة، وسعي حثيث إلى ما وراء المنظور والملموس، وتحقق فذّ بالتجربة الإيمانية المؤثرة التي تربط الأرض بالسماء... السبب وراء نجاح المحاولة إذا جاز لي أن أحكم عليها... ولكن - لحسن الحظ - فإن جمهور القراء الذي اعتز به، أغناني عن هذا الحكم؛ إذ كان الإقبال على الكتاب غير متوقع على الإطلاق، رغم الحناجر الأكاديمية الجافة التي صرخت كثيرًا بمواجهة المحاولة، ولكنها ما لبثت أن سكتت؛ لأنها لم تجد أيما ثغرة، بمقاييس المنهج، تنفذ من خلالها إلى الكتاب.

رغم ذلك كله لم أرتح لبعض مساحات الكتاب التي كانت النبرة التأثّريّة تطغى فيها، ليس على حساب الحقائق أبدًا، ولكن - ربما - على حساب ما يتطلبه التاريخ من رصانة!!

ذلك هو النقد الذاتي الذي مارسته تجاه المحاولة وقد أفدت منه كثيرًا في مستقبل الأيام. فطيلة السبعينيات سعيت جاهدًا لكي أتحقق بوفاق أكثر توازنًا بين كافة أطراف العمل التاريخي الذي يتوجب أن يكون علميًا وإبداعيًا في الوقت نفسه.

وأقف قليلًا عند تجربتي مع ( نور الدين محمود: الرجل والتجربة ) فهي بشكل من الأشكال استمرار لمحاولتي مع عمر وإفادة - في الوقت نفسه - من بعض مآخذه.

كانت فكرة الكتابة عن الرجل تلحّ عليَّ منذ زمن بعيد. فبينما أشبع هذا القائد بحثًا على المستويين السياسي والعسكري، لم يحاول أحد في المقابل، اللّهم إلا المؤرخ الفرنسي نيكيتا الليسيف في كتابه الموسع عنه، أن يتناول الجانب الآخر من مآثره:

شخصيته وإنجازاته البنائية في الخطوط الخلفية... بل انقلابيته التي أعاد بواسطتها تشكيل الحياة الإسلامية وفق أطر ومنظورات إسلامية أصيلة، تمامًا كما فعل سلفه الأموي عمر بن عبد العزيز.

وكما فعلت مع عمر نفذت هاهنا منهجًا يقوم على رسم صورة دقيقة للرجل أولًا، ثم الانتقال بعدها لعرض وتحليل منجزاته الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والعلمية.

لم أشأ - كذلك - أن أتابع الطريقة التقليدية التي تقوم على المتابعة الزمنية المستقيمة للشخصية وإنما اعتمدت ما يمكن اعتباره عملية ( مونتاج ) تسعى لتناول الشخصية من زوايا مختلفة بغض النظر عن مسألة التتابع الزمني... فهاهنا يمكن أن نحظى بخطوط أكثر عمقًا، وبألوان أكثر تأثيرية، وبإضاءات أشد تركيزًا عن تكوين الرجل.

كانت اللغة أكثر اقتصادًا، ولم أشأ أن أجعل الإيقاع الجمالي للكلمات مكشوفًا إلى الحد الذي يبدو فيه البحث أقرب إلى أن يكون عرضًا أدبيًا كما فعلت في ( الملامح )... لم أضع جهاز التسجيل إلى جانبي لكي أكتب وهو يعزف موسيقاه في الخلفية الذهنية... دفعت بالتناغم إلى الداخل، إلى طبقة أبعد من ظاهر التعابير والكلمات، من أجل أن أجعل شخصية نور الدين نفسه تعزف موسيقاها الخاصة، وتطرح تناغمها العجيب، ليس - أيضًا - على حساب العلم والمنهج، كما قد يتصور بعض السذّج من الأكاديميين الذين لا يقدرون على شيء، ولكن بالتوثيق المطلوب؛ إذ لم تحدث أية إضافة من الخيال، وكل المواد البنائية التي اعتمدت في إقامة الهيكل الشخصي، ما كانت قادمة إلّا من بطون المصادر وشهادات شهود العيان.

ما دمت بصدد ( السيرة ) أو ( الترجمة ) فلا بدّ من الإشارة إلى واحد من أعز المنجزات التاريخية على قلبي وعقلي: ( دراسة في السيرة ) ليس فقط؛ لأنها تتناول حياة القائد والرسول والمعلم: محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فتشبع في النفس حاجة عميقة. ولكن لأنني نفّذت فيها - قدر طاقتي - ما كنت أتمناه دائمًا: أن يغدو المؤرخ مهندسًا معماريًا بالدرجة الأولى، يأخذ على عاتقه أن يحقق الوفاق بين الثنائيات المتقابلة: العلم والجمال، المادة البنائية وطرائق البناء، الصرامة المعمارية

ولمسات الوجدان البشري التي ترفّ فتعلو على مقولات الحجر والأسمنت والحديد!

هاهنا أيضًا كان لا بد من كسر الحاجز الزمني، هذا التقليد الرتيب الذي قاد حشودًا من المؤرخين القدامى والمعاصرين إلى أن يتابعوا أحداث السيرة الغنية المتشابكة وفق مجراها الزمني الصاعد فتنقطع الوقائع، وتشتبك الأحداث، وتغيب الأبعاد الحقيقية لوحدات السيرة ومعطياتها النوعية وعلائقها وأنماطها.

كنت أحسّ أننا بحاجة إلى أن نعرف السيرة من خلال منهج جديد؛ توزيع المادة التي تشكلها وفق امتداداتها النوعية، ومعالجتها كلًّا في بيئته ودائرته: مسألة المنشأ والتكوين، النبوة، الدعوة في عصرها المكي، الهجرة، دولة الإسلام في المدينة، الصراع ضد الوثنية، الصراع ضد اليهود، العلاقات مع الجبهة البيزنطية - النصرانية، حركة النفاق.

كان ( مونتغمري وات ) المستشرق البريطاني المعاصر ( الذي سأناقشه فيما بعد في بحث عن منهج المستشرقين إزاء السيرة فيما كلفتني به المنظمة الثقافية لجامعة الدول العربية والذي سيصدر في مجلد خاص بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري )... كان هذا الرجل قد سبق إلى شيء من هذا، ولكن المنظور يختلف، وكان القارئ المسلم في أمسّ الحاجة إلى عرض للسيرة يعتمد الوحدة النمطية بدلًا من التتابع الزمني.

وبتوفيق من اللّٰه وحده كان موقف القراء هذه المرة أيضًا هو الحكم الفصل إزاء نجاح المحاولة أو فشلها؛ فلقد أعيد طبع الكتاب مرارًا ولا يزال، ومن عجب أنه وعدد من مؤلفاتي التاريخية المتواضعة التي ثار ضدها بعض الأكاديميين، قد أقرّ للتدريس في أكثر من جامعة!!

هاهنا أيضًا كانت الفصول الأولى بمثابة رسم للشخصية؛ وكانت الفصول التالية بمثابة عرض وتحليل للإنجاز... وهاهنا أيضًا تم الاقتصاد في اللغة، والتركيز في الكلمات والتعابير، وجُعلت شخصية الرسول ﷺ تتحدث بلغتها المتفردة، وتعرض نفسها المترعة بعمق التجربة وغورها البعيد، متألقة، نادرة، تشع سنى وضياءً...

ثمة أيضًا خطيئة مارسها كثير ممن درسوا سيرة رسول اللّٰه ﷺ، أنهم كانوا يقفون عند جانب أو أكثر من جوانبها الغنية المزدحمة، لكن معظمهم ما سعى إلى الحديث

عن جوانبها كافة: ذاتية وحركية وسياسية وعسكرية وفقهية وروحية وواقعية وغيبية وعقيدية وحضارية.

ورغم ما قد يتضمنه الكتاب من ثغرات وأخطاء فإنني أعتبره واحدًا من أعز كتبي المتواضعة على نفسي.

ثمة مؤلفات تاريخية صدرت لي فيما بعد، أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات: « فصول في المنهج والتحليل » الذي أشرت إليه في رسالتي « ابن خلدون إسلاميًا » الذي يردّ على تحدّي الجهل والتحامل ويسعى إلى إعادة هذا العقل الفذّ إلى بيئته الأصيلة التي انتزعه منها المفكرون الغربيون، وسيتبعها بإذن اللّٰه كتاب « حول منهج كتابة التاريخ الإسلامي ».

وهذه المؤلفات ( بإضافة بحث منهج المستشرقين إزاء السيرة الذي مر ذكره قبل لحظات ) تحاول أن تعالج مسألة المنهج من أكثر من زاوية، وتمسّ كذلك فلسفة التاريخ وتفسيره بشكل أو آخر، وتسعى في الوقت نفسه إلى تنفيذ بعض المحاولات كانعكاس لمطالب المنهج المرتجى.

لن يتسع المجال في حوارنا هذا للحديث عنها جميعًا، ويمكن أن تجد في مقدمة كل منها وفصوله الأولى عرضًا تحليليًا لمؤشّرات الكتاب وللضرورات التي أعتقد أنها تكمن وراء تأليفه، وللبيئة التي تخلّق فيها.

وهناك كتابان آخران يعدان امتدادًا لمؤلفاتي الأكاديمية الصرفة ( عماد الدين زنكي ) و ( الإمارات الأرتقية ) وهما ( عصر ولاة السلاجقة في الموصل ) الذي كتب في بدء الستينيات مع ( عماد الدين زنكي ) وأتيح له النشر أخيرًا، وكتاب ( دراسات تاريخية ) الذي يتضمن حصيلة أبحاث متفرقة على مدى زمني جاوز السنوات الخمس، وكان من بينها بحث قدم للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ الشام وفلسطين الذي أقامته الجامعة الأردنية في عمان ربيع عام ( ١٩٨٠م )، وآخر قدم لندوة الإسلام والاستشراق التي عقدت في الهند شتاء عام ( ١٩٨٢م ).

وهكذا أجدني أصنّف لأول مرة، وبفضل الحوار الذي بدأته معي، كتبي التاريخية المتواضعة إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأكاديمية، ومجموعة التراجم، ثم مجموعة

المؤلفات المتعلقة بالمنهج، وإن كان يصعب - عمليًا - إقامة حدود فاصلة بين هذه المجموعات الثلاث؛ إذ إن كلًّا منها يتضمن جوانب مما تتضمنه الأخرى. لكن الحكم ينصبّ ها هنا على المساحات الأوسع، على المحاور الأساسية التي تدور عليها هذه الكتابات.

قد تسألني: وماذا بصدد ( التفسير الإسلامي للتاريخ )؟

اسمح لي أن أؤجل الحديث عنه إلى رسالة أخرى خشية أن يطول بناء السرى وأن أشقّ عليك، ودعني أرجع إلى رسالتك، إنك تثير فيها حشدًا من القضايا، وتطرح عددًا من المسائل ذات الأهمية البالغة في مجال التعامل مع « التاريخ »، تحاول أن تمحورها حول هذا المانشيت العريض « هل لقراءة التاريخ وظيفة وقضية؟ ».

وأجدني - حينًا - مندفعًا معك في بعض ما تطرحه، وأجدني - حينًا آخر - متحفِّظًا إزاء بعضه الآخر، وقد يتجاوز التحفظ حده فيغدو معارضة ورفضًا.

لك الحق في أن تفصل بين التاريخ والجغرافيا، إلا بمقدار؛ لأن محاولة الربط القسري بينهما، وجعلهما مثلّثين تناظرت زواياهما يوقعنا في أكثر من خطأ. ولك الحق - كذلك في الدعوة إلى التجرد عن تأثيرات الحاضر المادية والمعنوية، أي الثقافية عمومًا، ومحاولة إسقاطها على التاريخ، والتحول - بدلًا من ذلك - إلى نوع من المعايشة التاريخية التي تسعى إلى استنطاق مقولات الواقعة نفسها لكي تتحدث بنفسها عن صيغ تشكّلها، ومسالكها وأهدافها.

لكن الحق - فيما أعتقد - ليس معك تمامًا وأنت توجه إلى الفكر العربي المعاصر أكثر من تهمة « كون مفهوم التاريخ لديه مجهول القضية، ساكن الحركة، مشوش الأبعاد »، وكون منجزاته التاريخية تتضمن « سلبيات ونواقص عديدة سواء أكانت على المستوى الأكاديمي أم غيره » وكون « الطلبة من الشباب المحصّلين لدرجات أكاديمية قد فشلوا في الكتابة التاريخية فشلًا ذريعًا ». كما أن الحق ليس معك تمامًا وأنت توجه سؤالك بهذه الصيغة المقفلة « لماذا لم تنجح التجارب العلمية للكتابة التاريخية في الفكر العربي الحديث؟ » وأنت تجزم في صفحة تالية « بأن الطالب العربي الذي يقرأ تاريخ الإسلام لا يجد إلّا ركامًا كبيرًا من كتب قديمة حولية يضيع في متاهاتها، أو مراجع مختصة لا تفيده ».

لعلها مشكلة اللغة تقودنا أحيانًا إلى ما لا نريده، إنها نوع من سوء التفاهم الذي أشار إليه الأديب الفرنسي البير كامي في مسرحية له بهذا الاسم، بل إنه أقام عليها عمله الدرامي المؤثر هذا... ولقد وقعت أنا كذلك في بدايات عهدي بالكتابة، وربما لا أزال، في هذه ( الورطة ) ووجدتني، بسبب التعبير غير المدروس جيدًا، والكلمات غير المحكمة، انساق إلى تعميمات وصيغ مقفلة رأيتني ملزمًا بالرجوع عنها فيما بعد... إنني ألمس ثانية هذا التوجه في حوارك، فإن الفكر العربي المعاصر، على ما يعانيه من سلبيات بصدد أنشطته في حقل التاريخ، يتضمن ولا ريب نقاطًا مضيئة ومعطيات أغنت المكتبة التاريخية، وأنارت لنا الدرب، وعلمتنا الكثير. هل ثمة من حاجة لذكر بعض هذه الأعمال؟

لكنك ما تلبث أن تنتهي إلى طرح المقولة التالية التي ربما تكمن وراء حكمك الصارم هذا « كم من النتاجات الميتة معلّقة على رفوف المكتبات لا يحفل بها أحد؛ لأنها فاقدة لوظيفتها وقضيتها جملة وتفصيلًا؟ » وتتساءل « ألا ترى بأن الموهبة والمعرفة هما أساس كل نتاج حي؟ ».

لقد وضعت يدك - والحق يقال - على مفتاح المسألة، وطرحت بكلمات مركزة ذات دلالة مشكلة الفاصل الواسع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون.

إن الكثيرين من حملة الشهادات العليا في حقل التاريخ، ولا أقول المتخصصين، يملكون المعرفة - ربما - لكنهم - أغلب الظن - لا يملكون الموهبة بالمعنى الشامل للكلمة: الأدوات الذاتية والموضوعية اللازمة لتنفيذ المعرفة التاريخية وتحويلها إلى أعمال ( حية ) تؤدي دورها المطلوب في حقل العمل التاريخي، وتتجاوز الموات الذي تعانيه أغلب هذه الأعمال التي تجد نفسها معلقة على رفوف المكتبات، لا يحفل بها أحد.

وتعال لندعو معًا بعض المعنيين بحقل الدراسات التاريخية ليلقوا نظرة على العديد من أطروحات الماجستير والدكتوراه في التاريخ الإسلامي والتي تدفقت كالسيل في الجامعات العربية والعالمية، ولا تزال... فإن الحصيلة الأخيرة التي يمكن أن يخرج بها هؤلاء المدعوون إلى وليمة الأكاديمية الراهنة هي أنهم لم يجدوا لها طعمًا أو مذاقًا، بل إن بعضهم ترك المائدة قبل أن يضع لقمة واحدة في فمه...

القرف!! هذا ما ينتاب الإنسان أحيانًا وهو يطالع بعض الأطروحات أو حتى المجلات المسماة بالعلمية أو الأكاديمية؛ حيث لا يجد المرء وراء نصوصها المكدسة أيما شيء ذي قيمة: لا قوة الخيال، ولا حضور الشخصية، ولا الرؤية المقارنة، ولا الذكاء المتوقد، ولا القدرة على تنفيذ منهج هندسي معماري مرسوم في ترتيب المادة الأولية، ولا يجد كذلك لغة محكمة وأسلوبًا مناسبًا لطرح الاستنتاجات وللتعبير عن الأفكار.

أعتقد أننا متفقان معًا، ومن أجل ألّا يتسلّل أدعياء العلمية إلى حوارنا فيتهموه بما لم يقله، متفقان على الضرورات العلمية للبحث التاريخي وأنه - بدونها - يفقد قيمته كعمل يستحق الاحترام... أليس كذلك؟ ولكننا متفقان فضلًا عن هذا بما لا يقل عن الضرورات العلمية أهمية وهي تلك الشروط والإمكانات التي أشرتُ إليها قبل لحظات والتي بإضافتها إلى الضرورات العلمية يستكمل العمل التاريخي أسبابه ويصبح قادرًا لأن يلعب دوره البنائي المؤثر في حقل الدراسات التاريخية.

وهذا يقودنا إلى ما نسمّيه بـ « قضية التاريخ »، أي توظيف المعطيات التاريخية لخدمة الحاضر، وبناء المستقبل، وهي مسألة لا أعتقد أن أحدًا يختلف فيها من ناحية المبدأ، لكن الخلاف قد يقع في طرائق التوظيف وصيغه. « إن قضية التاريخ - كما تقول في رسالتك - لها أهميتها في عالم الفكر العربي اليوم نظرًا لما ستقود إليه معالجاتها من نتائج، وذلك على مختلف الأصعدة والحقول » ثم تتساءل « ألا ترى بأن معالجاتنا لتاريخنا لا زالت قاصرة عن أداء دورها الحيوي ليكون على أسمى درجة من الإفادة والنفع؟ ». ومن أجل أن تؤكد هذا القصور تشير إلى عجز المؤرخين العرب من أكاديميين وغير أكاديميين عن تحرير دائرة معارف إسلامية ( انسكلوبيديا ) لتاريخنا الإسلامي في وقت لا نزال نعتمد فيه على تلك الانسكلوبيديا التي حررها ( الغرباء ) عن تاريخنا... وفي وقت نجد معظم الأمم الناشطة قد أخرجت تاريخها إخراجًا موسوعيًا.

والحق أننا من أجل أن نخدم « قضيّة » التاريخ لا بُد من أن نتحقّق بأعمال جماعية موسوعية كهذه، وهناك ما هو أخطر من ( الموسوعة )، تلك الدعوة التي أخذت تطفو على سطح الأنشطة التاريخية منذ أكثر من عقدين ولا تزال: الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي.

وقد أشرت إلى بعض ملابسات هذه المسألة، وضرورتها القصوى، في المؤلف الذي أشرت إليه قبل قليل، والذي سيأخذ طريقه إلى النشر قريبًا بإذن اللّٰه: ( حول منهج كتابة التاريخ الإسلامي )، وأجدني مضطرًا إلى إيراد بعض الاستنتاجات التي وردت هناك على سبيل الإيجاز من أجل تأكيد وجهة نظرنا المشتركة حول الموضوع.

إن محاولات عديدة - لحسن الحظ - شهدتها العقود الأخيرة من هذا القرن، استهدفت تنفيذ محاولة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، على مستوى الأفراد والمؤسسات، وهذا يدل على تزايد الوعي التاريخي الذي كان يعاني في الفترة السابقة من التسطّح والضحالة والغياب. إلا أن معظم تلك المحاولات لم تأت بطائل، فما أن مضت خطوات في الطريق حتى توقفت وأعلنت بلسان الحال أو بلسان المقال عجزها عن مواصلة الطريق... مؤسسات حكومية، وقيادات فكرية، وجامعات عربية، ومنظمات ثقافية، وتجمعات تخصصية، وأفراد متفرقون هنا وهناك، كلهم دعوا إلى المحاولة وطرحوا بعض الإضاءات وليس ثمة أكثر من هذا، ومضت الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ تصدر من هنا أو هناك ملحة في الطلب، مؤكدة القول، وهي دعوة تؤكد - مهما كانت النيات التي تختبئ وراءها - حضور الوعي التاريخي وتكشّفه وانتشاره، وتعزز الوجهة العلمية القائلة بأن اكتشاف قدرات أمة من الأمم وتمكينها من المعاصرة والحركة صوب المستقبل، والاستجابة للتحديات والتفوق عليها، لا يتحقق إلا بالرجوع إلى التاريخ وكشف النقاب عن معطياته وملامحه ومؤشراته، الأمر الذي لم يكن، في النصف الأول من هذا القرن، على هذه الدرجة من الوضوح والتأكيد، يوم كان يرى في الالتفات صوب الماضي، على أثر الصدمة الحضارية الغربية، نوعًا من الانتحار الزمني في عصر سباق الحضارات، وكان يرى فيه نزوعًا رجعيًا، وغيابًا عن العصر، وعرقلة للتوجه المستقبلي، ويوم أن كانت ذيول المدرسة المادية التاريخية تطرح بفجاجة وسخف مقولتها الخاطئة بضرورة تجاوز التوجه التاريخي، وقطع الجذور، وإلغاء مقولات المسيرة، والانطلاق من نقطة الصفر الزمنية صوب المستقبل.

اليوم غابت هذه الرؤى التي ينفيها العلم بحقائق الأشياء، واختفت تلك الأصوات التي لم تكن تملك سببًا للبقاء والاستمرار... واليوم تحل محل هذا وذاك تلك الدعوات الملحّة التي تصدر - كما رأينا - عن العديد من مراكز الثقل والتوجيه

والفاعلية: أكاديميًا وعقائديًا وسياسيًا، الأمر الذي يؤكد حضور التاريخ في نسيج وجودنا الحاضر وحتمية اعتماد مكوناته في لحمة هذا النسيج وسداه؛ حيث لا يكف النول عن الذهاب والإياب.

تُرى - يتساءل المرء - لماذا لم تستطع أية محاولة من هذه المحاولات أن تواصل الطريق وأن تحقق هدفها المنشود؟

ثمة أسباب عديدة وقفت - ولا تزال - في طريق هذا الهدف، ونحن إن عرفناها جيدًا فكأننا نكون قد عرفنا مواطن الداء فسهل علينا انتقاء الدواء.

**فمن هذه الأسباب** على سبيل المثال لا الحصر:

**أولًا:** عدم وضوح الرؤية بالنسبة لطبيعة العمل. فمن قائل بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه، واعتماد بنية جديدة لوقائعه وصيرورته ترفض ما قدّمه مؤرخنا القديم، ومن قائل بضرورة إعادة تفسير وتحليل معطيات هذا التاريخ بدلًا من إعادة تركيبه... وآخرون لا يعرفون على وجه الدقّة واليقين ما الذي يقصدونه بالعمل المنشود؛ لأن الضباب يلفّ تصورهم فلا يتيح لهم الفرصة لاستبانة ملامح الطريق.

**ثانيًا:** ومما يرتبط بهذا غياب المنهج وضعف القدرة على التخطيط؛ فقد تتضح الرؤية أحيانًا وتتحدّد طبيعة العمل وتتكشف أبعاده، لكن أسلوب العمل وطرائقه، المنهج - بعبارة أخرى - غير متحقق، ونحن قوم - ولنقلها بصراحة - نعاني ضعفًا في قدراتنا التخطيطية ليس هذا مجال استعراض أسبابه، ولشدّ ما ينعكس هذا الضعف على عدم طرح برنامج عمل محدّد الخطوات، مكتمل المفردات، مثبت الأهداف والغايات.

**ثالثًا:** ونحن قوم نعاني - كذلك - من فقدان الروح الجماعية التي علمنا إياها هذا الدين وربّانا عليها وألزمنا بها، ولكننا تخلّينا عن الكثير من مقولاتها وتجمدت سلوكياتنا على صيغ فردية قد تبلغ حد الأثرة والأنانية في كثير من الأحيان فتمحو القدرة على التوجه الجماعي الذي تتكامل فيه الطاقات وتنضفر القدرات ويتدفق العطاء لكي يصب في الهدف الواحد.

والمشاريع الكبيرة في ميادين العقيدة أو الفكر أو العمران والاقتصاد لهي بأمسّ الحاجة إلى هذه الروح الجماعية التي يعرف الغربيون كيف يعتمدونها لتحقيق الأعاجيب والمعجزات في ميادين الإنجاز. وإعادة عرض التاريخ الإسلامي، أو تحليله، عمل كبير، ويوم نتحقق ثانية بروح الفريق، كما أراد لنا الإسلام أن نكون، يوم نتجاوز الفرديات والحساسيات والأنانيات صوب ما هو أكبر وأشمل، حينذاك نستطيع أن نضع خطواتنا على الطريق.

**رابعًا**: غياب التوحّد في الرؤية، فليس بمقدور فريق من المؤرخين يتجه بعضهم يمينًا ويمضي بعضهم الآخر شمالًا، أن يحققوا الهدف المنشود، وكيف سيكون العمل الذي يفترض أن يتوحد نسيجه، إذا كان بعض النسّاجين ليبراليًّا، وكان بعضهم الآخر ماديًّا، وكان بعضهم الثالث متصوّفًا، وكان بعضهم الرابع علمانيًّا، وكان بعضهم الخامس إقليميًّا، وكان بعضهم السادس مصلحيًّا؟ كيف يتحقق مشروع يراد منه تقديم تحليل متوحد لمجرى التاريخ الإسلامي إذا كانت بعض مساحاته منسوجة بالقطن وأخرى بالصوف وثالثة بالديولين ورابعة بالحرير؟ إنه لأمر مستحيل، بل قد يكون مدعاة للسخرية!!

**خامسًا**: وثمة ما يراد أحيانًا بمشروع كهذا احتواؤه عقديًّا وتوظيفه من أجل هذه الايديولوجية أو تلك، وهذا نقيض الموضوعية، والموضوعية شرط حاسم من شروط البحث العلمي الجاد. ثم إن محاولات كهذه قد تملك المال والقدرة ولكنها لا تملك النفس الطويل الذي يمكنها من المضيّ في الطريق حتى نهايته؛ ذلك أنها رهينة بظروف مرحلية ومتغيرات زمنية، وسرعان ما تتوقف بتحول صيغ معادلات الظروف المرحلية والمتغيرات الزمنية.

**سادسًا**: وقد يرتبط بهذا انعدام النية الصادقة وتحويل الدعوة إلى عمل دعائي صرف، والأعمال بالنيات - كما يقول رسولنا ﷺ - ولكل امرئ ما نوى. وإذا طال الطريق بين النية والفعل بسبب ضخامة العمل وانفساح المشوار، فلا تؤتمن العواقب، وربما يكتفى بالمظاهر السريعة الخادعة بدلًا من الجوهر المخبوء، صعب المنال.

**سابعًا**: وقد تلعب الحواجز الجغرافية والسياسية بين مؤرخي عالم الإسلام والتي تتزايد بمرور الأيام، دورها في إعاقة المهمة وعرقلة مضيّها إلى الهدف المرتجى، فكلما

تنادى حشد من المؤرخين هنا وهناك وهنالك لتنفيذ هذا المطلب الملح وجدوا في طريقهم من الأسلاك الشائكة والعقابيل والموانع والمتاريس ما يجعل تحركهم صعبًا قاسيًا ومهمتهم مستحيلة فيكفون عن الإدلاج فيما لا بادرة ضوء فيه ويعودون من حيث جاؤوا.

**ثامنًا:** يرتبط بهذا - أحيانًا - نقص ملحوظ في الاختصاصات وعدم تكاملها أحيانًا، فهي قد تتزايد في جانب ما وتشح في جانب آخر، تبرز وتطغى في هذه المرحلة وتنزوي وتذوى في مرحلة أخرى. والأعمال الجماعية ما لم تتحققْ بالتوازن والتكامل والتغطية لكافة الجوانب والمساحات فلن يرجى تنفيذها... وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، أو عرضه وتحليله، مشروع كبير، فما لم تتبناه وتدعمه مؤسسة قديرة على لمّ الطاقات وتوفير الاختصاصات المتكاملة وتوازنها، باء بالفشل المحتوم؛ ولذا كان هذا الفشل المحتوم مصير عدد من المحاولات التي لا تملك دعمًا يمكنها من التكامل، وسيكون.

**تاسعًا:** وما يقال عن هذا يمكن أن يقال عن قلّة الإمكانات المادية والفنية لكل مشروع يدّعي القدرة على العمل بعيدًا عن الدعم والإسناد... والإمكانات المادية والفنية ضرورة من ضرورات المشاريع الفكرية الكبيرة، وإلّا كنا كمن يرجو من ماكنة ضخّ لا تتجاوز العشرين حصانًا أن تسقي مزرعة تمتد مسافاتها إلى مئات الأفدنة وألوفها.

**عاشرًا:** وثمة أخيرًا - وليس آخرًا - ذلك الإحساس المتزايد بالإحباط والذي يتراكم إثر فشل كل محاولة وإخفاق كل مشروع بعد إذ يمضي خطوات فحسب في الطريق، وهو إحساس ذو تأثير سيئ غاية السوء، يوحي فيما يوحى، بخطأ الفكرة واستحالة تحققها، ويكبّل الإرادة المسلمة من الداخل بالغلّ الذي يشلها عن التهيؤ وشحن الطاقة والانطلاق لتنفيذ الأعمال الكبيرة. وما لم تتداع لإنقاذ الدعوة من مزيد من الورطات والمطبات. والإخفاق فإن الإحساس بالإحباط سينتزع المبادرة من أيدينا وسيسلمنا إلى الشلل المحتوم.

ولنرجع - أخيرًا - إلى مسألة توظيف التاريخ التي تقف عندها في الفقرات

الأخيرة من رسالتك « توظيفه لمعالجة الأوضاع المعاصرة وقضاياها الخطيرة » وعلى كافة المستويات « الفكرية والجغرافية والتربوية والعلمية »... باختصار « تحويل التاريخ إلى مدرسة قيّمة لكل الأفراد والمجتمع ».

إن مالك بن نبي المفكر الجزائري المعاصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يحذّر من الاتكاء الكلّي على الخبرة التاريخية والاندماج الكامل في التراث؛ لأن من شأن موقف كهذا أن يفصلنا عن الحاضر ويغيّبنا عن الحضور في قلب العصر حيث المطلوب إثبات الوجود، جنبًا إلى جنب مع الحركة من أجل حماية الذات، وهكذا تكون نتائج السلب أكثر من عناصر الإيجاب. يقول الرجل في محاضرة له عن ( إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ) « بأننا عندما نتحدث إلى فقير لا يجد ما يسدّ به الرمق اليوم، عن الثروة الطائلة التي كانت لآبائه وأجداده، إنما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدّر يعزل فكره مؤقتًا وضميره عن الشعور بها، إننا قطعًا لا نشفيها فكذلك لا نشفي أمراض مجتمع بذكر أمجاد ماضيه. ولا شك أن أولئك الماهرين في فن القصص قد قصّوا للأجيال المسلمة في عهد ما بعد الموحدين قصة ألف ليلة وليلة، وتركوا بذلك أثر كل سحر نشوة تخامر مستمعيهم حتى يناموا فتنغلق أجفانهم على صورة ساحرة لماضٍ مترف. ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير في الغد فتنفتح أبصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسي الذي يحيط بها في وضعها الذي لا تغبط عليه اليوم. فالأدب الذي ينشد ( عصور الأنوار ) للحضارة الإسلامية يؤدي أولًا هذين الدورين: إنه أتاح في مرحلة معينة الجواب اللائق للتحدي الثقافي وحفظ هكذا مع عوامل أخرى على الشخصية الإسلامية، ولكنه من ناحية أخرى صبّ في هذه الشخصية الإعجاب بالشيء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية والميكانيك ».

وأنت تطرح في رسالتك التحفظ نفسه « لا أقول بأن علينا أن نتشرنق بالماضي وننعزل عما يفيدنا من حضارات وثقافات أمم أخرى » وما تلبث أن تشير إلى الجانب الآخر للمعادلة « يجب أن نفهم بأننا نرتبط بتاريخنا وأصولنا وتراثنا ارتباطًا عضويًا وروحيًا، ولا يمكن أن ننفصل عن كل ذلك كي نعيش على هامشه لنضيع أمام زحمة العصر، لتسحقنا أمم أخرى تحت رهبة عجلتها القوية المتقدمة وثقافاتها وأساليبها الغربية ».

إنني أتفق معك على صيغة هذه المعادلة؛ لأن أي خللٍ في بنائها صوب هذا الحدّ أو ذاك سوف يقود بالضرورة إلى نتائج خاطئة تتمخض عن صياغة موقف خاطئ في مسألة توظيف التاريخ.

أما تفاصيل عملية التوظيف هذه وشروطها على ضوء المعادلة آنفة الذكر فأعتقد أنني سبق وأن تحدثت عنها في أكثر من مكان من كتبي التي سبق وأن أشرت إليها وبخاصة في موضوع ( موقف إزاء التراث ) الذي نشر ضمن كتاب ( فصول في المنهج والتحليل ).

* * *
* *
*

# اللقاء الثالث (*)

○ **في البداية سألته: هل ترى أن هناك حاجة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي؟**

* هذه المسألة لا تعني البدء من نقطة الصفر. كما أنها لا تعني رفض كل المعطيات السابقة، ولكنها محاولة لوضع ضوابط لتقديم النموذج الأكثر مقاربة للوقائع التاريخية، وهي محاولة ينوء بها الأفراد ولا بدّ لها من مؤسسة تملك من القدرات الفنية والمالية والعلمية ما يؤهّلها لذلك.

○ **لقد أثبتت الدراسات أن التاريخ الإسلامي ينطوي على خيط صهيوني... كيف يمكن تنقيته من هذا الخيط؟**

* إذا كان المقصود بهذا الخيط الدور الذي لعبه اليهود في التآمر على الإسلام ودولته وقياداته ونفخ روح الفتنة في جسد الأمة، فهذا صحيح، فلقد مارس اليهود دورًا كبيرًا في هذا المجال. وهنالك - على سبيل المثال - ابن سبأ والفرقة السبئية التي نفخت نار الفتنة في صفوف المسلمين الأمر الذي أدى إلى قتل عدد كبير منهم في معارك عديدة أبرزها موقعة الجمل، فيما يؤكده الطبري في روايات عديدة.

○ **هل هناك معايير راشدة لقراءة التاريخ الإسلامي؟**

* يقودنا هذا إلى أنه ليس ثمة في تاريخ أية أمة إلّا الأبيض والأسود، وكل أمة تمارس ما هو خير وما هو شرّ، ولا نستطيع أن نجزم بأن المسلمين جميعًا كانوا خيّرين، فهنالك دائمًا الملائكة والشياطين، والبحث الجاد هو الذي يكشف عن الحالتين معًا... لكن - إذا أردنا الحق - فإننا سنجد كيف أن المساحات البيضاء تغطي المدى الأوسع في تاريخنا... وبخاصة في مسألة تعاملنا مع الآخر ومنحه الحرية المطلقة في ممارسة حقوقه الدينية والمدنية على السواء فيما لم ترق إليه أية تجربة تاريخية أو حتى معاصرة. ولنتذكر - على سبيل المثال - ما فعلته الصليبية الكاثوليكية بمسلمي الأندلس، والشيوعية السوفياتية بمسلمي القرم.

(*) أجرى الحوار في الزقازيق بجمهورية مصر العربية مندوب صحيفة ( الوفد )، ونشر في عددها الصادر في ( ٢٧ أكتوبر ١٩٨٩م ).

**○ هنالك ثلاث ملايين مخطوطة لم تحقق لحدّ الآن، ما الدور الذي يمكن أن يقوم به أساتذة التاريخ الإسلامي؟**

* يوجد الآن توجّه في الجامعات الإسلامية للمساهمة في عملية تحقيق شاملة للمخطوطات من خلال رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه... وكما يقول المثل فإن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة.

**○ هل هناك رؤية أو محاولة إسلامية لكتابة التاريخ الإسلامي؟**

* لا يمكن تنفيذ مشروع متكامل لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، يقدم مقاربة موضوعية للوقائع كما تشكلت بالفعل لا كما يراد لها أن تكون ما لم يمتلك العاملون في مشروع كهذا رؤية إسلامية لتفسير التاريخ البشري، كما يجب أن يكون هناك نوع من الإلمام والسيطرة على الملامح الأساسية المشتركة للتاريخ الإسلامي.

**○ هل تعتمد كتابة التاريخ الإسلامي على الإحلال والإبدال، أم الهدم ثم البناء؟**

* لا يمكن أن ننكر القيمة البالغة لمحاولات عديدة في كتابة التاريخ الإسلامي سواء من المؤرخين القدامى أم المحدثين، ولكن في ضوء المعايير المنهجية المطلوبة يمكن أن نشكل من هذا ( المكتوب ) تركيبة سليمة للتاريخ تقرّبنا أكثر من المطلوب.

**○ هل توجد حاجة الآن للأدب الإسلامي؟**

* إن هذه الحاجة لا تقتصر على المسلمين وحدهم، بل تمتد إلى البشرية التي وصلت في تجاربها الوضعية والدينية المحرّفة إلى طرق مسدودة، وهي الآن بأمس الحاجة إلى الصوت الذي يدّلها على طريق الخلاص، ويمكن أن يكون الأدب الإسلامي - إذا أحسن أداؤه شكلًا ومضمونًا - أحد هذه الأصوات...

* * *
* *
*

# اللقاء الرابع(*)

○ **ما هو الأدب الإسلامي في تصوّركم؟**

يعرّف الأدب الإسلامي، كما اتَّفق عليه الكثيرون، بأنه التعبير الفنّي بالكلمة عن التصوّر الإسلامي للحياة والكون والإنسان، وهو بهذا ينطوي على ركنين أساسيين، **أولهما**: الجمالية؛ حيث يتحتم أن يتضمن قدرًا من الأداء الجمالي شعرًا أو قصة أو رواية أو مسرحية أو سيرة ذاتية، وإلّا أصبح - كما يقول الجاحظ - معاني مطروحة على قارعة الطريق.

**وأما الركن الثاني**: فهو أن يتضمن تصوّرًا إسلاميًا واضحًا محددًا عن الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والعالم والحياة.

وإذا لم يتوفّر أحد هذين الشرطين فلن يتحقق أدب إسلامي؛ لأننا في الحالة الأولى سنجد أنفسنا قبالة صوت جمالي فقط، لا يحمل فكرًا أو مضمونًا أو لونًا أو طعمًا أو رائحة... ولأننا في الحالة الثانية سوف لا نجد إلّا خطابة وإرشادًا لا ينطوي على أية لمسة جمالية.

إذن فلا بدّ من الجمالية المقترنة بالمضمون ذي الرؤية الإسلامية المتميزة للكون والحياة والإنسان والخبرة البشرية.

○ **هل هناك حاجة إلى الأدب الإسلامي الآن؟**

* الحاجة ملحّة، وتكاد تكون حتمية إذا جاز لنا أن نتحدث بمنطق الحتميات... ليس فقط للمنتمين إلى هذا الدين، وإنما للبشرية عمومًا... البشرية التي تزداد يومًا بعد يوم تعاسة وعذابًا ومعاناة وتمزّقًا، ينعكس هذا في آدابها، تلك التي تعبر عن أمم مطحونة، وإنسان مأزوم وصل إلى طريق مسدود... فالأدب الإسلامي إضاءة ليست للمسلمين وحدهم بل للعالم كلّه... وإنها لفرصة مناسبة تمامًا لتقديم أدبنا لأنفسنا وللآخرين... شرط تحقّقه بصيغ فنية عالية تفرض تأثيرها واحترامها على الجميع.

---

(*) أجرى الحوار في الزقازيق بجمهورية مصر العربية، الأخ مجدي مصطفى مندوب صحيفة ( لواء الإسلام )، ونشر في عدد ( نوفمبر ١٩٨٩م ).

**○ الأدب الإسلامي يطمح إلى أن يكون أدبًا متميزًا، فهل يعني هذا أننا في حاجة إلى أشكال جديدة للتعبير الفني؛ غير الأشكال المطروحة كالقصة والرواية؟**

* لدينا سياقان في هذا الاتجاه: خصوصية الأشكال الخاصة بنا... ثم الأشكال الأدبية الجديدة من مسرح وقصة ورواية.

فالشعر مثلًا هو من معطيات الإبداع العربي الأصيل، والقصيدة هي امتداد لتراث موغل في القدم... أما الأشكال أو الأجناس الأخرى فيمكن أن نجد فيها نوعًا من الأخذ عن الغرب... لأن الغربيين في الحقيقة لم يبتكروها فحسب، بل تقدموا في إنضاجها وتطويرها والوصول بها إلى مراحل متقدمة. وليس ثمة غضاضة في الأخذ بهذه الأجناس شرط أن نحققنها برؤيتنا الإسلامية المتميزة.

**○ النظرة إلى الالتزام في الأدب الإسلامي، باعتباره ركنًا أساسيًا فيه. هل ترى في هذا ما يحول دون الإبداع؟**

* هناك تياران أساسيان في تاريخ النقد الأدبي والدراسات الأدبية؛ تيار يرى أن الالتزام ضروري جدًا للأدب؛ لأنه يعطيه صيغة متميزة، والدافع لأن يعبر الأديب عن حاجة معينة للبشرية، انطلاقًا من مذهب أو موقف أو رؤية ما... كما أن هناك تيارًا آخر ( البرناسية ) يرى أن الفن للفن، وأن الأدب يجب ألّا يرتبط برؤية أو بفكر، حتى تتحرّر العملية الإبداعية.

وواقع الحال، أنه ليس بالضرورة أن الأدب غير الملتزم أكثر إبداعًا من الملتزم، فإن هذا يعطي بطانة مذهبية رُؤْيَوِيَّة، ويمنح موقفًا، قد يكون أكثر إثارة وعمقًا إبداعيًا وقدرة على مخاطبة الآخرين والتأثير فيهم من الأدب الجمالي الصرف الذي لا يعبّر عن موقف ولا يتعدى كونه نوعًا من التحسينات اللفظية والجمالية الصرفة.

**○ يتصور البعض أن الأدب الإسلامي أدب إرشادي فقط فما هو رأيكم في هذا التصوّر؟**

* هذه المقولة ليست صحيحة؛ لأنه إذا كان في بعض مساحاته إرشاديًا فإنه في مساحاته الأوسع كان، ويجب أن يكون، خارجًا عن نطاق الإرشاد ليصبح عملًا إبداعيًا...

وتكمن القضية في كيفية تحقيق هذه المعادلة، وهي أن تطرح فكرة معينة في إطار أدبي دون أن تأخذ طابعًا مباشرًا، وإلّا فهي المعاني الملقاة على قارعة الطريق كما يقول الجاحظ، وهنا تتجلى مقدرة الأديب في ألّا يقوم على كتابة عمل أدبي، رواية أو قصة أو مسرحية أو قصيدة، إلّا بعد تشبعه العقلي والوجداني بمطالب الفن والأدب، وحينذاك يكون كالصيدلاني الذي يضع المكونات المطلوبة، بنسبها تمامًا، لكي يصنع منها دواءً ناجحًا. وحينذاك يمكن للأديب المسلم أن يقدم فكرته وقناعاته وتصوره للحياة بقوالب إبداعية دون أن تكون هناك مباشرة، وإنما هو نوع صعب من التنسيق الداخلي بين الفكرة والعمل الفني تنطوي على ملامح الخطاب، وتتحول إلى تأثيرات من الداخل يتلقاها المتلقّي بأقصى وتائر الدهشة والانفعال والإعجاب... وهذا ما يمكن أن نلاحظه على العديد من الأعمال الأدبية الإسلامية في الرواية والمسرحية والقصة والقصيدة...

**○ يرى فريق من الكُتّاب الإسلاميين أنه ما لا يعارض الإسلام من الكتابات الأدبية يمكن اعتباره من الأدب الإسلامي... كيف ترون هذه المقولة؟**

* ما من أمة انفتحت على القيم النبيلة في هذا العالم كالأمة الإسلامية، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها، سواء جاءت من نصراني أو يهودي، فهي حكمة قد تخرج من أي فم. والرسول ﷺ قد علمنا أن نفتح جوانحنا على أية قيمة أصيلة عندما قال: « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** ». والمجتمع الجاهلي الوثني كان ينطوي على مجموعة من القيم الأخلاقية النبيلة لم يسع الإسلام إلى إلغائها، وإنما جاء لتحقيقها ونشرها والإضافة عليها. لقد كان المسلمون في كل العصور مفتوحي الوجدان على خبرات الآخرين.

أذكر أنني قرأت يومًا مسرحية تحمل عنوان ( مركب بلا صياد ) للأديب الإسباني ( اليخاندرو كاسونا ) فرأيت النص يحمل بطانة إيمانية، ورؤية إيجابية للعالم، ويدعو إلى تعزيز القيم النبيلة في الحياة، فكتبت عنها باعتبارها نموذجًا لأدب إيماني ملتزم، وإن كان قد صدر عن كاتب نصراني...

فليس ثمة ضير في أن نأخذ من هذا وذاك إذا وجدنا في نصوصهم ما يتوازى ويدعم المضامين الإيمانية...

# اللقاء الخامس (*)

* تُعدّ مجلة « المسلم المعاصر » واحدة من أكثر المجلات الإسلامية علمية ورصانة عبر العقدين الأخيرين. ولقد قدّمت الكثير للفكر الإسلامي بحوثًا ونقدًا وعرضًا وحوارًا، فضلًا عما تضمنته من معطيات إخبارية وبيليوغرافية. وبسببٍ من نزعتها هذه فإنها آثرت في البداية أن تميل صوب نوعٍ من التخصّص. ولعلها - لهذا - رمت بثقلها باتجاه البحوث المتعلقة بالفقه والتشريع، في محاولة لتعصير التوجّهات الأساسية لهذه البحوث وربط الأنشطة القانونية بالإسلام. وما من ريب إنها بهذا سدّت فراغًا كبيرًا في الفكر الإسلامي المعاصر، خاصة وأننا نعيش مرحلة كادت أبواب الاجتهاد فيها أن توصد. لكن ما كان يؤخذ عليها أحيانًا أنها قبلت بحوثًا لا علاقة مباشرة لها بمسائل الحياة المعاصرة، وقضاياها الملحّة، ومعضلاتها الأساسية، على الخلاف - مثلًا - مما كانت تفعله - أحيانًا - مجلة « حضارة الإسلام » الدمشقية ( الموقوفة ) من إثارة مسائل تشريعية فقهية تمسّ مطالب الحياة الراهنة من قريب.

على أية حال فإن المساحات الأوسع من « المسلم المعاصر » كادت أن تخصّص للسياق المذكور، وقد جاء هذا على حساب الجوانب الأخرى من فكر الإسلام وتوجّهاته؛ كقضايا الآداب والفنون... والإعلام... والسياسة... والتاريخ... والتراجم... إلخ، ومن ثم فإن الاقتراح الأوّل الذي يخطر على البال بصدد إعادة ترتيب المجلة شكلًا ومضمونًا، وهو تحقيق قدر من التوازن بين الجوانب المختلفة من الثقافة الإسلامية المعاصرة، وفسح المجال للجوانب المعرفية المتنوعة أن تأخذ طريقها إلى صفحاتها وأبوابها فتمنحها بذلك تنوعًا وخصبًا كما أنها تمكّنها من تغطية أكثر شمولية للأنشطة الثقافية الإسلامية.

ويبدو أن التنسيق الذي تمّ مؤخرًا بين المجلة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي سيعينها على هذا الهدف، كما أن تبنّي المجلة لحركة إسلامية المعرفة جعلها تفتح صدرها لكل

(*) طلبت مجلة ( المسلم المعاصر ) التي تصدر في القاهرة إبداء جملة من الاقتراحات والمرئيات لغرض تطوير المجلة... فكانت هذه الصفحات التي كتبت عام ( ١٩٨٩م ).

ما من شأنه أن يؤكد توجّهات هذه الحركة بغضّ النظر عن طبيعة الفرع المعرفي الذي تتعامل معه.

والمقترح الآخر ينصبّ بوجه خاص على البحوث الفقهية للمجلة بجعلها أكثر التصاقًا بمطالب العصر، وسعيًا لحلّ معضلاته المعلقة، وما أكثرها، والتي يمكن أن تجعل المجلة مدرسة أو منبرًا يتلقى منه المسلمون الذين تسحقهم وتضيّعهم تحديات الحضارة المعاصرة، معالم الطريق، وبهذا ستعين إلى حدّ كبير على تأكيد الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد بعد أن أوصده ظلام القرون.

فإذا ما تجاوزنا هذا صوب المسائل الفنية المتعلقة بإخراج المجلة بما يجعلها أكثر حيوية ورواجًا، وبما يعين على توسيع قاعدة قرّائها... فإن ثمة مقترحات قد يضاف إليها الكثير فيما بعد. وهي نفس المقترحات التي يمكن أن توجّه إلى مجلة ( إسلامية المعرفة ) التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي:

أولًا: فتح باب للحوار حول مسألة ما من المسائل الأساسية للحياة والفكر الإسلامي، يشترك في كل حلقة منه عدد من المفكرين والخبراء المعنيين بموضوع الحلقة. ويمكن أن يتمّ هذا بالحضور المباشر أو بالاستكتاب للإجابة على الأسئلة الملحة.

ثانيًا: فتح ملفّ بين فترة وأخرى لواحدة من القضايا الأساسية كإسلامية المعرفة في هذا الفرع أو ذاك، وكتحديد صيغ للتنسيق بين المؤسسات الإسلامية من مثل المعهد العالمي للفكر الإسلامي ورابطة الأدب الإسلامي العالمية والجامعة الإسلامية في ماليزيا والكلية الأوربية للدراسات الإسلامية في فرنسا... إلخ. وقد يتجه الملفّ - أحيانًا - إلى توثيق بعض التجارب والممارسات والأحداث في أبعادها الاجتماعية والفكرية والتاريخية... إلخ وسيتضمن الملفّ كما هو معروف، البحث والمقال والتعليق والخاطرة والخبر والمقترح... إلخ فضلًا عن النصوص والمعطيات التوثيقية.

ثالثًا: فتح ركن يمكن تسميته « مقابلة العدد » يتضمن لقاءً موسّعًا مع إحدى الشخصيات الإسلامية، بشكل مباشر أو من خلال المراسلة لتسليط الضوء على تجربته الفكرية أو الحياتية من خلال حوار معمّق وشامل يسعى إلى كشف النقاب عن الكثير من المسائل التي قد لا تكشف عنها مؤلفاته وأنشطته المعروفة، وقد تسلّط الضوء على عوامل تشكّل خبراته الأساسية فيما يهم القارئ ويمنحه المتعة الفكرية في الوقت نفسه.

**رابعًا:** تخصيص ركن ثابت للأنشطة الإخبارية على مدى العالم كلّه وبخاصة تلك التي تمسّ هموم الفكر والحياة الإسلامية. وستكون أنشطة « المعهد العالمي للفكر الإسلامي » بفروعه ومكاتبه كافة أمرًا محوريًّا في هذا الركن، فضلًا عن متابعة أنشطة المؤسسات الإسلامية الأخرى.

**خامسًا:** منح مساحات أوسع لهموم ومعطيات الأدب والفن الإسلامي المعاصر، دراسةً وتنظيرًا ومقارنة وترجمة ونقدًا وإبداعًا، الأمر الذي بدأ القارئ يلحظه - لحسن الحظ - عبر الأعداد الأخيرة من المجلة. ويمكن بهذا الصدد التنسيق مع « رابطة الأدب الإسلامي العالمية » من أجل ترشيد النشر الأدبي، وربما إصدار ملاحق خاصة به تستطيع امتصاص أكبر قدر من المادة الأدبية الصالحة من أجل الإعانة على إغناء حركة الأدب الإسلامي المعاصر ورصد معطيات الأطراف المضادة وبخاصة في ساحات النقد.

**سادسًا:** منح مساحة أوسع للخبرات التاريخية الإسلامية، وبخاصة تلك التي تسعى إلى تنفيذ المنهج الإسلامي في المعالجة التاريخية، وكذلك تلك التي تعنى بفلسفة التاريخ ومحاولة تأصيل المنظور الإسلامي للتاريخ البشري.

**سابعًا:** تخصيص ركن أو نافذة تطلّ منها المجلة على الحياة الإسلامية في الغرب، تأخذ حينًا صيغة حوار مع شخصية أو مؤسسة إسلامية في ديار الغرب. وتأخذ حينًا آخر صيغة ريبورتاج عن هذا النشاط أو ذاك أسوة بما كانت تفعله - مثلًا - مجلة الأمة التي كانت تصدر في الدوحة، وتأخذ حينًا ثالثًا صيغة تعليق معمّق أو دراسة متأنية لظاهرة ما في الحياة الغربية من منظور إسلامي... إلخ.

**ثامنًا:** لا بأس - كذلك - بل لعله من الضروري، أن تقوم أسرة تحرير المجلة بدراسة عناصر النجاح والتفوّق بالنسبة للمجلات المختلفة، إسلامية وغير إسلامية، عربية وغير عربية، من أجل الإفادة قدر الإمكان من حصيلة خبرات الغير، في تطوير المجلة والسير بها نحو آفاق الانتشار الأوسع والتفاعل الأعمق. ويمكن أن نتذكر ها هنا ذلك الانتشار والتأثير الواسعين اللذين حققتهما مجلة ( الأمة ) منذ بدء الثمانينيات وحتى منتصفها عندما توقّفت عن الصدور للأسف الشديد، فتركت بذلك فراغًا كبيرًا في الإعلام والفكر الإسلامي المعاصرين. ويتساءل المرء: ألا يمكن « للمسلم المعاصر » أن يتلقى

الراية - كما يقولون - لكي تمضي بها أشواطًا أخرى من خلال الإفادة من خبرات مجلة كالأمة، وغيرها على مستويي الشكل والمضمون؟

**تاسعًا:** ويلحظ المرء غيابًا للمرأة المسلمة وقضاياها الأساسية على صفحات «المسلم المعاصر» إلّا في حالات استثنائية، ويمكن تدارك الأمر، ليس بصيغة باب مخصّص للمرأة، قد يعزلها عن الرجل، ولكن باستكتاب المرأة المسلمة لكي تقول كلمتها على صفحات المجلة فيكون إسهامها بمثابة تأكيد لحضور المرأة المسلمة في مجرى الحياة والفكر الإسلامي.

**عاشرًا:** ولا بّد من التأكيد على جانب الإخراج الفنّي للمجلة، فهي رغم أنها قطعت خطوات طيبة بهذا الصدد، على مستوى تصميم الغلاف، ونوعية الورق، ودقّة الطبع... إلخ، فإن بمقدور المجلة أن تمضي قدمًا لكي تضيف لمساتٍ فنية أخرى قد تكون ضرورية لمنح المجلة حيوية أكثر؛ من مثل اعتماد الصورة والخارطة والخبر المثير، فضلًا عن أن الأبواب المقترحة أعلاه، إذا أحسن تنفيذها وتوزيعها، ستمنح المجلة بُعْدًا فنيًا جديدًا قد يكون فرصة لكسب المزيد من المعنيّين والقرّاء.

* * *
* *
*

## اللقاء السادس (*)

○ **المؤرخ الدكتور عماد الدين خليل: كثيرون منا يقرؤون التاريخ يبحثون في سطوره عن التجارب الإسلامية الناجحة ليستنبطوا منها منطلقات النجاح في العصر الحاضر، وكأن التاريخ مصدر التأطير والتنظير للمستقبل فحسب. ما رأي الدكتور عماد في ذلك؟**

* الحركة التاريخية فيها ثبات وفيها تطور ويجب أن نلاحظ هذا الجانب في أية محاولة للتقويم.

دعني أقول لك في البداية إننا لا نستطيع أن ننفذ كل مفردات التاريخ في مرحلة من المراحل على واقعنا المعاصر؛ فالتجربة التي نجحت في عصر أموي على مستوى تطبيق التجربة الإسلامية في واقع الحياة، قد لا تنجح في عصر عباسي، والتجربة التي تنجح في عصر عباسي قد لا تنجح في القرن العشرين؛ ولذلك فإن محاولة تنفيذ الشروط التاريخية لعصر ما على قرننا العشرين مسألة فيها تعميم كبير، مع الأخذ بعين الاعتبار تجربة السيرة النبوية؛ فالسيرة النبوية متجذرة في عالم الغيب بكل مكوناتها، وتعليماتها أمر ملزم وهي تعليمات ربانية تمضي لتتعامل مع كل زمن ومكان. لذلك لا بد من الحذر من تمرير هذا المنظور المتعلق بالسيرة النبوية، على كل مراحل التاريخ الإسلامي التالية.

إننا لسنا ملزمين بالتجارب التي نجحت أو أخفقت في عصر ما، بالتأكيد قد نتعلم منها، قد نأخذ منها، ولكننا يجب أن نصنع في القرن العشرين مفرداتنا التاريخية وفق مطالب وشروط ومواصفات هذا العصر، إن ما يقوله بعض الكُتّاب الإسلاميين في هذا الصدد لا يمكن التسليم به؛ لأنه ليس من الضروري أو ليس من المحتوم أن يرجعوا إلى التاريخ من هذه الزاوية بالذات، من زاوية أن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه في كثير من الحالات.

---

(*) أجرى الحوار في مكة المكرمة الأخ محمد العقاد، مندوب مجلة ( درع الإسلام ) الإماراتية، في نيسان ( ١٩٩٠م )، ونشر في العدد ( ١٢ ) من السنة الثالثة ( ١٤١١هـ )، من المجلة المذكورة.

**○ في إطار أكثر وضوحًا كيف يتجسد ذلك برأيك؟**

* عمر بن عبد العزيز الذي حقق تجربة ناجحة في عصر أموي وفق شروط معينة، قد لا تتوفر لها نسبة النجاح لو استخدمت في القرن العشرين؛ لذلك لا بد من أن نتابع طبيعة نسيج العصر الذي نتحرك فيه، وأن نضيف إلى الثوابت التي يشهدها التاريخ كل المتغيرات التي أضيفت إلى التجربة التاريخية والتي يجب أن تدفعنا إلى اختيار صيغة عمل جديدة، ومواصفات جديدة ومعايير جديدة لإيصال أي تجربة إلى حافة النجاح، وبالتالي فإن كثيرًا من التجارب في القرن العشرين لم تخفق بسبب أنها لم تستهد بالتاريخ، بل إخفقت؛ لأنها لم تلحظ جيدًا مطالب العصر ومقتضياته.

**○ بحكم دراستكم لمرحلة هامة من تاريخ الأمة وتخصصكم فيها وهي مرحلة الغزو الصليبي، ترى ما هي أهم أوجه الشبه والتباين بين الواقع المعاصر وتلك المرحلة؟**

* إذا كان التاريخ لا يعيد نفسه بشكل أو بآخر، فإنه من ناحية أخرى ( إن التاريخ كله تاريخ معاصر )؛ لأن الظواهر في مجال العلوم الإنسانية لا تحمل وجهًا واحدًا وإنما تحمل في كثير من الأحيان أكثر من وجه، ويجب علينا في هذا أن نتجاوز قاعدة الغربيين، ( إما هذا أو ذاك ) وأن نلجأ إلى القاعدة المنهجية: ( هذا وذاك )، وهنا يمكن أن نقول: إن التاريخ في جانب ما ( لا يعيد نفسه )، وأنه من زاوية أخرى تاريخ معاصر بمعنى أن كل خبرات الماضي ( بقدر ما يتعلق الأمر بالأمة الإسلامية، فان التأثيرات تمتد حتى العصر الحاضر باتجاه المستقبل ).

أما عن تجربتي مع الحروب الصليبية فإني أستفيد منها لتحليل دقيق لواقعنا الراهن؛ لأن الصليبيين جاؤوا وانتصروا وفق مجموعة من الشروط، الشروط التي يسميها المفكر الكبير مالك بن نبي، بالقابلية للاستعمار! نعم، يوم صارت لدينا القابلية للاستعمار، استعمرنا، والخطأ يكمن فينا، والقرآن الكريم في هذا واضح صريح، إنه يخاطبنا بقوله: ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [ آل عمران: ١٦٥ ] ويقول: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [ النساء: ١٢٣ ] معادلة واضحة تقول: إن الخطأ تتحمله الجماعة البشرية عبر التاريخ، في القرن التاسع عشر أخطأنا، تكونت لدينا جرثومة القابلية للاستعمار فاستعمرنا، هذه الحالة نجدها في مرحلة الغزو الصليبي، الذي استمر مئتي عام، لقد كنا نحمل استعدادًا لغزو كهذا من

أولئك الأقل منا حضارة وثقافة ومدنية، لكنهم انتصروا علينا عسكريًّا بسبب وجود ثغرات في جدار المسلمين متمثلة في التجزؤ، خاصة في مناطق الاحتكاك المباشر ( الشام والعراق ) ولكن يومها كانت الاستجابة للتحدي ( محاولة التفوق على الهزيمة ) سريعة؛ إذ لم تمض سنوات حتى التحم المسلمون وتجاوزوا التناحر وتوحدوا تحت سلسلة من القيادات، الأمر الذي لوى ذراع الصليبيين وكسر أعناقهم، صحيح أن المدى الذي استغرقه الحال كان قرنين من الزمان، ولكن لا بأس؛ لأن حركة التاريخ ليست سواء بين عصر وعصر، إيقاعها قد يبطئ، أو قد يسرع والنتيجة واحدة، إننا إذا استجبنا للتحدي كانت النتيجة هي ذات النتيجة؛ كسر الطوق والسيطرة على الواقع.

**○ التاريخ جسد واحد، والأمة المسلمة كلٌّ واحدة في عصورها وأزمنتها، ودراستنا للتاريخ ليس من دافع أساسي لها إلّا استنباط العبر واستخلاص النتائج لاستنهاض الحال وتغير الوقائع.**

**كيف تمت الاستجابة للتحدي؟ وما هي شروط هذه الاستجابة؟**

* هناك توازن بين قطبين في الحركة التاريخية؛ نوع من الانسجام أو التكامل بين قطبين ( البطل والقاعدة )، الجماهير المسلمة والقيادات المسلمة، لو رجعنا إلى المصادر التاريخية كابن الأثير في ( الكامل ) سنضع أيدينا على تلازم بين قيادات إسلامية رائعة تحمل الراية من ساعد إلى ساعد ودون أن تعمل في فراغ، أي أنها تعمل في قاعدة بشرية مؤمنة، وملتزمة ومضحية كانت تندفع وراء هذه القيادات المتلاحقة في سبيل الهدف، وابن الأثير مثلًا يشير إلى تلك السلسلة من القيادات ( السلاجقة ) بدأوا حركة الجهاد منذ ( ٤٩٥ - ٥٢١هـ ) ثم جاء عماد الدين زنكي ( ٥٢١ - ٥٤١هـ )، في وقت كانت فيه في ولاية ديار بكر قبيلة تركمانية مسلمة معروف عن قادتها الالتزام الإسلامي، كانت تقود حركة المقاومة في تلك الجبهة لمدة عشر سنوات ( الأراتقة ) وقد كان من قادتهم ( إيل غازي - سقمان بن أرتق - وبلك بن بهرام ) الذين كانوا على درجة عالية من الوعي الإسلامي والتميز السلوكي، وبعد عماد الدين الزنكي جاء ابنه نور الدين محمود ( ٥٤١ - ٥٦٩هـ ) الذي استطاع أن يحقق الوحدة الإسلامية بمفهومها الشامل وأن يذهب إلى دمشق فيوحدها مع حلب، ثم

يذهب إلى مصر واضعًا الصليبيين بين فكي كماشة، الأمر الذي أتاح لخلفه صلاح الدين أن يجني ثمرات هذه المحاولات الدؤوبة، وأن يحقق انتصاره المشهور مع معركة حطين ( عام ٥٨٣هـ ) ويحرر بيت المقدس، ثم ليستمر الفوز بعد ذلك فيلاحق الصليبيين ويسقط حصونهم خلال سنتين فقط، ليحصرهم في شريط من الأرض عرضه ( ١٠ ) كم وطوله ( ٩٠ ) كم، ثم ليدخل عكّا بعد ذلك قاصمًا ظهر الصليبيين بفصله بين جناحيهم، مُصفّيًا الحساب مع كل طرف على حدة.

في هذه اللحظات التاريخية الصعبة كان الصليبيون يعدون لحملتهم التاريخية الثالثة ( التي قادها الملوك والأباطرة بدل الأمراء ) فتصدى لهم المماليك ( بيبرس، قلاوون، وخليل بن قلاوون ) الذين قضوا على آخر مراكز الصليبيين، وابن الأثير الذي وصف ذلك كله كان يستخدم عبارة واضحة جدًّا عندما يصف حركة الأمراء والقادة فيقول ( وخرج معه العرب والأكراد والأتراك ) مما يعني حركة أممية إسلامية تضم الجميع لمجابهة الغزاة تحت قيادة مخلصة. إنها حركة دؤوبة من قيادات وعلماء وجماهير الأمة المعبأة نفسها والجاهزة روحيًا للاستجابة للنداء وقبول التحدي... كان سبط ابن الجوزي مثلًا يقف خطيبًا في دمشق فيلهب العواطف ويجعل الناس على استعدادٍ تام للخروج للقتال، بل يدفع النساء لقطع جدائلهن وشعورهن للتبرع في سبيل الجهاد.

**○ مواصفات القيادة في تلك المرحلة عبر ودروس، فكيف تجمعها دكتور عماد الدين خليل؟**

* المسألة دقيقة، نور الدين محمود ومن كلام المقربين منه ما استطاع أن يحقق انتصاراته ( التوحيد والتحرير ) لولا التزامه الدقيق والكامل في سلوكه الشخصي بكل مطالب الإسلام شعائر وسلوكًا وعقيدة، كما أن الرجل لم يكتف بعد ذلك بالدور في حدود شخصيته كقائد لدولة بدأت تتسع يومًا بعد يوم، وتشكل قاعدة جغرافية كبرى، بل التفت إلى الجمهور وحاول أن يضعه في حالة تاريخية قادرة على الفعل من خلال الالتزام الإسلامي فتشكل المقاتل الصادق العقيدة، الجريء الإرادة، وتشكلت بالتالي الأمة المجاهدة كما أراد الله لها ذلك... إذًا فالشخصية الملتزمة تنقل تأثيرها لتصنع الأمة الملتزمة.

في معركة حارم الشهيرة عام ( ٥٥٩هـ ) والتي كسر فيها الصليبيون وهزموا شر هزيمة، وتقوض ركن من مخططهم الاستعماري على أثرها واستطاع المسلمون بواسطتها فتح الطريق إلى مصر... تلك المعركة الشرسة كانت تحت قيادة نور الدين محمود، يومها، وبعد صراع عنيف... صراع حياة أو موت لم ينته حتى غروب شمس ذلك اليوم، خر نور الدين على الأرض ساجدًا للَّه تعالى شكرًا على الانتصار، وبعد أن رفع رأسه من سجوده خاطبه قاضي قضاته ( القطب النيسابوري ) مهنئًا إياه بقوله: ( إنه بذراعك أيها الأمير العادل تحقق هذا النصر... ) فانتفض نور الدين وقال كلمته التي سجلتها كتب التاريخ: ( من نور الدين محمود الكلب حتى تقول له هذا؟! إنه اللَّه الذي لا إله إلا هو ).

إنه التجرد وتجاوز الذاتية وربط كل الأسباب والمسببات باللَّه تعالى من غير تواكل بالتأكيد.

**○ نور الدين نموذج نادر للقيادة المثالية في ذاتها، ولكن ماذا عن المجموع الذي حولها؟**

* في ذاتها وفي تعاملها مع الآخرين، كان نور الدين محمود يمزج ليله بنهاره في محاولة لتشكيل وتكوين الأمة المقاتلة ليس على المستوى العسكري وحسب، بل وفي إطار التعبئة العقدية والنفسية، ويوم ذلك يكون كل فرد في هذه الأمة قادرًا على فعل المستحيل.

**○ هل يقودنا هذا إلى أهمية الفرد في حياة الأمة ودوره الأساسي؟**

* على العكس، تسقط نظرية البطل في التاريخ الإسلامي؛ لأن الرجل لا يسبح وحده في الفراغ، كما تسقط نظرية الجماعة كذلك ويثبت بطلانها، والذي نجح في منظورنا الإسلامي هو تكامل القطبين؛ القيادة والجماهير؛ لأن الوحدة الإسلامية في التفسير الإسلامي للتاريخ هي الجماعة وليس الفرد أو الطبقة، الجماعة التي تهيأت لها القيادة التي تعيد تشكيلها بما يريد اللَّه ورسوله، وعندها تنطلق الشرارة... ولن أبتعد بك كثيرًا فما حققه الجهاد الأفغاني من انتصارات ليس إلا تكامل قطبي الدائرة هذه: قيادة واعية ملتزمة، وجماهير صادقة معبأة.

**○ هناك نماذج معاصرة عدة للنهوض بين الأمم؟ فما هو في رأي الدكتور عماد الأنموذج الأجدر والأنسب لنهضتنا؟**

* من النماذج الرائدة النموذج الياباني، والنموذج التركي: انتصر الأول، وانهزم الثاني: اليابان حفظت شخصيتها الحضارية على ما فيها من تناقضات فمكنها ذلك من التفوق والانتصار... استطاعوا حماية ذاتهم، وانطلقوا من قدراتهم، فاستطاعوا الانطلاق، أما التجربة الكمالية في تركيا فقد استوردت كل شيء من الغرب فذاب الجسم والعقل! المؤرخ توينبي يحذر ويقول: ( توجد الآن حضارات ست باقية ولكنها حضارات مهددة من الأفعى الغربية ) وما لم تحفظ هذه الحضارات ذاتها، فالذوبان مصيرها... والحقيقة أن أمتنا لا حظ لها إلا بهذا الدين، فإذا حفظت شخصيتها وذاتها بهذا الدين العظيم وضعت ذاتها في أول الطريق لتحقيق النهضة، ثم يأتي بعد ذلك الإعداد النفسي والجماعي، ولقد أوضح الكتاب الكريم طرق التغيير والإعداد بالصيغ السلبية والإيجابية فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [ الرعد: ١١ ] وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [ الأنفال: ٥٣ ] فالتغيير الذاتي هو الأساس في مجابهة الموقف التاريخي، أما الإعداد الجماعي فهو أن تكون الأمة قديرة على مستوى الإعداد المادي؛ إذ ما هو الشيء الذي هزم الدولة العثمانية وهي تملك نصف العالم، لو قلنا أنها تخلت عن التزامها العقائدي نكون قد ظلمناها كثيرًا، لقد التزمت عقديًا بشكل أو بآخر، ولكنها فرطت بجانب من مطالب العقيدة الإسلامية، ( النمو التكنولوجي ومحاولة اللحاق بالآخرين على مستوى التطبيق الصناعي، وخاصة السلاح )، عندما فرَّطوا في هذا المطلب صاروا كرة في ملعب القوى الكبرى... والمسألة واضحة تمامًا في النصوص القرآنية، هناك سورة كاملة اسمها سورة الحديد تقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [ الحديد: ٢٥ ] ويقول سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [ الأنفال: ٦٠ ] ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ [ الكهف: ٩٦ ] ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾ [ الكهف: ٩٥ ]... مفردات واضحة تدعو الأمة المسلمة إلى تحقيق النصر وحماية العقيدة ليس بالدعاء والذكر وحسب: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [ الحديد: ٢٥ ]، بل

بالعمل الجاد الدؤوب والسعي المادي السببي الذي يُسَخِّر كل قوى الأرض المذخورة خدمة للعقيدة ونصرًا لدين الله.

والخلاصة من هذا أن النموذج الصحيح لنهوض الأمة لا بد أن يستلهم شخصيتها الأساسية وكيانها الذاتي، ملحقًا به الإعداد المادي السببي، وحضارتنا ( إحدى الحضارات الست التي نبه إليها توينبي )، والتي إن لم تسع إلى التغيير نحو الأفضل فستكون حقيقة جزءًا من مائدة الذئاب في هذا العالم المعاصر.

* * *
* *
*

# اللقاء السابع(*)

**○ في رأيكم ما مكانة الأدب الإسلامي الآن في ظل الأدب العربي؟ وما مكانته بين الآداب الأخرى؟ وما هو مستقبله؟**

* الأدب الإسلامي ابتداء من الوقت الحاضر ورجوعًا إلى الوراء إذا نظرنا إليه فإننا نرى أننا بدأنا من النقطة التي تعطي أملًا في أن هذا الأدب أصبح يأخذ جزءًا أو مكانة بين خرائط الأدب العربي وحتى العالمي. وبمجرد أن نلقي نظرة على المحاولة التي يقوم بها باحث كالدكتور عبد الباسط بدر، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وهو ما يسمى في طبعته الجديدة بـ « دليل مكتبة الأدب الإسلامي » فإننا سنجد رأي العين مئات من المؤلفات والبحوث والدراسات التي تغذي ساحة الأدب الإسلامي تنظيرًا ونقدًا ودراسة ثم دراسة مقارنة وتاريخًا أدبيًا وإبداعًا في معطياته المختلفة ( قصة ورواية ومسرحية وشعرًا ) والباحث في هذا المؤلَّف سينصب على النواحي الدراسية والنقدية، وسيخصص متابعة أخرى للأعمال الإبداعية التي لا تقل عن التيار الأول.

وعلى كل حال فإن الساحة الحاضرة أو اللحظات الراهنة تشهد تدفقًا في المعطيات الأدبية الإسلامية توحي بأنها تملك ثقلًا. وسيمارس هذا الثقلُ دوره في تغذية الآداب العربية وحتى العالمية. والأمر لم يكن كذلك في الستينيات وحتى في السبعينيات إنما البداية تكون دائمًا هشة وتتقدم على استحياء. وتتداخل فيها المنظورات والمعطيات حتى الأعمال النقدية كانت يومها تتداخل فيها المسائل النقدية والدراسية والتنظيرية. ويكون المنهج فيها هشًا غامضًا غير واضح على المستوى الوظيفي، أما الآن فعلى مستوى الأعمال النقدية أصبحت تتمركز وظيفيًا وتزداد وضوحًا في تعاملها مع النص الإبداعي وكذلك الدراسة ودراسة التاريخ الأدبي والدراسات المقارنة.

---

(*) أجرى الحوار في الرياض الأخ فتحي الدويك، مندوب صحيفة ( المسلمون )، ونشر في العدد ( ٢٧٣ )، ( ٣ مايو ١٩٩٠م ).

والأدب الإسلامي يمكن أن يكون بخير إن شاء اللَّه إذا استطاع أبناؤه أن يواصلوا اثنتين: تقديم المزيد من العطاء، والإفادة ما وسعهم الجهد من التفوق الغربي في بعض معطيات الإنتاج الأدبي الذي يمكن أن نوظفه لصالح أدبنا الإسلامي؛ وذلك لأن الانكفاء عن آداب الغرب خطيئة لا يجب أن نمر بها، ولا بد من الاستفادة من خبرات الآخرين ما دمنا نحن الآن في مرحلة التكوين، والتكوين عادة يحتاج إلى أن نمد أيدينا طالبين العون من أية جهة كانت ولكن بحيث لا نفقد رؤيتنا المتميزة في منظورها الإسلامي.

**○ هناك من يقول: إن الأدب العربي كاف فلا ضرورة لوجود ما يسمى بالأدب الإسلامي ما دام أن الأدب العربي يمكن أن يكون أدبًا ملتزمًا بمعايير معينة، وهؤلاء الرافضون للأدب الإسلامي لديهم حساسية ضد كل ما يحمل لافتة إسلامية، ما رأيكم في هذا القول؟**

* الأدب الإسلامي في البدء والمنتهى هو أدب عربي وسيمارس دوره في حماية مقومات الأدب العربي بدءًا من اللغة الفصحى القديرة على التعبير والتي حاولت تيارات ما يسمى باللَّهجات العامية والإقليميات أن تأتي على الكثير من قدراتها التعبيرية، الأدب الإسلامي هو أدب عربي بشكل أو بآخر؛ لأن مساحاته الأوسع، تكتب بالعربية وتعتز بهذه اللغة الشاعرة - كما يقول العقاد رَحِمَهُ اللَّهُ - وبالتالي فإن أية محاولة لوقف هذا الأدب عن المضي في طريقه لتحقيق أهدافه، هو نوع من وضع الحواجز أمام قدرة هذه اللغة في التعبير عن ذاتها، وأن تحصن ذاتها في مواجهة التحديات.

إضافة إلى هذا، فإن الأدب العربي أدب ينبثق من مقومات أمة بكاملها ويعبر عن هذه المقومات، ويمثل نقطة ارتكاز أساسية في حضارة هذه الأمة، فعندما يعبر بالأدب كأداة للتعبير عن هموم هذه الأمة من خلال منظوره الإسلامي وقناعاته الإسلامية، فإن هذا يمثل توافقًا أكثر بكثير من أية محاولة أخرى قد تعبر أدبيًا عن هموم الأمة من خلال مناظير قد تأتي من هنا أو هناك.

فالأدب إذن يمثل ضرورة على مستويي التقنية اللغوية والمضمون، باعتبار أن الرؤية الإسلامية للكون والحياة والعالم المعبر عنهما بالأداة الأدبية هي أكثر الرؤى انطباقًا مع

واقع الأمة العربية ومع طموحاتها ومع تكوينها وتركيبها التاريخيين.

**○ ما هو مكان رابطة الأدب الإسلامي الآن؟ وماذا قدمت هذه الرابطة؟ وما هي آفاق تطورها؟**

* نحن نعيش الآن عصر المؤسسات، ولربما تكون نقاط التفوق الغربي علينا هي أنهم يعملون منذ زمن بعيد من خلال المؤسسات، وتنظيم الطاقات وبرمجتها وتجميع الإمكانات من أجل أن تكون أكثر قدرة على العطاء وأكثر قدرة على البرمجة والتخطيط والوصول إلى الأهداف المتوخاة، وما دمنا في عصر كهذا يتطلب الأعمال من خلال المؤسسات، فلا بد إذن أن نعتبر مؤسسة كهذه - مع كونها في بداياتها - ضرورة من الضرورات بالنسبة لحركة أدبية تطلب وترجو أن يكون لها مكان في هذا العالم.

ورابطة الأدب الإسلامي تقدم برامج عمل وتطرح مشاريع وتنفذ بعض هذه المشاريع وتلم الطاقات ولربما ستكون أكثر قدرة في المستقبل بحكم تراكم الخبرات وبحكم أن المادة الأدبية التي ستتعامل معها ستكون أكثر انتشارًا وعطاء في الكم والنوع.

**○ الحركة الإبداعية في الأدب العربي نشطة بلا شك وكذلك الحركة الإبداعية أيضًا بالنسبة للأدب الإسلامي، ترى هل هناك حركة نقدية مسايرة أو تسير جنبًا إلى جنب مع حركة الإبداع أم هي متخلفة عنها؟**

* على مستوى الأدب العربي على إطلاقه فإن الحركة النقدية التي تتابع النصوص الإبداعية بدأت تتبلور وتقدم عطاء خصبًا منذ فترات مبكرة قد تمتد جذورها إلى الأربعينيات، أعانتها في ذلك الأكاديميات ومناهج التدريس في هذه الأكاديميات، كما أعانها أيضًا الاتصال بمعطيات الثقافة الغربية بما فيها التيارات النقدية، وعملية التغطية تكاد تكون شاملة وأنت تلحظ عشرات المحاولات النقدية التي حسمت النصوص الإبداعية للروائيين أو الشعراء المعروفين في عالمنا العربي المعاصر، واهتمامات النقد لم تأل جهدًا في أن تواصل المتابعة وأن تضيء هذا الجانب أو ذاك من جوانب وأعمال هذا الشاعر أو ذاك، وهذا القاص أو ذاك.

والذي قد يؤخذ على هذه التغطية النقدية في ساحة الأدب العربي أن بعضها

يتطرف أكثر مما يجب في الأخذ عن عالم الغرب في ملاحقته - حتى انقطاع الأنفاس - تيارات الحداثة رغم أن الغربيين أنفسهم قد يتخلون عن هذا التوجه أو ذاك ويتحولون إلى غيره فيجيء نقادنا متأخرين في بعض الأحيان لكي يقتبسوا قوالب نقدية جاهزة قد لا تنسجم ورؤيتنا ومعطياتنا الإبداعية فينفذوها بالحرف على هذه المعطيات لكن تبقى التغطية النقدية على ساحة الأدب العربي تغطية تتميز بالقدرة على ملاحقة المفردات ومتابعة النص الإبداعي وإغنائه بالمزيد من الإضاءات.

إنما الأدب الإسلامي باعتباره حركة وليدة إلى حد ما لم تتجاوز الربع قرن من العصر، لا تزال تعاني من انكماش وابتعاد في المتابعة النقدية، بحيث إذا نظرنا إلى معطيات هذه الساحة وجدنا أن الكثير مما تم تقديمه للناس من نصوص إبداعية - ديوان شعر أو مجموعة من القصص القصيرة، أو رواية أو مسرحية، أو مقالًا، أو سيرة ذاتية، أو ترجمة حياة - لا تكاد تحظى باهتمام « كافٍ » بل يمكن أن تظل في الظلمة، وأنا أعرف الكثير من القصاصين والروائيين والشعراء الإسلاميين ينتظرون الضوء أو الإشارة أو التعليق من هذا الناقد أو ذاك فلا يحظون ببغيتهم، وهم يعيشون فيما يمكن أن يعتبر جُزُرًا معزولة بعضها عن بعض ينادون ولا يكاد أحد يسمع نداءهم، ويحاولون معرفة ذواتهم من خلال المنظور النقدي لكي يواصلوا الطريق فلا يرد عليهم أحد فيسقطون في مستنقع الصمت القاتل.

النقد الآن هو المطلب الأكثر إلحاحًا في حركة الأدب الإسلامي المعاصر، أي أن نسمع أصوات الآخرين وأن نستجيب لها وأن نضيء، ما وسعنا الجهد، معطياتهم الإبداعية لكي يتبين لهم الطريق حتى يتحقق نوع من التواصل، كما حدث في ساحات الأدب الأخرى؛ ففي ساحة الأدب الماركسي على سبيل المثال كان الأدباء والنقاد الماركسيون يتداعون، فأحدهم يمد يده للآخر من أجل أن يرفعوا حتى النصوص الإبداعية التي لا تحمل قيمة فنية، فكانوا يسلطون عليها مصابيحهم من أجل أن يضعوها في دائرة الضوء، ونحن مع الأسف الشديد لا نزال في أمس الحاجة لهذا النوع من الملاحقة والمتابعة لإنقاذ النص الإبداعي الإسلامي من حفرة الصمت التي تكاد تخنقه.

**○ ما دمت قد تحدثت عن الحداثة فإنني أود أن أسمع رأيكم في هذا الموضوع، وما هو موقع الحداثة في وطننا العربي؟ وما هو مستقبلها؟**

* هناك أسلوبان في التعامل مع المتغيرات الثقافية في العالم، وأنت تعلم يا أخي الكريم أن الحياة البشرية في تحركاتها الثقافية تقوم باستمرار على نمطين هما: الثوابت والمتغيرات، والمتغيرات إن لم ترتكز على ثوابت فإنها تكاد تشبه قفزة ثقافية في الفضاء قد تقود إلى التحطم، كما أن الثوابت التي لا تطل على العالم بمتغيراتها وتتحول نحو الأحسن تكون ثوابت سكونية جامدة لا تقود إلى النمو الثقافي. إذن على ضوء هذا المعطى الذي يكاد يتفق عليه الجميع، فإن علينا ونحن نتعامل مع تيارات الحداثة في مجال الدراسات الأدبية ومناهج الدراسة النقدية ألا نتقبل هذه التيارات بالكلية وألا نرفضها بالكلية في الوقت نفسه، يجب أن نتخذ موقفًا وسطًا، هنا يمكن أن نستعمل عبارة توظيف الحكمة، فنقول ألا تتضمن هذه المعطيات الجديدة في مناهجها وتوجهاتها كشوفًا ذات قيمة في مجال النشاط الأدبي؟ بالتأكيد نعم، فالبنيوية مثلًا سلطت ضوءًا ذا قيمة بالغة على النسيج الداخلي للنص، أي أن المفردة لا تأتي اعتباطًا داخل النص، وإنما يكون اشتقاقها في سياقات أو أنساق من التضاد أو التشابه الذي يعطي دلالات أو إشارات، وأن الناقد الذي يدخل إلى صميم النص في متابعة طبيعة العلاقات الدلالية بين المفردات قد يصل إلى أشياء كثيرة، وقد يكون تقويمه للنص الإبداعي تقويمًا أكثر انضباطًا منهجيًا، وأبعد عن الذاتية، وأقرب إلى المعيارية، لكن الإلحاح في هذا التوجه البنيوي الحداثي يقود إلى جعل العمل منفصلًا كليًا عن خلفياته الإنسانية والبيئية والاجتماعية، حتى عن طبيعة ارتباطه بالأديب الذي صاغ أو قدم هذا العمل، وهذا أمر مرفوض؛ لأنه ما من عمل أو نص إبداعي إلا ويتصادى بشكل أو بآخر مع خلفياته، ولا بد إذن من إضاءة هذه الخلفيات لمعرفة طبيعة هذا العمل وإصدار حكم تقويم أكثر معيارية عليه.

ومعروف عن الغربيين أن لديهم قدرة هائلة على الاكتشاف، ومعروف عنهم أيضًا أنهم في كثير من الأحيان لديهم رؤية أحادية الجانب، فعندما يصلون إلى كشف ذي قيمة يحاولون أن يعتبروا هذا الكشف مفتاحًا لتحريك أسرار العالم والوجود، ففرويد وهو يقدم كشوفه القيمة في مجال النفس البشرية، حاول أن يمط هذه الكشوف

فيفسر بها التاريخ البشري ويقع في الخطأ، وماركس وهو يقدم كشوفًا قيمة في مجال الصراعات الطبقية وتأثيرها على الحركة التاريخية، حاول أن يمط هذه الكشوف ويمضي بها لتفسير التاريخ البشري كله، واعتبار أن المتغيرات المادية – وبخاصة في مجال وسائل الإنتاج والأنماط الإنتاجية – المفتاح الأول والأخير لتفسير التاريخ البشري.

في الأدب أيضًا يجب أن نكون حذرين مما يعانيه المنهج الغربي من مط ومحاولة لجعل الكشف قادرًا على تفسير العالم كله، وهكذا وقعت البنيوية والدلالية والسيميائية وكل المناهج الحداثية الأخرى في هذا المأزق، مأزق المط والتوسيع، ومحاولة إرغام الحقائق بأنماطها كافة على أن تدخل من عنق الزجاجة، ونحن علينا باختصار شديد ألا نرفع السلاح مغمضين أعيننا عن تيارات الحداثة؛ لأن هذه التيارات قد تتضمن كشوفًا ذات قيمة، ولكن أيضًا علينا ألا نستسلم أمام هذه التيارات ونتقبلها بكل أجسامها التي قد يرتطم بعضها ليس مع قناعاتنا ومنظورنا للعالم فقط، وإنما مع القناعات والمطالب والمفردات المنهجية.

* * *
* *
*

# اللقاء الثامن (*)

○ **من هو عماد الدين خليل؟ وما مرد التشعب في الاهتمام لديه؟ فمن يطالع مشوار حياته يلحظ عدة مجالات أبدع فيها كالتاريخ والنقد والمسرح والقصة؟**

* إنني من مواليد الموصل في العراق عام ( ١٩٤١م ) ومشكلتي، كما هي بالنسبة للكثيرين من مفكري جيلي، إننا فتحنا أعيننا على عصر لم يكن المفكر فيه قد اعتقل نفسه في زنزانة التخصص. لقد تعلمنا كثيرًا - بغض النظر عن اختلاف القناعات - من العقاد وسيد قطب وطه حسين والرافعي والحكيم وبنت الشاطئ والغزالي والسباعي والطنطاوي... وغيرهم... كانوا يكتبون في الفكر والأدب والتاريخ... كانوا ينظرون وينقدون ويبدعون... بل إن معظمهم قال شعرًا.

ثمة مسألة أخرى... إن الساحة الإسلامية بالذات قد تغري بنوعٍ من الملاحقة... قد تجعل الكتابة في أكثر من ميدان نوعًا من « فرض العين » على كل قادر... وتبقى مسألة الأولويات هي التي تحدّد ما الذي ينصبّ عليه الاهتمام في هذه اللحظة الزمنية أو تلك.

على أية حال، ومن أجل تجاوز أي نوع من سوء الفهم، فإن تشعّب الاهتمام لا يعني بالضرورة تجاوزًا لمطالب التخصّص، أو المنهج... ولا خرقًا لضرورات الأكاديمية... إن ما كتبته في حقل التاريخ - ولله الحمد - يتحقّق بهذه الضوابط والضرورات وإلّا لما حصلت أساسًا على الماجستير والدكتوراه، ولما رقّيت إلى مرتبة ( الأستاذية ) في التاريخ الإسلامي.

إن منطق العجز وحده هو الذي يدين الآخرين وهم يغادرون بين الحين والحين مواقع تخصّصهم لكي يكتبوا في مجالات أخرى بعيدًا عن الزنزانات التي تحاول أن تقيم أسلاكًا شائكة بين حقول المعرفة الإنسانية.

(*) أجرى الحوار بالمراسلة مندوب إحدى المجلات العربية في ربيع عام ( ١٩٩٠م ) ونشر في المجلة نفسها.

**○ يصارع الأديب المسلم من أجل أن يجد لما يكتبه صدًى وأثرًا سواء في وسائل الإعلام أو بين الأدباء والنقاد ولكن عبثًا يحاول، فيما نجد غيره صوته مسموعًا؟ ويجد من يأخذ بيده؟ ما دور الأدباء والنقاد الإسلاميين في هذا المجال؟ وهل تعتقد أن إيجاد شبكة علاقات نقدية وإعلامية بين الأدباء والنقاد مثلما اقترحت سابقًا ذات جدوى؟ أم أن رابطة الأدب الإسلامي ستقوم به؟ ثم ما هي أسباب التعتيم الإعلامي وما الوسائل التي تعين على كسر هذا الحاجز؟**

* كان اقتراحي نداءً فرديًا... نداءً مترعًا بالألم والمرارة... وكانت تصلني بين الحين والحين رسائل استغاثة من عدد من الأدباء الشباب يشعرون كأنهم يحيون في جزر منقطعة... لا أحد يسمع صوتهم... لا أحد يدلهم على الطريق... أو يقول لهم أين يقفون وأين يواصلون المسير... أدباء كانوا يملكون الطاقة الجيدة والقدرة على التعبير... كانوا موهوبين... لكنهم كانوا يحسّون بالاختناق وبأنهم يحاورون أنفسهم فقط... ولذا كانوا ينطفؤون... الكثيرون منهم خفقوا مرة ومرتين ثم انطفؤوا... لماذا؟ ليس فقط التعتيم المرسوم... ومن الخطأ أن نتخذ منه مبرّرًا لِكَسَلِنا ومشجبًا نعلّق عليه أخطاءنا... إننا - إذا أردت الحق - السبب وراء هذه المعضلة...

والآن فإن مؤسسة كرابطة الأدب الإسلامي العالمية، تعمل بروح الفريق، ربما تكون إشارة الخلاص... ولكن يجب أن نعترف بأن الحاجز عالٍ بأكثر مما نتصوّر وأن اختراقه قد يحتاج لوقت طويل.

**○ الأدب الإسلامي مصطلح بدأ يأخذ مجالاً رحبًا من العناية والاهتمام غير أنه يواجه إشكالية قد تكون في المسمى والتفريق بينه وبين الأديب المسلم؟ وقد تكون في ناحية المضمون حيث يقصره بعضهم في مجالات الوعظ والدعوة، ترى ما أبرز مقومات هذا الأدب الإسلامي وأبرز مجالاته؟ ثم ألا تعتقد أن الالتزام معوق للأديب وإذا لم يكن فلماذا هو كذلك في رأيكم؟**

* ليس ثمة إشكالية من أي نوع بين مصطلحي الأدب الإسلامي والأديب المسلم... فإذا كانت دلالة الأخير جغرافية محضة، فإن الأديب المسلم لن يكتب - بالضرورة - أدبًا إسلاميًا.

ثم إن مسألة التفريق بين الشكل والمضمون مرفوضة - أساسًا - في لغة الإبداع... الأدب الإسلامي تعبير جمالي مؤثر عن الكون والحياة والعالم والوجود من زاوية رؤية إسلامية... فلا بدّ إذن من تلاقي القطبين: الرؤية والجمالية... ولن يكون أدبًا ذلك الذي يتجاوز في الخطاب الإبداعي مطالب الجمال... إن المعاني كما قال الجاحظ يومًا مطروحة على قارعة الطريق، والأديب، بإبداعياته الجمالية، هو الذي يجعل منها أدبًا.

وإذا تحقّق الأديب بإسلاميّته في تعامله مع العالم، وامتلك في الوقت ذاته أدواته وتقنيّاته الفنّية، ذابت معضلة الالتزام، وتحرّر الخطاب من كل العوائق والكوابت، دون أن يكون هناك في الجهة الأخرى أيّما خرق لنسيج العقيدة التي ينتمي إليها والتي تشرّبها حتى النخاع!

تسألني أيضًا عن مقوّمات هذا الأدب وعن مجالاته... وبإيجاز بالغ فإن المقوّم الأساسي الذي تنبثق عنه سائر التفاصيل، هو أنه أدب رؤية متميزة... ساحتها الكون على مداه... ومجالاتها العالم بكل ما يخفق في جنباته وما يضطرب في عقله وفؤاده ومسعاه اليومي... الأديب المسلم هو ابن أولئك الروّاد الذين ابتعثهم اللّه إلى العالم لكي يخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده.

**○ يلقى المسرح اهتمامًا خاصًا من مؤلفاتكم خصوصًا ما يتعلق بالمسرح الإسلامي وأهميته كمجال رحب للتعريف بالإسلام كونه داعية الحق والخير والجمال. كيف نرتقي بمسرحنا الإسلامي؟ خصوصًا أن هناك معوقات « قد تنشأ » إن صح التعبير من أجل إيجاد ذلك مثل ( المسرح والمرأة - اللغة والمسرح ) ما موقفكم من ذلك؟**

* بدلًا من الدخول في مناقشة ما يمكن اعتباره من البداهات، على الأقل بالنسبة للمؤمنين أنفسهم، دعونا نتساءل - على المستوى الفني الصرف - هل يؤثر غياب المرأة على فنيّة العمل المسرحي؟ بعبارة أخرى: هل يعدّ وجودها ( ضرورة ) لا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال؟

لعل هذه المسرحيات التي بين يدي القارئ تجيب على السؤال، ولعلّ المرء يلحظ

كيف أن غياب المرأة، هو على المسرح، كما هو في الحياة، أحيانًا، لا يجرد الأفعال من دراميتها بأية حال من الأحوال... على العكس، إن زرع المرأة - بالمجان - في كل عمل مسرحي أو روائي أو سينمائي، يعدّ أحيانًا إقحامًا على الفعل... إرغامًا للتجربة على قبول ما لم يكن في تكوينها أساسًا... والهدف واضح... إنه الانسياق الصرف وراء تقاليد فنية لم تثبت قدسيتها المطلقة، ولم تناقش معطياتها بالعقل والمنطق لكي يتبيّن أنها ليست حتمية مقفلة.

وهو حينًا آخر تجارة من التجارة، يبيع أصحابها ويشترون في عالم الجنس ويسوقون - على حساب المرأة وكرامتها - طوابير القراء والمشاهدين إلى شبابيك التذاكر وأبواب المكتبات فيما يخرج عن دائرة الضرورات الفنية بكل تأكيد.

إن هذه المسرحيات محاولة متواضعة أخرى على الطريق، وكلّها تخلو من عرض مباشر للمرأة، إلا أنها لا تخلو من حضورها غير المنظور حسّيًّا، لكنه واقع مؤكد، يستمد ثقله من المكانة الكبيرة المؤثرة، التي جاء هذا الدين لكي يرفع المرأة إليها، بل لكي يعيدها إليها، إذا أردنا الدقة في التعبير.

لقد كتبت فيما مضى خمس عشرة مسرحية ذات فصل واحد وثلاث مسرحيات ذات فصول عديدة، ولم أجدني مضطرًّا على المستوى الفني الصرف لاستدعاء المرأة إلى نسيج الفعل الدرامي، ليس لأنها غائبة عن الفعل في صيرورة الحياة، بطبيعة الحال، وإنما لاعتبارات قيمية صرفة... إن موضوعًا كهذا يجب أن يحسم، بل هو في أساسه محسوم إذا أردنا بالفعل أن يكون مسرحنا إسلاميًّا.

بصدد لغة المسرح لا أجدني مندفعًا وراء نوع من الوسوسة التي تخيّل للبعض بأن العامية مؤامرة علينا؛ لأن الكثيرين ممن كتبوا بالعامية لم يكونوا متآمرين! ولكن... ألا يجب أن نتريّث قليلًا ونحن نلحظ بأم أعيننا كيف أن العامية - في المسرح - تزيد من عزلة بعضنا عن بعض... كيف أنها تقود الخطاب إلى نوع من المحلية أو الإقليمية التي تتأبى على الانفتاح أو الانتشار الذي يمضي إلى كل متحدّث بالعربية في مشارق الأرض ومغاربها؟

إن الحواجز بين أبناء العربية كثيرة قاسية، بعضها زرعه الاستعمار، بصيغه المختلفة،

بين ظهرانينا، وأغلبها من صنع أيدينا، وقد آن الأوان للتحقّق بفضيلة الرجوع عن الخطأ وهدم العوائق والجدران.

قد تكون العامية في بعض الحالات الدرامية أقدر على التعبير، لكن القاعدة الأوسع التي يقاس عليها أن لغتنا الشاعرة كما سمّاها العقاد كانت قديرة على تلبية المطالب الصعبة لهذا النوع الأدبي بمستوى عالٍ من الكفاءة، قد لا يبرّر بحال من الأحوال، التنازل عنها باتجاه مفردات الخطاب اليومي المطروح على قارعة الطريق.

**○ أضحى الموروث الشعبي العربي، هاجسًا ملحًا لدى الأدباء والمفكرين العرب وطرحوا مشروعات تستهدف الإفادة من ذلك الإرث الخالد في مشروعات أدبية تحمل مادة الماضي وروح العصر؟ ما موقف د. خليل من ذلك المشروع؟ ويا ترى كيف الإفادة من ذلك؟**

* الحديث عن الموروث الشعبي العربي يقودنا إلى قضية الوحدة والتنوع في عالم الإسلام.

تاريخيًا شهد هذا العالم تنوعًا في التعبير الثقافي عن الذات ( الشعبية ) في إطار الإسلام كانت هناك جماعات وشعوب وأقاليم اكتسبت بمرور الوقت خصائص ذات طابع محلي... وكانت تبحث عن صيغ للتعبير عن خصوصياتها، ولكن ليس خارج دائرة التوجّهات الأساسية للمسلمين كافة كأمة واحدة.

العرب والبربر والأتراك والكرد والهنود والصينيون والجراكسة والإسبان والمغول والزنوج... وغيرهم... وجدوا في الآداب والفنون... في العادات والتقاليد... في ممارسات كثيرة أخرى فرصًا للتعبير عن همومهم الخاصة... ولم يقل أحد: إن هذا خروج عن جادة الإسلام؛ لأنهم جميعًا، على تغاير موروثهم الشعبي، كانوا يلتقون على القاسم المشترك الأعظم لعالم الإسلام... على همومه وأهدافه... جميعًا كانوا يتمحورون عند بؤرة المصير الواحد الذي يضع المسلمين في لحظات التحدّيات الكبرى بمواجهة الخصم: أمة واحدة تنصهر في كيانها سائر الكيانات.

الموروث الشعبي، على ذلك، يمكن أن يكون مادة خصبة للأعمال والمشروعات الأدبية؛ لأنه يتجذّر في الماضي ويستلهم التراث فيمنح الجهد الأدبي مميزاته

وخصوصيته، ولكن بشرط أن تندرج كافة مفردات هذا الموروث في سياق التوجّهات الإسلامية الأساسية... ألّا تشذّ عنها... أو ترتطم بها... لأنها حينذاك يتحتّم، بمنطق الالتزام بالمطلب الإيماني، أن تستبعد وترفض...

إن الموروث الشعبي إذا تجاوز حدوده على حساب القيم والمواضعات الإسلامية دخل دائرة التفريط المذموم... وللأسف الشديد فإن الإعجاب بهذا الموروث والتشبث به أباح للبعض تمرير عدد من المفردات التي لا تنسجم والمعطيات الإسلامية، بما فيها تلك التي تستلهم رموز الجاهليات الوثنية، وحينذاك ستكون أية محاولة أدبية لتوظيف التراث مرفوضة إسلاميًا.

**○ مستقبل الأمة كامن في عنايتها الممتازة بأطفالها ومن أجل صنع قرار للنهوض بهؤلاء لا بد من وضع خطط وبرامج تكفل النجاح لهذا القرار.**

**في رأيكم ما هي الأطر الكفيلة بالنجاح والتي ينبغي أن ينطلق من خلالها من يؤلف للأطفال؟ وهل تعتقد أن الأديب المسلم قد حاول ارتياد هذا المجال وما أهم الأطروحات التي ينبغي أن يؤكد عليها الأديب المسلم؟**

* في المؤتمر الذي عقدته ( رابطة الأدب الإسلامي العالمية ) في اسطنبول في العام الماضي تمت الإجابة على هذا السؤال بشطريه وانتهى المؤتمر إلى مجموعة من القرارات والتوصيات يمكن أن تقدّم دليل عمل في هذه الساحة البكر التي يتحتّم أن تتلقى المزيد. ويمكن في هذه الحالة أن تساهم مؤسسات تربوية، وبالتنسيق مع ( رابطة الأدب الإسلامي )، لترشيد نشاط أدبي كهذا.

**○ تجد دعوة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي قبولًا حسنًا بين أوساط العلماء والمفكرين المهتمين؟ وتنقيته من كثير من الدسائس العالقة به؟**

**ترى ما الأسس التي على من يضطلع بهذا الأمر الأخذ بها وهل تاريخنا كله قابل لإعادة كتابته وتحليله من جديد؟**

**هذا إلى أن التاريخ الإسلامي حافل بكثير من المتناقضات التي شوهت تواريخ بعض الأعلام، وتلميع بعض آخر ومن هؤلاء البرامكة، ويزيد بن معاوية وهارون الرشيد وساهم في ذلك التشويه الشعوبيون من جهة، والمستشرقون من جهة ثانية.**

**كيف يرى د. خليل جهود هؤلاء وهؤلاء وما واجبنا نحن المسلمين للحفاظ على تاريخنا.**

* إن الدعوة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، لا تعني بحال من الأحوال، البدء من نقطة الصفر، ولكنها، بشكل من الأشكال، إعادة قراءة للمادة التاريخية الخصبة التي قدمها الرواة والإخباريون والمؤرخون القدماء.

بعبارة أخرى، إنَّنا لبأمس الحاجة إلى منهج دقيق قدير على تحقيق هذا الهدف، والخروج بعرض أكثر موضوعية لوقائع التاريخ الإسلامي... منهج يمكن أن يستفيد كثيرًا من تقنيات البحث العالمي في التاريخ، شرط أن يضيف إليها حلقات متميزة تجعل من المحاولة أقدر على تلبية هذا المطلب الملحّ؛ لأن الجهد ها هنا ينصبّ على تاريخ متميز ينطوي على منظومة معقدة من الخصوصيات والميزات ليس أقلّها تجذّر الأصول في عالم الغيب.

إن المادة التاريخية الإسلامية ليست سواء، والتسليم بها دون معيار نقدي صارم قاد الكتابات التاريخية وسيقودها، إلى احتواء سيول الأجسام الغريبة من التزييفات والدسائس... وعلى سبيل المثال فإن الطبري في مقدمته، وابن العربي في كتابه ( العواصم ) وابن خلدون في ( مقدّمته )، حذّروا في فترات زمنية مبكرة، من استسلام كهذا ونادوا بضرورة التعامل النقدي مع الموروث الروائي التاريخي.

في ندوة ( منهج كتابة تاريخ الأمة الإسلامية ) الذي عقدته جامعة الزقازيق في جمهورية مصر العربية، في الخريف الماضي، ألقيت بحثًا بعنوان « ضوابط ومعايير أساسية في منهج كتابة التاريخ الإسلامي »، أعتقد أنه يجيب إلى حدّ ما، على سؤالٍ كهذا.

**○ فيما تتناول كثير من الأقلام أن الأزمة التي يعاني منها العرب المسلمون هي أزمة عقل عربي إسلامي تبرز أصوات أخرى تنادي بأن الأزمة أزمة ثقافية وتنادي أصوات أخرى بإعادة تشكيل العقل المسلم وأعتقد أن د. خليل واحد منهم؟ لماذا هذه الإعادة؟**

**وهل هي كفيلة بنهوضنا من معاناتنا الفكرية والحضارية التي نعيشها الآن؟ وكيف يتحقق لنا ذلك؟**

* في المحاضرة التي ألقيتها في التاسع والعشرين من شعبان الماضي في إحدى

المؤسسات الثقافية، بعنوان « رؤية تاريخية للواقع الإسلامي » قلت بأن إحالة الواقع الإسلامي الراهن على « التاريخ » يمكن أن يكشف عن الحالات التالية:

**أولًا:** أنه كان يمارس دورًا حضاريًا فاعلًا ففقد الكثير من مقوّماته.

**ثانيًا:** أنه كان يملك هوية محددة الملامح، وخصائص تميزه عن الآخرين فأصبح في القرون الأخيرة وقد فقد الكثير من سماته وملامحه.

**ثالثًا:** أنه يمكن أن يستعيد الدور ويتحقّق بالهوية، إذا توفّرت شروط معينة، وبذلك وحده يملك جواز سفره إلى المستقبل فاعلًا ومشاركًا في المصير.

وبعد تحليلٍ لأبعاد الدور الحضاري الذي مارسته هذه الأمة عبر التاريخ، ومتابعة للخصائص الأساسية التي تحدّد هويتها المتميزة ( كالإيمانية التوحيدية، والتقابل بين الأصالة والانفتاح »، والتوازن بين الثنائيات، والشمولية، والإيجابية، والواقعية، والإنسانية – العالمية... إلخ ) خلصت إلى القول بأن انعكاس منظومة القيم الإسلامية على واقعنا المعاصر، ومن خلال الاستهداء بالخبرة التاريخية، سيمنح هذا الواقع القدرة على الاقتحام والمشاركة... هذه المشاركة التي يؤكدها الفكر الغربي يومًا بعد يوم والتي أوردت بصددها العديد من الشواهد والنصوص قدر ما سمح به المجال.

بإيجاز شديد وبقدر ما يتعلق الأمر بسؤالك، فإن اجتياز الأزمة لن يتحقق بعودة ( رومانسية ) إلى الماضي، كما أنه لن يتحقق بتجاوز التاريخ... إننا إذا أردنا أن نمضي إلى المستقبل بفعالية أكبر على التحقّق كأمة فإن علينا أن نستهدي بالخبرة التاريخية... ولكنها ليست أية خبرة... إنها الخبرة التي صنعتها العقيدة... الخبرة التي تلقّت مفرداتها ومكوّناتها من تأثير الرؤية الجديدة التي جاء بها هذا الدين... إن التاريخ في هذه المحاولة سيمنحنا مصداقية من نوع ما نحن بأمس الحاجة إليها في عصرنا الراهن. فإذا كانت العقيدة قد قدرت فعلًا على التعامل مع الزمن والمكان وتغيير التاريخ، على مدى زمني متطاول، أفلا تكون اليوم قديرة على أداء الدور نفسه؟

لقد كان « تشكيل العقل المسلم » خطوة على الطريق؛ لأن الأزمة ليست أزمة « عقل عربي مسلم » فحسب، ولا حتى أزمة ثقافية، إنها أزمة حضارية وإننا في مواجهة ما يسمّيه ( توينبي ) تحدّي الحضارة الغربية الكاسح، لا بدّ من أن نتحصّن بالذات، ونتجذّر في العقيدة والتاريخ... وإلّا ضِعْنَا.

ليس الأمر، في الحقيقة، وصفة طبية يقدّمها هذا الخبير أو ذاك... ولكنها محاولات قد يقدّمها حشود من الخبراء والمعنيِّين... إلّا أن هذه كلها لن تقود إلى نتيجة ما لم تتحقّق - على الأقل - باثنتين: النيّة الصادقة والمنهج السليم.

**○ تقام مهرجانات ثقافية وفكرية وتراثية في أغلب البلدان العربية ويبرز فيها الحوار الفكري في المختلف والمتفق عليه؟**

**هل أسهمت هذه المهرجانات إيجابيًا في إغناء حركتنا الثقافية؟ وهل تعتقد أنها قناة اتصال بين أداء المشرق والمغرب العربي؟ ثم هل الأطروحات والمشروعات التي تعالجها ذات مردود على فكرنا؟**

**ما تعليقكم على هذا؟ وما رؤيتكم المستقبلية في سبيل النهوض بهذه المهرجانات الثقافية؟**

* لم يتح لي، لسبب أو آخر، حضور أي واحد من هذه المهرجانات وليس بمقدور المرء أن يحكم على فعالية ما وهو ينظر إليها من بعيد.

**○ في مقدمتكم الطويلة في كتابكم ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر ابن عبد العزيز وضعتم أسسًا لمنهج المؤرخ المسلم تقوم كلها على ما سميتموه التوازن بين الذات والموضوع... ما هو المقصود بهذا التوازن؟ وهل هذا المنهج القائم على هذا التوازن ينسحب على عمل المبدع المسلم في فنون الأدب والنقد وغيرها من الفنون؟**

* لا أكتمك القول بأنني بعد سنوات من كتابة تلك المقدمة، عدت فألغيتها من الحساب، وأرسلت للناشر بديلًا عنها، وأرجو أن أكون بذلك قد مارست نوعًا من فضيلة الرجوع عن الخطأ.

إن البحث في التاريخ ليس نشاطًا إبداعيًا، فلكلٍّ قوانينه الخاصة، ومن ثم فإن دخول الذات طرفًا فيه، أمرٌ مرفوض منهجيًا... قد تسألني عن السبب الذي دفعني إلى كتابتها...

يومها كنت أكتب سلسلة من المقالات في الهجوم على « الأكاديمية » ليس في أسسها المتفق عليها، ولكن في مواتها - على أيدي جامعيينا - وجنوحها صوب الشكلانية المنهجية، وافتقارها لأيما رؤية شمولية تمكنها من مقاربة أكثر عمقًا ودقة للواقعة التاريخية.

يومها - أيضًا - كنت أحسّ بحصار وظيفي قاسٍ... كنت أعايش أناسًا كان عجزهم وتضحّلهم وافتقادهم لأي قدر من الإبداع والابتكار... يدفعهم إلى الاحتماء بالنصّية، إلى التشبث بالأكاديمية رغم أنهم غير قديرين على تلبية مطالبها الأساسية فيما يسميه الغربيون « التنسيق العظيم »... كانوا أيضًا يتوهمون أن أي نزوع جمالي في الأداء التاريخي هو خروج عن العلم!

كنت مندفعًا بنوع من ردّ الفعل ساقني من حيث لم أُرد إلى عرض مقولة التوازن تلك بين الذات والموضوع.

فلما عدت إلى المقدمة، بعد أن بردت ساحة المعركة كما يقولون، وجدت أن إلغاءها ضرورة يتطلبها المنهج نفسه!

**○ استشهدتم في طرحكم حول الأدب الإسلامي... في كتابكم « في النقد الإسلامي المعاصر » وكذلك في كتابكم « المأسورون » بنصوص أدبية لغير المسلمين كنماذج أدبية إسلامية هل تقيمون فرقًا بين الأديب المسلم... والأدب الإسلامي؟...**

* إنها معضلة لا يزال الجدل قائمًا حولها بين الأدباء الإسلاميين.

بمقدور المرء - في الوقت الحاضر على الأقل - أن يجد ممرًّا للخروج منها، وذلك باعتماد مصطلح « الأدب الإيماني » بموازاة، أو مع « الأدب الإسلامي »، فإذا كان النصّ الإبداعي يعبّر عن رؤية إسلامية متميزة، يصوغها أديب مسلم، كان أدبًا إسلاميًا، أما إذا جاء هذا النصّ لكي يعبر عن رؤية إيمانية شاملة يصوغها أديب من غير المسلمين، لكنها تلتقي في خطوطها العريضة وتوجّهاتها الأساسية مع الرؤية الإسلامية، عند حافات الأفق الإيماني الوضيء في عالم تحاصره المادية والتفكك والفساد... كان هذا أدبًا إيمانيًا.

والمهم هو ألّا تفرّط الحركة الأدبية الإسلامية المعاصرة بمعطيات عالمية، تعين على تأكيد الإيمان، بمفهومه الشامل، وتمنح هذه الحركة مبرّرات أكثر للبقاء والانتشار...

إن سؤالك يثير إشكالية المصطلح النقدي الإسلامي الذي هو بأمس الحاجة إلى ندوة، بل ندوات، تعقد لغرض التمحيص وصولًا إلى قناعات مشتركة بصدد منظومة المصطلحات... إنها والحق يقال، مرتكزات ضرورية للنشاط النقدي، وبدونها قد لا يأمن من الانزلاق صوب نوع من الغموض وربما التناقض.

**○ كان المتابعون يتوقعون في السبعينيات نتاجًا أكثر للدكتور عماد الدين خليل عطفًا على ما بشَّرت به كتبه التي صدرت بداية... لكن الملاحظ أن نتاجكم لم يستمر حسب المتوقع... لماذا...؟**

* لا أدري إن كان هذا صحيحًا أم لا؟ ولكنني إذ أتذكر قائمة مؤلفاتي المتواضعة في الثمانينيات أجدها أكثر عددًا عما كانت عليه في السبعينيات. لقد أتيح لي في بدء الثمانينيات فرصة طيبة للتفرُّغ أعانتني كثيرًا على إنجاز العديد من المشروعات التي كانت تلحّ عليّ... بما فيها رواية « الإعصار والمئذنة » التي كنت أحلم بكتابتها منذ الستينيات.

لعلها مشكلة النشر والتوزيع... فإنني في صنعاء لم أجد الكثير مما نشرته في بيروت أو بغداد أو عمان أو الدوحة أو القاهرة... كما أنني في القاهرة أو عمان لم أجد ما نشرته في مدن أخرى... ولن تحلّ المشكلة إلّا بأن تتاح الفرصة للتحقّق بحد جيد من الانسيابية في توزيع الكتاب.

° ° °
° °
°

# اللقاء التاسع (*)

○ **في كثير من محاضراتك ومؤلفاتك، لا سيما ( إعادة تشكيل العقل المسلم ) يبدو أنك تمارس النقد على طريقة المؤرخين والأدباء، لا على طريقة الفلاسفة...**

**السؤال: هل يمكن أن نمارس النقد الفكري دون أن نتكئ على الفلسفة في نقدها للعقل الخالص ( كانط ) أو في نقدها للعقل الجدلي ( سارتر )، وهل يمكن لمن يمارس علم التاريخ أن يكون بعيدًا عن الفلسفة التي تعتبر الرؤية الشاملة للعالم؟**

* العمل في حقل التاريخ قد يقتضي رجوعًا إلى نوع من الفلسفة وليس إلى مطلق الفلسفة.. ففلسفة الجمال وفلسفة الأخلاق... ليست ملزمتين للمؤرخ بقدر فلسفة التاريخ التي تمنحه الأداة التي تمكنه من فهم قوانين الحركة التاريخية، وبالتالي فهي تلقي الأضواء الكاشفة على صيرورة الحدث: كيف يبدأ، وكيف يتشكل، وكيف يرتبط بمنظومة الأحداث الأخرى المساندة أو المتقاطعة معه.

إذن فإن على المؤرخ المعاصر أن يتعامل مع فلسفة التاريخ، وهذا هو الذي فعله كل فلاسفة التاريخ من أصحاب النظريات المعروفة في التفسير: هيغل كروتشه وماركس وإنغلز واشبنبغلر و توينبي... وهو الذي فعلته في كتابي ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) الذي صدر عام ( ١٩٧٤م عن دار العلم للملايين في بيروت ).

ثمة ما يمكن التنبيه عليه هنا وهو أن أجدادنا - زمن تألقهم الحضاري - اندفعوا بأكثر مما يجب في تقبل معطيات الفلسفة اليونانية، وأهدروا طاقاتهم فيما لا مبرّر له، ووصل بعضهم إلى طرق مسدودة، الأمر الذي اضطر عقلًا متألِّقًا كابن خلدون إلى أن يدين الاشتغال بالفلسفة... ليس مطلق الفلسفة وإنما ما كانوا يسمونه بفلسفة الإلهيات، التي تكفل الدين وليس العقل البشري بالإجابة على أسئلتها، وانصرف - بدلًا من ذلك - إلى فلسفة الاجتماع والتاريخ من أجل الكشف عن قوانين الحركة التاريخية التي وضع في ضوئها مقدمته المتألقة.

---

(*) أجرى الحوار في عمان مندوب صحيفة ( اللواء ) ونشر في عددها الصادر في ( ٢/ ٩/ ١٩٩٢م ).

هذا ما أردت أن أقدّم بخصوصه بعض التأشيرات السريعة في محاضرتي يوم أمس: إننا كأمة مسلمة لا نستطيع أن نتبين مواقع أقدامنا في العالم، وعبر الصراع الحضاري الراهن، إلّا بأن تكون لدينا القدرة على كشف قوانين الحركة التاريخية ومعرفة الصيغة التي تمكنت بها الأمم والشعوب من تكوين نفسها حضاريًّا.

**○ إعادة التشكيل أو إعادة التفكير شيء، كما يقول المؤرخون، ونقد التفكير أو العقل المفكر شيء آخر. وقراءة الأدبيات التاريخية من هذا المنظور يعتبر اختراقًا – كما تقول – للقشرة الخارجية للعالم ( الفكر )، كيف يساهم هذا الخرق في تدشين المشروع النهضوي الإسلامي؟**

* عملية كسر القشرة الخارجية تأخذ بعدًا علميًّا صِرْفًا – إذا صح التعبير – وليس بعدًا فلسفيًّا، يعني، وبصراحة، وبعيدًا عن وضع الخلفيات الفلسفية التي تعقد الأمور أحيانًا، ويعتمدها في القرن العشرين كتاب لا يملكون عقيدة كعقيدتنا ورؤية كرؤيتنا، من أجل إضفاء نوع من تضخيم حجم الأشياء على مقولاتهم... فإن قصدي في كتاب ( إعادة تشكيل العقل المسلم ) أن نكون ونحن نتعامل مع هذا العالم بمستوى الغربيين أنفسهم، والذي جعلهم يتفوقون علينا، ليس بعقائد هؤلاء ولا بأفكارهم ولا بفلسفاتهم، ولا بكل تراثهم الثقافي المليء بالخطأ والصواب، ولكن بشيء واحد: إنهم أدركوا بأن القيادة الحقيقية لهذا العالم لن تتحقق إلّا بالإيغال في السنن الكونية، والكشف عن الطاقات المخبوءة خلف قشرة العالم الخارجية، والنزول إلى أعماق الأرض بحثًا عن خاماتها ونواميسها ومعادلاتها الطبيعية والجغرافية، حينذاك قدروا بما يسمى اليوم بالعلوم المحضة أو الصرفة، على أن يضعوا المعادلات التي قامت عليها التكنولوجيا الحديثة.

نحن لسنا بحاجة إلى معطيات ثقافية أثبتت حركة التاريخ الغربي بطلانها، ولن ترجع مرة أخرى كتابات ( كالوجود والعدم ) لسارتر و ( رأس المال ) لماركس لكي تنشئ جيلًا بأكمله من المنتمين، لقد أصبحا عملًا متحفيًّا أو مكتبيًّا يوضع في المكتبات ويدرس ويمكن أن تؤخذ عنه رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه. أما أن يعودا لكي ينشئا أمة أو جماعة تتحرك في قلب العالم وتبشر بالفكرة، فهذا أمرٌ مستحيل. والحالة نفسها تنسحب على الكثير من المعطيات الثقافية الغربية. ونحن

قبالة ذلك نملك ( الكتاب ) أو ( المنطلق ) الذي يحمل قدرته الدائمة والمتجددة على بعث أجيال من المنتمين تعرف كيف تستلهم ما يقدمه ( الكتاب ) من قوانين الحركة التاريخية، مؤكدًا على العبارة؛ لأنها تنطوي على دعوة صريحة إلى كسر قشرة العالم والتعامل ( العلمي ) مع سننه وقواه المذخورة. ولنتذكر ( سورة الحديد ) والآية التي تقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾ ونتذكر معها أن قوة هذه الأمة وعزتها المستمدتين من قوة الله سبحانه وعزته لن تتحقق ما لم تنشب أظفارها في الكتلة... في فيزياء العالم... وتستخرج الحديد وكل الخامات الأخرى القديرة على أن تقدم لها الخدمات الكبرى في السلم والحرب... ولنتذكر هذا النداء القرآني الدائم: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [ الأنفال: ٦٠ ] القوة على إطلاقها، إذا أردنا أن نكف أطماع الطامعين ونوقف شهوات المستكبرين في الأرض. ونتذكر معها واقعة ذي القرنين الذي لم يستطع أن يحقق الأمن في الأرض، ويحمي المستضعفين إلّا باستخدام الحديد المنصهر والنحاس السائل. وثمة مقطعان واضحان في ( سورة ص )، يشيران إلى ما سُخِّر لداود وسليمان عليهما السلام من طاقات... إنه لو أحسنا الإنصات للخطاب القرآني بهذا الخصوص فإننا سنجد أنفسنا قبالة دعوة واضحة ومؤكدة في التعامل ( العلمي ) لا الفلسفي مع العالم، هنا الذي يكشف عن السنن والنواميس ويحولها إلى تطبيقات تكنولوجية بالتعبير الحديث، ويعطي لأمتنا الضائعة القدرة الحقيقية على حماية فكرها ودينها وإيمانها في مواجهة الطاغوت البشري.

**○ يبدو في مشروعكم لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي ثمة تصور يتلخص في محدودية النظرة لمجمل العلوم والمعارف، لا مجرد علم الفقه مثلًا، لإعادة تركيب النظام الفكري ( الاعتماد على المنهجية العامودية أو تسلسل الزمن ) كما يقول أركون. هل من الممكن الاعتماد على المنهجية الأفقية لكتابة التاريخ الإسلامي، أو قراءته، لتأسيس علم جديد لقراءة التاريخ؟**

* هذا الكتاب الذي تشير إليه كان مجرد ( مدخل ) لوضع ضوابط أولية للتعامل مع التاريخ الإسلامي، ولم تكن من مهمته أساسًا الامتداد أفقيًا للتعامل بمنظور شمولي مع التاريخ البشري. قد يكون كتابي الآخر ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) محاولة

لإعطاء رؤية استشرافية لتفسير ينطلق من منظور إسلامي في تعامله مع العالم، مع التاريخ البشري ككل، وليس مع التاريخ الإسلامي تحديدًا. بمعنى أن هذا الكتاب الصغير الحجم أريد له فقط أن يضع التأسيسات الأولية التي لا بّد لنا منها إذا ما أريد تحقيق مقاربة تاريخية للوقائع، كما تشكلت بالفعل لا كما يراد لها أن تكون. ولقد أخفقت فعلًا معظم المشاريع الجماعية التي أرادت أن تعيد قراءة التاريخ الإسلامي؛ لأنها انطلقت على غير أساس أو اتفاق أو قاسم مشترك من الضوابط والمعايير. ولقد كان هذا الكتاب في بدايته الأولى محاولة للتعليق على مشروع قامت به جامعة الكويت، بعد عدة مشاريع قامت بها جامعات أخرى، وكلها آلت إلى الفشل. وكما تنبأ المقال فقد أخفقت حتى جامعة الكويت في تنفيذ مشروعها؛ لأنها نادت مفكرين ومؤرخين ينتمون إلى أفكار شتى، والتاريخ الإسلامي لا يكتب بالآراء والخلفيات المتباينة... لا يكتب إلّا باتفاقات مسبقة على ضوابط محددة تستمد رؤيتها من صلب هذا التاريخ.

**○ يا سيدي ونحن الآن ننادي بالبدء في وضع المدماك الأول لمشروعنا النهضوي الإسلامي، ولكننا لم نكتب بعد تاريخنا، ولم نتفق بعد على المنهج في كتابته. ولم نضع الضوابط والشروط لدراسته، كيف ينسجم هذا الحال مع الأمل المعقود على ما يسمى بالصحوة الإسلامية التي بدأت تؤسس لإقامة المشروع النهضوي الإسلامي المطلوب؟**

* بالمثل المعروف « أن قطع رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة »... وقد بدأت هذه الخطوة وتبعتها خطوات... وأنا من خلال تدريسي في السنوات الأخيرة لطلاب الدراسات العليا ألحظ - ليس فقط في ديارنا وإنما في الجامعات الغربية - كيف يقبل العديد من هؤلاء الطلبة على كتابة رسائل وأطروحات في المنهج أو البحث التاريخي من منظور إسلامي وبدأت تتكاثر وتنتشر محاولات التأصيل والتعامل مع التاريخ الإسلامي؛ بمعنى أن نتعامل معه ليس من منظور خارجي كالذي حدث في الأربعينيات والخمسينيات، وإنما من منظور إسلامي يستمد بنيته من إيقاع التاريخ الإسلامي نفسه، من قوانينه ذاتها، ولحسن الحظ فإن المكتبة الإسلامية تتلقى أكثر فأكثر محاولات جادة في هذا الاتجاه، فهي تبشر بكل خير. ونحن نأمل بأن تنفيذ معايير كتابة التاريخ الإسلامي في واقع البحث التاريخي ستزداد انتشارًا في العرض والعمق... إن شاء اللّه...

**○ يدّعي بعض المفكرين، لا سيما المستشرقين منهم، أن بعض التيارات والزعامات الأيدولوجية الإسلامية قد استخدمت النصوص المقدسة للهيمنة على البشر ( الكهنوت ). هل توافقون على ذلك تاريخيًا؟ وهل تلمسون هذا في الوقت الحاضر؟ وهل ثمة ارتباط بين التفسير ومصلحة الأيدولوجيا كما حصل في فكر المعتزلة والأشعرية مثلًا؟ وهل هناك حدود على العقل المسلم وسياج حوله؟**

* بقدر ما يتعلق الأمر بالرؤية السياسية لتاريخنا... نعم... هنالك مساحات واسعة في هذا التاريخ تنطوي على الأبيض والأسود والرمادي معًا... وعلى حشد من ممارسات خاطئة بموازاة حشود من الممارسات الإنسانية، بما في ذلك ادّعاء العديد من الخلفاء الذين جاؤوا في فترات متأخرة نسبيًا بنظريات تكاد تضعهم مع ما ادُّعي في الغرب على يد الأباطرة... أنهم مفوَّضون عن اللّه في هذا العالم، وأنهم ظلال اللّه في الأرض... ولهذا نجد تاريخنا - في المقابل - مترع بالثورات، وحركات المقاومة، ومحاولات التقويم.

ولكننا إزاء هذا كله سنقع في خطأ علمي إن حاولنا تنزيل ( المقدس ) على تاريخنا، كما روّج يومًا دعاة التفسير المادي ( الماركسي ) للتاريخ، بقولهم إن التاريخ الإسلامي هو تاريخ السلطة المطلقة، والمقدّسة... تاريخ الأرستقراطية والفئات المتنعمة... أبدًا فإننا بمجرد أن نرجع إلى المسعودي والطبري والدينوري وابن الأثير... إلخ، بمجرد أن نرجع إلى كتب التراجم والأنماط الأخرى من العرض التاريخي، فإننا سنجد كيف أن المساحة الأوسع من هذا التاريخ قد محضت للثورات التي سعت إلى إعادة الحق إلى نصابه من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ. لا بل إن التغيير، ومحاولات الانقلاب، قد تأتي من قلب مراكز اتخاذ القرار. وكانت محاولتي عن عمر بن عبد العزيز، ومحاولتي الأخرى عن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي تأكيدًا لهذا الاتجاه: تغيير انقلابي شامل لوضع فاسد مترع بالشروخ من أجل تعديل الوقفة وتحقيق المقاربة بين حركة التاريخ وبين ما يريده اللّه ورسوله ﷺ، ولقد حققت المحاولتان نجاحًا باهرًا على كل المستويات.

ثم ما لنا ألّا نرجع إلى عصر التأسيس الراشدي الذي أسقط « القدسية » وساوى بين الخليفة وبين جماهير الأمة، ودعا إلى تقويم الخلفاء حيثما انحرف بهم المسار...

وبما أن هذا العصر يعكس الرؤية الإسلامية الأصيلة للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، فلنا أن نسقط - في ضوئه - ترّهات الماركسيين الذين وضعوا الإسلام في خانة ( الكهنوت ) المسيحي.

أما أن يضع الإسلام حدودًا على العقل المسلم وسياجًا حوله، فهو ما يتناقض ابتداء مع معطيات كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ اللتين فتحتا الطريق على مصراعيه لكل نشاط عقلي فيما لا يتسع لقاء كهذا للخوض في تفاصيله المعروفة والتي سبق وأن عرضت لها بالتفصيل في جملة مؤلفاتي وبخاصة ( تهافت العلمانية ) و ( حول إعادة تشكيل العقل المسلم ) و ( مدخل إلى موقف القرآن من العلم الحديث )... إلخ، فلا مبرّر للتكرار...

**○ هنالك بعض المفكرين الإسلاميين يستعجلون القطاف، ويحرقون المراحل ويخلطون بين الخطاب الديني والآخر السياسي وغيرهما... فما رأيكم في ذلك؟**

* ابتداءً يجب التأكيد على أنه ليس في الإسلام ثنائية بين الدين والسياسة لكي نقول بأن علينا أن نتجاوز الخلط بينهما... في الفكر الإسلامي... في التاريخ الإسلامي كان تعاشق الدين بالسياسة أمرًا معروفًا تمامًا كتعاشق العلم بالإيمان...

هذه مسألة؛ أما المسألة الأخرى فإننا لو استدعينا التاريخ مرة أخرى وبدأنا من نقطة الارتكاز فيه وهي عصر الرسالة، فإننا سنجد حذرًا شديدًا من القفز في الفضاء، أو كما نسميها ( حرق المراحل ). فلقد كان الرسول ﷺ، وهو الموعود بالنصر من السماء، لا يتحرك صوب الخطوة التالية، إلا بعد أن يكون قد استكمل شروط وأسباب الخطوة السابقة... أن يمضي على هدًى وبيّنة في حلقات يمسك بعضها برقاب بعض، وليس ثمة قفزة من حلقة لأخرى تتجاوز تلك التي تفصل بين الاثنتين. كان يحسب لكل شيء حسابه. وهكذا تشكلت مرحلة بناء الإنسان المسلم والجماعة المسلمة بالدعوة في العصر المكي، وبناء الدولة المسلمة بالتشريع في العصر المدني، وبناء الحضارة الإسلامية بعد مرحلة تعليق زمني بسبب التأسيسات الأساسية للدعوة والدولة، وبسبب التحديات التي جوبهت بها هذه الدولة ( الردّة والفتنة والحرب الأهلية )، وبسبب انشغال القيادة الراشدة بحركة الفتوحات الكبرى.

فليس ثمة أمة في هذا العالم قديرة على أن تمارس دورها دون أن تتعامل مع مطالب اللحظة التاريخية، وتلامس مفردات الواقع اليومي، تلتصق بها وتتعامل مع قوانينها، وتتجاوز حرق المراحل والقفز في الفضاء...

وأحب - في هذه المناسبة - أن ألفت نظر كل المغرمين بالقوالب الفكرية الغربية الجاهزة، وتنزيلها على تاريخنا وخبراتنا، أن حرق المراحل والقفز في الفضاء تكرر عندهم مرارًا، الأمر الذي انتهى بسقوط مشاريعهم كافة الواحدة تلو الأخرى... في ميدان الفلسفة ( الوجودية مثلًا )... في ميدان التغيير الأيديولوجي ( الشيوعية والقومية الشوفينية مثلًا ) وفي ميدان الاشتراكيات المسماة ( بالطوباوية ) والتي استعجلت القطاف دون أن تصل إلى نتيجة...

فبدلًا من تنزيل قوالبهم علينا فيما لا ينسجم وطبيعة الحال على وضعنا، علينا نحن أن نبدأ المحاولة في البحث عن نقاط الخلل في فكرهم ومشاريعهم كي نعطي لشبابنا الأمل بمشروعهم الحضاري المرتجى.

**○ في كتابكم عن العلمانية هنالك اتهام وإدانة واضحة لهذه الظاهرة... فكيف نستطيع أن نوازي بين نفي العلمانية باعتبارها تعني فصل الدين عن الدولة والحياة، وبين استجلاب العلمية لإعادة تركيب أنظمة الفكر واللغة والتاريخ وغيرها من مشروع نهضتنا الإسلامية، لا سيما وأن كثيرًا من المستشرقين يؤكدون حاجتنا إلى العلمنة باعتبارها تعني الإيجابية في الانخراط الثقافي والمسؤولية الفكرية؟**

* السيكيولارزم، أي العلمانية الغربية تعني؛ تحديدًا: فصل الدين عن الدولة، أي فصل الدين عن مجريات الحياة الواقعية ودفعه إلى مواقع العزلة كما تم في أوربا. وتسميتها بالعلمانية تنطوي على خطأين لغوي واصطلاحي؛ لأنها تقود إلى تصوّر أن العلمانية بمفهومها هذا تستند إلى المعطى العلمي في تعاملها مع العالم، وإذا كان هذا مبرّرًا في الساحة الغربية فإنه يتناقض ابتداء مع الثوابت الإسلامية التي تؤكد على العلم والمنهج وترفض الأهواء والظنون والأساطير... وتدعو إلى البرهان في التعامل مع الظواهر والأشياء... وحيث تنزلت الكلمة الأولى في كتاب اللّه وهي تنطوي على دعوة واضحة صريحة للقراءة في كتاب الكون الكبير. وحيث ترد كلمة العلم بمشتقاتها المختلفة في كتاب اللّه فيما يزيد على السبعمائة والخمسين مرة!!

أما في الغرب فلعل تسميتها هذه بسبب من كونها دعوة لإعمال العقل والعلم في مجابهة خرافات وأباطيل العهدين القديم والجديد المحرّفين؛ حيث أتيح للعقل بعد صراع مرير مع السلطات الكنسية أن يتحرر من قبضتها وأن يمضي قدمًا.

في ضوء ذلك يتحتم علينا أن نكون حذرين من لعبة خلط الأوراق... واستدعاء خبرة لا علاقة لها مطلقًا بفكرنا وتاريخنا وحضارتنا ومشاريعنا، بطريقة آلية فجة تقود إلى تجريد ( الإسلام ) من خصوصياته المتمثلة في كونه ينطوي على عقيدة وشريعة لن تكون لهما فاعليتهما المطلوبة إن لم تكن هناك دولة تمارس بآليات السياسة تنزيل مطالب الشريعة في واقع الحياة.

وبالتالي فإن مفكّرًا كمحمد أركون عندما يدعو إلى علمنة الإسلام يقع في الهوّة نفسها؛ لأنه يستدعي المصطلح الغربي الذي تشكل في مناخ الصراع الحاد بين الدين والسياسة.

إن لغتنا تنطوي على الكثير من الجسور التي تصل بنا إلى المطلوب، وتعبر بنا إلى شواطئ الأمان، بعيدًا عن استيراد المصطلحات الأجنبية الجاهزة والتي تخلّقت في رحم مغاير في خصائصه الذي تشكلت فيه خبراتنا.

الحديث في هذا الموضوع يطول وأظن أن ما قلته يكفي للإجابة على تساؤلك.

**○ في كتابك ( دراسة في السيرة ) تقول: إن المستشرقين قد تسرعوا في إصدار الأحكام بحق التاريخ الإسلامي، وأثاروا شكوكًا كثيرة في موضوع السيرة. كيف نستطيع أن نحوّل النظرة الاستشراقية الحديثة في الموضوعات الإسلامية لصالح الفكر الإسلامي؟ وهل باستطاعتنا أن نؤسس نظرية استغرابية تقابل النظرية الاستشراقية التي استفاد منها غيرنا؟**

* الجيل الأكثر حداثة من المفكرين الغربيين وبعض المستشرقين، فهم بالضرورة ليسوا جميعًا من المستشرقين. فالمستشرق هو رجل متخصص في البحث في تاريخ العالم الثالث وبخاصة عالم الإسلام وتاريخه... والمهم أن الفكر الغربي استشراقيًا كان أم غير استشراقي، في سياقاته الأكثر حداثة وتحرّرًا من ضغوط المراكز الاستعمارية والمسيحية التبشيرية، كما كان الحال في البدايات الأولى، يكاد يحقق

مقاربة أكثر موضوعية للإسلام عقيدة وشريعة ونبيًّا وقرآنًا وتاريخًا وحضارة وتعاملًا مع الآخر... وعلينا – فعلًا – أن نفيد من الحلقات المضيئة لمعطيات هذا الفكر ( كما فعلت في كتابي قالوا عن الإسلام... وغيره )... أنهم وهم يتعاملون مع الإسلام من الخارج قد يكتشفون أشياء كثيرة لم نكتشفها نحن بسبب الإلف والاعتياد، فيقدمونها كحقائق متألقة يمكن أن نبني عليها الكثير.

إنما الأجيال السابقة من المستشرقين، والمتشكلة من تأثيرات الكنيسة ومراكز القرار الاستعمارية، وصولًا إلى مرحلة صراع الغزو الفكري... هي التي أساءت إلى الإسلام ونبيّه وتأريخه إساءات بالغة السوء، خصوصًا إذا تذكرنا أن بعض المستشرقين الأوائل كانوا من القسس ورجال اللاهوت، وبعضهم الآخر تسلّم مراكز حساسة في مراكز اتخاذ القرار السياسي، وقد مارسوا مهمة تقديم رؤية تاريخية جاهزة للأمة لكي يتحركوا على ضوئها في الهيمنة على مقدرات الشعوب وهم أكثر معرفة بخصائص هذه الشعوب وتكوينها الاجتماعي وخلفياتها التاريخية.

والحق أن هذا ليس السبب الوحيد في الإساءة، فهنالك إلى جانبه عقلية المفكر الغربي أو المستشرق؛ وهي عقلية ماديّة علمانيّة لا تؤمن بالغيب ولا باليوم الآخر، وبالتالي فإن المفتاح الحقيقي لفهم طبيعة التاريخ الإسلامي قد أفلت من بين أيديها، وساقها إلى تقديم هذا الضلال بحق هذا التاريخ. وقد ناقشت هذه المسألة بالتفصيل في الكتاب الذي كلفتني بإنجازه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن منهج المستشرق البريطاني المعاصر ( مونتجمري وات ) في تعامله مع السيرة، فلا مبرّر للتكرار.

وأنا معك في ضرورة تأسيس نظرية استغرابية، أو مراكز ومعاهد للاستغراب، للردّ على السلاح بمثله... وذلك من أجل أن يتخصص من بين ظهرانينا جملة فاعلة من الباحثين في معطيات العقل الغربي، والكشف عن عناصر الخلل فيه، ودوافعه، وأهدافه... فإن المثل العسكري الذي يقول: بأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع، قد ينطبق على هذه الحالة... وبخاصة بعد تساقط جل إن لم أقل كل المشاريع الفكرية الغربية الواحد بعد الآخر... ( الوجودية والشيوعية والقومية الشوفينية والاشتراكيات الطوباوية وأخيرًا ها هو النظام الرأسمالي يصل إلى طرق مسدودة )...

وذلك من أجل أن نقول للعالم بأن الخلاص البشري لن يتحقق إلّا بالمشروع الإسلامي... والحق أن معضلة العالم اليوم معضلة كونية، كما يقول المفكر الفرنسي روجيه غارودي، ولا بّد للجواب أن يكون كونيًا... والإسلام هو هذا الجواب!!

**○ يقال بأن عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية، مصاغة بشكل معاصر، ومستنبطة من القرآن لتعطي ما سمي ( بإسلامية المعرفة ) يتطلب طرح السؤال التالي: كيف سيتأتى للمفكرين المسلمين صياغة مثل هذه النظرية، وما هو الطريق ( لأسلمة المعرفة )؟**

* هناك محاولات جادة على مستوى المؤسسات، وبخاصة ( المعهد العالمي للفكر الإسلامي ) لتنفيذ هذا المطلب الأساسي: أن تكون هناك تأسيسات لنظرية معرفية أو منهج معرفي في التعامل مع الظواهر والوصول إلى نتائج دقيقة. ولحسن الحظ فإن القرآن الكريم والسنة النبوية، ورصيدنا التاريخي الفكري، لا يبخلون علينا بهذه التأسيسات المعرفية، وهي تأسيسات تحمل شخصيتها المستقلة، قد تتداخل بحكم مبدأ الأواني المستطرقة، مع معارف ونظريات معرفية لأمم أخرى في مفردات معينة، لكن تبقى القواعد الأساسية تختلف اختلافًا جذريًا؛ لأنها - على خلاف الأخريات - تقوم على التوازن بين الوحي والوجود، بينما جنحت كل النظريات الأخرى باتجاه الوجود فقط، أو الغيب فقط؛ أما في تاريخنا وثقافتنا فنلتقي بوحي ليس كوحي الأديان المحرفة، إنما هو الوحي الإيجابي الذي يدعو لاقتحام شبكة الوجود والتوغل في قلب العالم، وهذا يعد التأسيس الأوّل لنظرية المعرفة الإسلامية.

**○ في كتابه ( الكتاب والقرآن ) يحاول محمد الشحروري أن يؤسس قواعد مشروع جديد في التأويل والمعرفة الإسلامية باستخدام اللغة الممنوعة من الترادف... هل اطلعتم على هذا الاجتهاد وما هو رأيكم؟**

* لم تتح لي قراءة الكتاب، وإن كان في نيتي التّفرُّغ مستقبلًا لقراءته، ولكنني أحب أن أشير إلى مسألة التعامل مع اللغة ودلالياتها، تلك التي فتح النقد الحداثي - بدءًا من البنيوية - أبوابها على مصاريعها، فراحت تطرح مشاريع في قراءة النص الإبداعي والتاريخ وصولًا إلى الكتب المقدّسة... وقدّمت على مستوى النقد التطبيقي كشوفًا ذات قيمة بالغة في اختراق النص الإبداعي ومحاولة فهمه من داخل بنيته وأنساقه الخاصة بعيدًا عن أي مؤثر خارجي بما فيه المؤلف نفسه الذي أعلن عن وفاته... لكنها

إلى جانب هذا، بنت مجموعة من الخلفيات الفكرية والعقائدية المترعة بالتخبط والضلال وصولًا إلى مقولة الفيلسوف الألماني ( المهزوز ) نفسيًا ( نيتشه ) عن موت الإله... وأنت تعلم أخي الكريم أن مشكلة العقل الغربي هي التعميم الذي هو خطأ علمي بالتأكيد... فهو كلما اكتشف حقيقة ما - ظاهرة من الظواهر، أو منهجًا للوصول إلى الهدف - حاول - بدافع من أنانيته ومحاولة تعبيد الناس لفكره - أن يمطّه إلى مديات واسعة جدًّا يحاول أن يفسّر بها كل شيء في اللغة والأدب والاقتصاد والدين والتاريخ والنفس والاجتماع، فيقع في الضلال الذي يقوده في نهاية الأمر إلى السقوط لكي ما يلبث أن يحلّ محلَّه أنبياء كذبة جدد يعيدون الدورة المحزنة إياها... هذا ما فعله دوركايم في العقل الجمعي وفرويد في التحليل النفسي وماركس وإنغلز في التفسير المادي، وسارتر في الوجودية... وهو نفس ما تفعله تيارات الحداثة النقدية التي يضرب بعضها بعضًا ويزيح بعضها البعض الآخر ولا تزال...

إن المفتونين بكشوفات العقل الغربي يغمضون أعينهم عن هذا كلّه، ويمضون هم الآخرون لطرح مشاريعهم الدلالية على اعتبار أن اللغة وحدها هي الحكم الفصل في الحكم على الظواهر والأشياء، وحاولوا أن يأسروا النص القرآني في هذا السياق، رغم أن اللغة بالتأكيد هي واحدة من الجسور المهمة للكشف عن أسرار هذا الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولكنها ليست الأداة الوحيدة، بل هي واحدة من منظومة أدوات لا بدّ من وضعها في الحسبان ونحن نتعامل مع الفضاء القرآني بطبقاته المركبة.

**○ في التاريخ الإسلامي هناك بعض المفكرين الذين يتصوّر بعض المحدثين من المؤرخين، لا سيما المستشرقين، أنهم ظُلِموا حقيقة، بعد أن حُوْكِموا وعُذِّبوا حين نادوا بوجوب تحرير العقل المسلم، والدعوة إلى ( العقلية ). وثمة كتاب لمؤلف فرنسي اسمه ( فيغر ) عنوانه ( مشكلة الإلحاد في القرن السادس عشر )، يؤسس فيه منهجية جديدة في علم التاريخ تنكر ما يسمى بالإلحاد... كيف يستطيع المفكر المسلم في العصر الحديث وهو يتصدى لعقلنة مشروعه النهضوي الإسلامي للإفلات من أسر الاتهام بالمروق والزندقة؟**

* هم يريدون أن ينقلوا أزمتهم التاريخية إلى ساحتنا نحن. فعندنا هذه حالة استثناء وليست قاعدة، أما عندهم هم فقد كانت القاعدة وليست الاستثناء... هم يريدون

أن ينقلوا إلينا بشاعات محاكم التحقيق التي أصدرت حكم الإعدام على تراثنا الإسلامي في الأندلس؛ حيث كانت الكنيسة تعتبر أن إحراق فكر الخصم إنما هو نوع من التقرّب إلى اللّه... وتعرفون جميعًا ما فعلوه بكبار علمائهم من أمثال غاليليه وبرونو وكبلر وغيرهم كثيرون، من سجنٍ وتعذيبٍ وحرقٍ لا لشيء إلّا لأنهم اكتشفوا من الحقائق العلمية ما يتناقض وأباطيل العهدين القديم والجديد... إن تاريخ أوربا هو تأريخ صراع أسود قاتم بين الرجعية الدينية والتقدُّمية العلمية، بين المأساوي وبين التحرُّري، بين المحرّف وبين العلمي...

ولطالما أَثَرْتُ هذا الموضوع، أو هذه المفارقة، أمام طلابي في الجامعات العراقية والعربية والإسلامية التي أتيح لي التدريس فيها... كنت أقول لهم أن حالات محدودة؛ كحالة الحلاج وابن الوردي اللذين أعدما، ربما لتجاوزهما الخطوط الحمراء في المسائل العقدية، لا تعدو أن تشكل نقطًا محدودة في تاريخنا ذي المساحات الواسعة والفضاء المفتوح لحركة العقل المسلم، وحرية الفكر، وغياب ما يسمى بالثقافة الموجهة.. وما جرى على يد بعض خلفاء بني العباس فيما سمي بمحنة القول بخلق القرآن ومحاولة السلطة تبني الفكر الاعتزالي الذي تصدّى له ابن حنبل ببطولة نادرة، لم يدم طويلًا، وسرعان ما عادت الأمور إلى مجاريها؛ حيث لا دخل للسلطة في أنماط التفكير وطرائق البحث العلمي التي اكتشفت الكثير، وقدّمت للحضارة الغربية تأسيساتها الأولى المبنية على منهج البحث الحسّي المختبري المستمد في أساسه من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، كما يعترف كبار مؤرخي العلم كسارتون الأمريكي والدوميلي الفرنسي وغيرهما. ونحن ها هنا نتذكر مقولة للمؤرخ والفنان الإنكليزي ( روم لاندو ) في ( العرب والإسلام ) يقول فيها: إن العلم في الغرب انطلق يوم أدار ظهره للدين بسبب العوائق التي وضعها الأخير في مواجهة حرية الفكر، بينما في الإسلام انطلق العلم يوم أن وضع يده بيد الدين؛ لأن الطرفين كانا يسعيان إلى تأكيد وجود اللّه ووحدانيته...

باختصار شديد، فإن نقل التجربة الغربية إلى ساحتنا إنما يمثل خطيئة منهجية يجب أن نكون حذرين منها... وأن ننبه شبابنا إلى ألّا ينساقوا وراءها... ويتشبثوا بالأسود، متناسين المساحات البيضاء التي تشع ألقًا وسناءً...

**○ هنالك أكثر من محاولة على الساحة العربية والإسلامية المعاصرة لإعادة نقد العقل وتشكيله؛ منها على سبيل المثال محاولات علي زيعور في نقد الذات العربية، ومحاولات الجابري في نقد بنية العقل العربي، ومحاولتكم في إعادة تشكيل العقل المسلم. فهل هناك مشروع جديد لنقد العقل المسلم بصورة منهجية أوسع من كتابكم الذي يعتبر المقدّم لمثل هذا المنهج؟**

* بالفعل فإن هذا الكتاب بعنوانه الذي يبدأ بكلمة ( حول ) أريد منه أن يكون مقدِّمةً ربما لمحاولة ستكون أكبر اتساعًا وأكثر غنًى... والمهم أن الصدمة الاستعمارية، كما ذكرت في محاضرتي يوم أمس، كانت ذات زخم كبير... لقاء بين حضارتين غالبة ومغلوبة، وألحقت بنا من الهزائم الشيء الكثير.. ولا زلنا نتساءل: لماذا هزمنا؟ وهذا يقودنا لعملية نقد ضروري لذاتنا كأمة. ولقد مُوْرِست عملية النقد هذه في حلقات عديدة، تمثلت أولاها في حلقة الإصلاحيين القدامى؛ كالكواكبي والأفغاني ومحمد عبده. فالمسألة ليست جديدة وإن أعطيت تسميات أكثر حداثة... وقد نفذت تلك الحلقة المبكرة على مستويين: مستوى الكتابة ومستوى الحركة التي اعتمدت الجهاد ضد الاستعمار، ولكن هذا جاء حيث كان الفارق في القوى كبيرًا بين الغالب والمغلوب، فباءت بالفشل... لقد قاتل عمر المختار الجبروت الإيطالي بقوة الإيمان، ولكن هذه وحدها لا تكفي؛ إذ لا بدّ أيضًا من قوة السلاح...

وها هنا تأتي الدعوة القرآنية المؤكِّدة لضرورة التحقق بالقوّة إذا أرادت الأمة أن تدافع عن عقيدتها وشريعتها ووجودها في الأرض: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [ الأنفال: ٦٠ ]. بل إن سورة كاملة في القرآن تحمل اسم ( سورة الحديد ) ولهذا دلالته ولا ريب، تنتهي عبر مقاطعها الأخيرة بهذه الآية: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [ الحديد: ٢٥ ]... بمعنى أن قوة هذه الأمة وعزّتها المستمدتين من صفات الله – جلّ في علاه – لن تتحققا، ما لم تشمّر عن ساعد الجد. وتلتحم بالكتلة... بفيزياء العالم... تكسر قشرته الخارجية، وتستخرج معادنه للتحقق باثنتين: القوة الحربية والمنفعة السلمية...

وفي واقعة ذي القرنين، ثمة تأكيد آخر... لقد طلب منه المستضعفون في الأرض أن يحميهم من ضربات المستكبرين... فلم يقل لهم - وهو القائد المؤمن - تعالوا لكي نصلّي ونصوم كي يحميكم اللّه من غزو الغزاة وإنما انطلق من البداية الصحيحة فقال: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٥ - ٩٧]... فباليد العاملة القوية، وبقوة النار والحديد المنصهر والنحاس السائل استطاع أن يبني لهم السدّ الذي يحميهم سمكًا وارتفاعًا...

الحركات الجهادية أخفقت بسبب فارق السلاح... والحركات الإصلاحية أخفقت؛ لأنها ظلت أقرب إلى أن تكون محاولات بحثية لم تنزل إلى الشارع ولم تلتحم بالجماهير...

ومضت حركة التاريخ ولا زال الكثير من المفكرين يجهدون أنفسهم في نقد الذات، وإضاءة سبل الخلاص... والطريق لا يزال مفتوحًا لقول المزيد؛ لأن المشكلة كبيرة... وكبيرة جدًّا... تتطلب جهودًا هائلة لتجاوز المحنة...

والحق أن بعض الحركات الإسلامية أدركت المطلوب ووضعت خطواتها على الطريق الصحيح، ولكن لا يزال ينتظرها الكثير...

**○ لم ألمس في تناولكم للتاريخ الإسلامي ثمة مساسًا بقطاع كبير يمثل الحقل الصوفي باعتباره يمثل الوجدان والعاطفة والفن الإسلامي... تُرى هل لديكم مشروع لتناول ذلك؟ ثم هل تعرضتم لتاريخ الحركات الإسلامية المعاصرة عرضًا أو نقدًا على أساس منهجكم في كتابة التاريخ؟**

* إذا أردت الحق، فإن دراسة الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة موضوع يُعنى به المتخصصون في التاريخ الحديث والمعاصر، وليس التاريخ الإسلامي، فإن لهم قدراتهم وتقنياتهم ووثائقهم في هذا المجال.

**○ لنترك جانب الفكر ونتكلم عن الأدب الإسلامي... فهل هناك مساحات ومساهمات جديرة بالدراسة في ميدان الأدب الإسلامي؟ وهل ثمة منهج يقوم عليه؟**

* إلى عهد قريب قد يمتد إلى أربعينيات وخمسينيات هذا القرن، لم يكن

للإسلاميين أدب متميز يعبر عن رؤيتهم للكون والحياة والعالم والوجود والمصير، على مستوى القصة والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية والمقال والجهد النقدي والدراسة الأدبية... اللَّهم إلّا في مجال الشعر الذي يمتد في جذوره الإسلامية إلى مراحل الدعوة الإسلامية الأولى زمن رسول اللَّه ﷺ.

ولكن - وبمرور الوقت - بدأت تتشكل طبقات الجهد الأدبي الإسلامي: الإبداع، فالمذهب الذي يعكسه، فالنقد الذي يتعامل مع النصّ، والدراسة الأدبية التي تتعامل مع العصر، أو الظاهرة، أو الشخصية... ثم التنظير الذي يلمّ هذا كلّه... وأخذ العطاء يتزايد بصيغة متواليات هندسية. ويكفي أن ترجع إلى كتاب الدكتور عبد الباسط بدر ( دليل مكتبة الأدب الإسلامي ) الذي صدر هذا العام ( ١٩٩٢م ) لكي ترى بأم عينيك حشودًا كبيرة من الأعمال الأدبية الإسلامية التي تعد بالمزيد وتؤكد أكثر فأكثر ظاهرة حضور هذا الأدب في الساحتين العربية والإسلامية. كما أصبح لهذا الأدب مؤسسة عالمية كبيرة ترعاه وترشده وتنشر أعماله... وهي رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي تصدر مجلة ( الأدب الإسلامي ) المتخصصة في هذا المجال... وتشرف على عقد المؤتمرات والندوات بخصوصه.

ليس هذا فحسب، بل إن هذا الأدب قدر على أن يخترق جدران الأكاديمية فيكسب إلى صفّه أساتذة من كبار المتخصصين... في طول جامعات العالم العربي وعرضها... وأخذتْ تُكتَب فيه عشرات البحوث والدراسات على مستوى بحوث التخرج، ورسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه...

وهو فضلًا عن هذا كله أَحْسَنَ توظيف الإعلام والقنوات الفضائية لتأكيد توجهه المتميّز وإبلاغ صوته لمشارق الأرض ومغاربها...

وما ذلك إلّا بجهود جنده العاملين وهم جيش من الأدباء: شعراء وقُصّاصًا وروائيين وكُتّاب مسرحية ومقالة وسيرة ذاتية... فيما يبشر بمستقبل واعد لهذا الأدب الذي راح منذ بدء تشكُّله يسعى لاستكمال ما ينقصه، وبخاصة ( المنهج ) الذي يقوم عليه... والجهود ماضية لاستكمال هذا الهدف بمعونة اللَّه سبحانه...

وثمة كثيرون من خصوم هذا الأدب تحوّلوا إلى أصدقاء وأنصار له بعدما رأوا من

جدية القائمين عليه وإخلاصهم لقضيتهم... وما لبثوا أن وضعوا أقلامهم في خدمة هذا الأدب في مجابهة كل آداب الضلال الأخرى التي ضيّعت الإنسان، وسدّت أمامه سبل التحرّر والخلاص...

* * *
* *
*

## اللقاء العاشر(*)

○ **ما هو مدى تأثير العمل الأدبي على الحياة، وكيفية ذلك؟**

* إذا كان المقصود مقدار توظيف تقنيات العمل الروائي من أشخاص وسرد وحوار وحبكة، لجعل الوقائع تصل بعنف وتأثير بالغ إلى وجدان الآخرين وقناعاتهم، كان للرواية على مدار التاريخ دور كبير في هذا المجال. ونعرف جميعًا ما فعلته رواية ( الحرب والسلام ) لتولستوي و ( الجريمة والعقاب ) لديستويفسكي و ( مائة عام من العزلة ) و ( خريف البطريق ) لماركيز، من تأثير بالغ.

أما في ساحتنا فإن نقطة البدء وخط النهاية هو القرآن الكريم الذي اعتمد - فيما أعتقد - على التقنيات القصصية - إن صحّ التعبير - لتوصيل معطياته وقيمه وتصوراته إلى المتلقي. فما لنا لا نعطي للقصة أو الرواية هذا القدر من الأهمية، من أجل اعتمادها أداة قديرة على التوصيل لكي تنقل ما تضمنته العقيدة من معطيات؟

○ **ما هي الشروط الأساسية لكي يكون الشعر مؤثرًا؟**

* عندما تكون التجربة الشعورية صادقة فإنها تكون - ولا ريب - شعرًا صادقًا ومؤثرًا. والصدق الفني يعني ألّا تتكلف في تقديم معطياتك الأدبية للآخرين، وأن تنسج خطابك الإبداعي من تجربة تعيشها أنت أو تقتنع بها. فالاقتناع والمعايشة عنصران أساسيان لجعل العمل الفني صادقًا، وبالتالي لنجاح قدرته على توصيل شحناته إلى أوصال المتلقي.

○ **ما هي الوظيفة الأساسية للأدب في هذه المرحلة الراهنة؟**

* إعادة الثقة إلى نفوس أمة كسرتها الأيام، وجعلتها تنسحب إلى الخلف في مجرى صراعات رهيبة... والأمة التي لا تحقق الحدّ الأدنى من مواصفات الثقة يطويها التاريخ وتصبح في نهاية الأمر زائلة... والأدب بقدرته على الشحن يستطيع

(*) تحت عنوان ( ثلاثة تساؤلات أدبية مع الدكتور عماد الدين خليل )، توجهت بها مجلة ( المرايا ) التي تصدر في قطر. تمت الإجابة عليها بإيجاز ونشرت في العدد ( ٤ ) ( إبريل ١٩٩٤م ) من المجلة المذكورة.

عرض القيم النبيلة، ويستطيع - في المقابل - الكشف عن زيف أدب العهر والفجور... إنه قادر مع الممارسة المستمرة المتواصلة على بلورة الثقة، وإعادة الحالة السليمة لأمة مهددة، سادت وملكت ثم ما لبثت أن أفلتت الفرص من بين أيديها.

* * *
* *
*

# اللقاء الحادي عشر (*)

**○ سؤال طالما لاح في نفسي شيء منه حتى استطعت - بصعوبة - أن أصوغه في قالب الكلام: تاريخ البشرية - كما يخبرنا القرآن الكريم - تاريخ ( لا إله إلا اللّٰه ) وقضية التوحيد، وتعاقب الرسل والأنبياء، والصراع بين الحق والباطل... فكيف استطاع الكاتبون طمس الحقيقة من حيث تدوين الوقائع التاريخية ( لأننا نعرف كيف يكتب مفسرو التاريخ الوضعيون بأهوائهم، والضلالات التي يحسبونها حقًّا، وبنظرتهم الأحادية )؟**

**كيف استطاعوا إغفال هذا الحشد الضخم من الأنبياء والرسل، وفي أحسن الأحوال حين يذكرون أحدهم ينكرون قضيته؟**

* قام مفكرو اليهود وباحثوهم ورجالات لاهوتهم، في القرنين الأخيرين، يشايعهم بعض النصارى، بدراسات كثيرة جدًّا حول أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، واستخدموا في ذلك مناهج البحث التاريخي للوصول إلى حشود التفاصيل الخاصة بهؤلاء الأنبياء... وبما أن الكثير من رسل اللّٰه وأنبيائه هم من بني إسرائيل، فلنا أن نتصوّر كيف أن هؤلاء لم يتعرضوا للإهمال أو النسيان. لكن المشكلة تكمن في المسائل التالية:

أولًا: توظيف الوقائع التاريخية الخاصة بالنبوات لوجهة نظرهم اليهودية المتعصّبة على حساب الموضوعية.

ثانيًا: تحريف الكثير من الحقائق التاريخية لكي تتلاءم مع معطيات العهد القديم المحرّفة؛ ولذا فإن بحوث هؤلاء لا يمكن الوثوق بها، ولابدّ أن ينفر من المسلمين أنفسهم باحثون لأداء المهمة بالموضوعية المطلوبة، والاحترام الواجب لقداسة النبوّات.

أما المؤرِّخون الوضعيون ( العلمانيون والماديون ) فإنهم يتعمدون إغفال ظاهرة ( النبوّة )؛ لأنها تتناقض ابتداءً مع رؤيتهم للكون والحياة والوجود والمصير، والتي تنفي الغيب من حسابها. وقد اعتمد هؤلاء - إلى حدّ كبير - على عدم وجود توثيقات تاريخية كافية عن العديد من الأنبياء عليهم السلام.

---

(*) حوار بالمراسلة أجراه الطالب مراد عبد الواحد صالح ( من كركوك/ العراق ) في شتاء عام ( ١٩٩٥م ).

بالنسبة للرسول ﷺ يبدو الوضع على العكس تمامًا، فإنه ما من رجل في تاريخ البشرية - باعتراف الغربيين أنفسهم - تلقى إضاءات مكثفة عن تاريخ حياته، بدقائقها وتفاصيلها، كرسول اللَّه ﷺ، وقد أعان هذا على إنشاء مكتبة غنية من كتب ( السيرة ) عبر القرنين الأخيرين على وجه الخصوص.

ويبقى أن المعيار الذي لا يجادل فيه أحد من المسلمين هو أن ما يقوله القرآن عن الرسل والأنبياء عليهم السلام هو الحق المطلق الذي يقاس به وعليه فيقبل أو يرفض ابتداء.

**○ سؤال يزداد وروده يومًا بعد يوم: هل يتجه العالم اليوم إلى صراع الحضارات؟ وإذا قلنا: نعم، فهل في الساحة العالمية غير حضارة الإسلام والحضارة الغربية العلمانية تستحق أن تدخل في هذا الصراع؟ ذلك أنني سمعت بعض رجال الإسلام المعاصرين ينفون هذا، لكني أشعر أنهم إنما يفعلون ذلك لاعتبارات سياسية معينة...**

* من الخطأ العلمي أو المنهجي الاعتماد على الرؤية أحادية الجانب، ولا بدّ من متابعة الأوجه المختلفة لأية ظاهرة، إذا أردنا أن نتوخّى الدّقّة.

فالعالم يتجه اليوم إلى نمطين من التعامل بين الحضارات... **النمط الأول:** يقوم على الصراع، ومحاولة الغالب اكتساح المغلوب وإلغاء خصوصياته، بل وجوده الحضاري إذا اقتضى الأمر. وقد برز هذا بشكل واضح في العلاقة بين الحضارتين الغربية والإسلامية عبر القرنين الأخيرين.

أما **النمط الآخر** فيقوم على ما يسمى بحوار الحضارات، أي محاولة تبادل الخبرات، وإغناء مفردات كل حضارة بتقبّل العناصر الملائمة من الحضارات الأخرى. ولعلّ المفكر الفرنسي ( روجيه غارودي ) هو أوّل من استخدم هذا التعبير في كتاب له بهذا الاسم، وقد زاده وضوحًا في كتابه التالي ( وعود الإسلام ) الذي يتحدث فيه عن مشاركات الإسلام العالمية في المستقبل.

أما الحضارات التي لا تزال قائمة في مرحلتنا الراهنة هذه، فهي حسب استقراء ( أرنولد توينبي ): الحضارة الغربية، الحضارة الروسية الأرثوذكسية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الهندية، الحضارة الصينية، الحضارة الكورية - اليابانية.

وهو يوحي بأن هذه الحضارات جميعًا تدور في فلك الحضارة الغربية الغالبة،

وقد تتعرض للاحتواء والفناء، إن لم تحصّن نفسها بخصوصياتها، وهذا يشمل الحضارة الإسلامية بطبيعة الحال.

**○ هل أنت السابق ( ثم هل أنت الوحيد في الساحة اليوم ) في: التفسير الإسلامي للتاريخ؟ وفي دعوتك إلى تاريخ يكتب كما الإنسان بجميع أبعاده ومنها البعد الإنساني الثالث ( البعد الروحي )؟**

* هناك الكثيرون كتبوا في التفسير الإسلامي للتاريخ منهم عبد الحميد صدّيقي وراشد البرّاوي ونعمان السامرائي وعلي جمعة... وغيرهم. ولعلّ ما يميز كتابي ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) أنه أوّل محاولة شمولية ظهرت في كتاب مستقل ( عام ١٩٧٤م ).

بالنسبة للبعد الروحي لا بّد من إعطائه مكانًا واسعًا في كتابة التاريخ أو تفسيره، فنحن المسلمين - على وجه الخصوص - تقوم عقيدتنا وفكرنا ووجودنا ورؤيتنا للحياة على الظاهر والباطن، الطبيعة والغيب، الوجود والوحي، وقد شكل هذا التقابل بين القطبين معظم مفردات تاريخنا وحضارتنا عبر رحلة الأربعة عشر قرنًا.

فإذا ألغينا العامل الروحي - الغيبي من الحساب، عجزنا بالضرورة عن فهم التاريخ البشري والتاريخ الإسلامي بشكل خاص.

إن ثالث آية في سورة البقرة تقول: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ... ۝ ﴾. فالإيمان بالغيب - إذن - هو المنطلق، والمفتاح، وحجر الزاوية، ولن تكون أية محاولة تلغي هذا الجانب في التعامل مع التاريخ، علمية أو موضوعية؛ لأنها ستفقد قدرتها على الإبصار الدقيق المحكم للوقائع والأحداث.

**○ سؤال أخير... هل تسمح لي أن أطرق الباب على فكرك، ولو من خلال الأوراق، إذا ألحّت علي أسئلة مستقبلًا؟**

* إنني أرحب أشد الترحيب بالإجابة على أي سؤال يلحّ عليك خاصة بعد أن لمست في أسئلتك ذكاءً وثقافة وإخلاصًا للحقيقة، تمثل القواعد الأساسية للعقل المؤمن الجاد... دعواتي...

* * *

## اللقاء الثاني عشر(*)

○ **كيف أصل إلى سيرة رسول الله ﷺ، ومن أي المصادر، خصوصًا وأن الناس مع السيرة على طرفي نقيض، فمنهم من ينفي الكثير من حقائق السيرة ويشوهها، ومنهم من يتوسع في وقائعها بضم كل ضعيف أو موضوع إليها...؟**

* البداية الصحيحة قد تكون في تجاوز هذين الاتجاهين وعدم الاكتراث بهما، وأن نمضي نحن بمفرداتنا المنهجية، وبالمرويات التاريخية الأقرب إلى الصّحة لبناء وقائع السيرة التي عوملت من خلال أكثر من زاوية وآن لنا أن نعتمد منهجًا شموليًا للوصول إلى مقاربة أكثر دقة لهذه السيرة.

بمعنى أنه قد آن الأوان لأن نكسر الفاصل بين المنهج التاريخي ومنهج المحدّثين، وأن نلجأ إلى المفسّرين ونستدعيهم بشكل مكثف من أجل أن يقولوا كلمتهم في وقائع السيرة. ذلك أن مساحات واسعة من القرآن الكريم تصب في حقل السيرة، وهي بالتالي ستزيده غنى بكل تأكيد، خاصة وأنها تحمل مصداقيتها المطلقة؛ لأنها صادرة عن الله سبحانه...

علينا أيضًا أن نستدعي اللغويين والبلاغيين والدلاليين من أجل أن يقولوا كلمتهم في الموضوع الذي يتطلب ضبطًا لغويًا ودلاليًا، وشفافية بلاغية... فضلًا عن ( الفقيه ) الذي له كلمته هو الآخر في الموضوع.

فمن أجل مقاربة أكثر دقة لسيرة رسولنا ( عليه أفضل الصلاة والسلام ) علينا أن نعتمد كل الإمكانيات التي توصلنا إلى هدفنا هذا. وأؤكد ها هنا، وبشكل خاص، على ضرورة اعتماد منهج المحدّثين؛ لأنه الأدق فيما يتعلق بأقوال رسول الله ﷺ والخبرات التي صدرت عنه، ولحسن الحظ فإن محاولة الأخ الدكتور أكرم العمري فيما سماه ( السيرة النبوية الصحيحة ) أضافت البعد الغائب إلى حدّ كبير في الدراسات المعنية بالسيرة.

---

(*) أجرى الحوار في الدوحة – قطر الشيخ عبد السلام البسيوني – ونشر في صحيفة ( العرب ) القطرية في عددها ( ٦٦٨٨ ) الصادر في أول إبريل ( ١٩٩٥م ).

**○ نريد أن نُطِلَّ إطلالة سريعة على مناهج تناول السيرة النبوية بين القديم والحديث. فالقديم الذي يتمثل في نصوص ابن إسحاق وتاريخ الطبري وغيرهما، والجديد الذي يتمثل في الدراسات المعاصرة من أجل أن نتبيّن الفروق بين المنهجين؟**

* هذا السؤال ينطوي على شقين وبالتالي قد يقتضي إجابتين. **الشق الأول** يتمثل في أن المؤرخين القدماء اندفعوا وبأكثر مما يجب باتجاه الجانب الكمي من المرويات؛ فقد كان يهمهم أن يلّموا أكبر قدر من هذه المرويات، بغض النظر عن مصداقيتها التاريخية. وهذا دفعهم أحيانًا إلى قبول أجسام غريبة قادمة من رحم الإسرائيليات حينًا، ومن رحم التقاليد والأعراف الفكرية الشائعة يومذاك، حينًا آخر، وحشرها في نسيج السيرة.

فليس المهم أن نتلقى سيرة ذات حجم كبير، كما عند ابن سيد الناس في ( عيون الأثر )، ولا أن نحمل السيرة بهذا الكم الكبير من المرويات التي قدمها ابن إسحاق أو الطبري أو غيرهما. وقد هيمنت روح الجمع الكمي على عقلية المؤرخ القديم حتى وهو يرصد التاريخ عمومًا، كما نرى في تاريخ الطبري الذي قدّم عملًا مترعًا بالتفاصيل التي يختلط فيها الصحيح بالضعيف والفاسد، كما أشار هو نفسه في مقدمة كتابه ( تاريخ الرسل والملوك ). ولقد وقف ابن خلدون وقفته المعروفة في المقدمة لنخل العديد من المرويات الضعيفة... ثم جاءت الدراسات الحديثة وفق المناهج المعاصرة لكي تقدّم لنا أعمالًا متألقة تقوم على النقد والتحليل واستبعاد الضعيف والمهجّن فيما نلحظه في العديد من دراسات السيرة التي أخذت تغذي المكتبة الإسلامية المعاصرة.

**○ قبل أن نتطرق للشق الثاني من الإجابة نسأل عن الجمع الكمي الذي قام به أسلافنا... أهو عيب منهجي، أم أن له قصدًا من ورائه؟**

* ليس ثمة ظاهرة في النشاط المعرفي إلّا وهي تحمل وجهين: الإيجاب والسلب... فلا بدّ وأن هناك دوافع إيجابية قادت إلى هذا التضخّم الكمي، فمما يذكر أنها جاءت في عصر الاعتماد على الذاكرة ومجابهة تحديات النسيان، وقد دفع هذا إلى تسجيل كل ما وقع تحت يد المؤرخ القديم، خشية أن يذهب فلا يعود. وأيضًا فإنهم بحبهم لرسول الله ﷺ كان هدفهم أن يتابعوا كل حركاته وسكناته، وأن يُلِمُّوا بكل

ما يتعلق به. وكما يؤكد عدد من المستشرقين الغربيين أنه ليس ثمة من نبيٍّ في تاريخ البشرية، قدر أتباعه على أن يحموا سيرته بكل تفاصيلها، ويتابعوا مفردات حياته اليومية، بما فيها بسماته، كالمسلمين مع نبيهم... فهذه النقطة تحسب لهم... ولكنها على المستوى المنهجي حمّلت الباحث المعاصر في حقل السيرة عبئًا كبيرًا؛ لأن هذا التضخم انطوى على ما يحمل المصداقية وما يهتز أمام النقد الجاد لدى إحالته على الثوابت الأساسية المتفق عليها في سنة رسول اللّه وسيرته.

**○ كانت طريقتهم الإسناد، وكما يقولون: « من أسند لك فقد حملك »... ويبقى الشق الثاني من الإجابة؟**

* طبعًا، فإنه في هذا العصر المبكر من الجمع لا يميل المؤرخون إلى التحليل... هذا الذي نجد محاولاته الجادة في العديد من الدراسات الإسلامية التي قُدِّمت عن السيرة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، والتي بدأها الشيخ الغزالي في ( فقه السيرة ) الذي حاول فيه أن يوغل فيما وراء النّص لاستخراج الدلالات الأساسية في سيرة رسول اللّه ﷺ. ثم تلاه سيل من الدراسات والبحوث المعنية بالسيرة، والتي لا تقف عند حدود التوثيق، ولكنها تمضي إلى التحليل والاستنتاج، فيما يمثل إضافة ذات غناء كبير لحقل السيرة النبوية.

* * *
* *
*

## اللقاء الثالث عشر(*)

**○ في بداية اللقاء أريد أن أقرّب للسادة القرّاء معنى مصطلح « الأدب الإسلامي »، كل على حده « الأدب » و « الإسلامي »؟**

* الأدب هو التعبير الجميل بالكلمة عن خبرة ما، عن تجربة من التجارب، عن رؤية أو تصوّر لجانب من الوجود أو الحياة... فيكون الأدب الإسلامي محاولة جمالية للتعبير عن الخبرة من زاوية التصوّر الإسلامي للكون والحياة والوجود والمصير.

**○ كلمة « إسلامي »، بعض الناس يأخذونها بشيء من الحساسية، يعتبرونها نوعًا من الحكم على أنواع الآداب الأخرى، أو المدارس الأدبية الأخرى، شكلًا من أشكال التكفير يصنعونه في مفارقة حارة جدًّا... فهل هذا من مقصود النقاد والأدباء الإسلاميين؟**

* أبدًا... فلو عدنا إلى المصطلح، فإن الأديب يتحرك من زاوية التصوّر الإسلامي، ولا ينطوي على أية مصادرة للآخرين. قد تنطوي الأعمال الإبداعية الإسلامية على الكثير من النقد وعدم التسليم بمعطيات الآخرين، ولكن هذا لا يعني مصادرتهم، فإن لكل أديب أن ينطلق من زاوية رؤياه الخاصة.

وفي كتاب اللَّه تأكيد متكرر على أن ( التغاير ) يحكم الحياة البشرية، وأن توحيد الرؤى في هذا العالم يكاد يكون مستحيلًا: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [ هود: ١١٨، ١١٩ ]، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [ البقرة: ٢٥١ ]. فالأدب الذي يعبّر عن الرؤية الإسلامية، لا يعني - بالضرورة - مصادرة الآخرين في أن يعبروا بوجهات نظرهم، عما يؤمنون به ويعتقدونه. ويجيء الأديب المسلم لكي يصحح المسار الخاطئ لا لكي يصادر أصحابه.

(*) أجرى الحوار في الدوحة - قطر الشيخ عبد السلام البسيوني، ونشر في صحيفة ( العرب ) القطرية في عددها ( ٦٧٢٨ ) الصادر في ( ١٣ مارس ١٩٩٥م ).

**○ لا بدّ أن لهذا الأدب الإسلامي ملامح وسمات خاصة تعطيه صفة « الإسلامية ».**

* عندما نقوم بمقارنة ما بين الأدب الإسلامي والآداب الأخرى ستتبينّ لنا مواصفات « الإسلامية » في هذا الأدب. إنه - مثلًا - يقوم على التوحيد المطلق، ويتجاوز كل صيغ الشرك والصنمية التي تنسرب في شرايين الآداب الأخرى... هذا التوحيد الذي تنبثق عنه منظومة من القيم التصوّرية والسلوكية التي يمكن أن يتعامل معها هذا الأدب الذي يتجاوز كل ما ينحرف بالإنسان عن سوِّيته المطلوبة... ثم هو أدب إنساني يعكس هموم الإنسان في كل زمن ومكان، بعيدًا عن اعتقاله في اللون، أو العرق، أو الطبقة، أو الموقع الاجتماعي... وهو أدب واقعي، ليس بالمفهوم الغربي الذي يلتصق بالواقع ويكشف عن مخازيه، وإنما لكي يأخذ بيد الإنسان ويرفعه عن ( الواقع ) الذي يحياه إلى آفاق تليق بشرف الإنسان ومكانته في الأرض. وهو أدب يتعامل مع ( القدر ) كما لو كان صديقًا حميمًا للإنسان يأخذ بيده في لحظات التيه والضياع إلى آفاق التحرّر والخلاص، وليس عدوًّا شرسًا يسعى إلى سحقه والفتك به... كما ترى معظم الآداب الغربية المتأثرة بالرؤية اليونانية الكلاسيكية للقدر... ثم هو أدب إيجابي يسعى إلى تأكيد قيم الحق والعدل في هذا العالم ويرفض الجنوح باتجاه الرؤية التشاؤمية أو العبثية التي تجرد الكون من غائيته كما تؤكد معظم المذاهب الغربية وبخاصة المذهب الطليعي المسمّى مذهب العبث واللامعقول.

ما يميز الإسلامية في الأدب أمور كثيرة جدًّا لا يتسع لها حوار كهذا؛ لذا أكتفي بالتأشير على بعضها فحسب.

**○ على مستوى الشكل والقيم الجمالية، يتصور البعض أن الأدب الإسلامي مجرد قصيدة وعظية أو رواية مباشرة... فهل الأطر الفنية للأدب الإسلامي تنطوي على قدر من المرونة، أم أننا محدودون بأطر صارمة؟**

* إذا أردت الحق فإن معظم القوالب التي صنعناها نحن عبر تاريخنا الجمالي والأدبي، أو صنعها غيرنا فيما يسميه النقاد بالأجناس أو الأنواع الأدبية، كالقصة والرواية والمسرح... إلخ، يمكن أن توظف للتعبير عن الرؤية الإسلامية، وأن الذي يفصل بين الشكل والمضمون، ولا يعطي لأولهما فرصته للتحقق في النّص الإبداعي،

لا يفهم مبادئ الأدب والفن أساسًا. ولطالما أكدت في كتاباتي على ضرورة احترام القيم الجمالية والفنية في العمل الأدبي، وإلّا فإنه لن يكون بأكثر من معانٍ مطروحة على قارعة الطريق، كما يقول الجاحظ، وأن أدبنا لن يتحرك باتجاه العالمية ما دام أدباؤنا يلتصقون بالمضمون الإسلامي معتقدين أن هذا وحده يكفي... لا بدّ من الانزياح بدلالات الكلمات إلى آفاق أبعد كثيرًا عن مجالات اعتمادها اليومي إذا أردنا أن نقدّم أدبًا يستحق التقدير.

**○ نحن كلاسيكيون بالتعبير الأدبي في قضية الأنماط اللغوية، فهل لنا خيارات في الاشتقاق والنحت والتوليد واستخدام المصطلحات الأجنبية، أم نحن محصورون في ألفاظ وأنماط لغوية معينة؟**

* اللغة العربية ذات فضاء واسع، وسبق للعقاد أن سماها « اللغة الشاعرة » بسبب حساسيتها الفائقة في التعامل مع الخبرة الجمالية، وفيها متسع لكل أديب وفنان أن يوظِّفها لما يريد، ويعبّر من خلالها عن تصوراته تعبيرًا جماليًا مؤثرًا، دون أن يتجاوز ثوابتها المتفق عليها في سياقات النحو والصرف والمطالب اللغوية. والذي حدث - للأسف الشديد - أن بعض الأدباء المحدثين تجاوزوا الكثير من ثوابت اللغة، فجنوا عليها، وسحبوها باتجاه العامية.

أما مسألة اعتماد المصطلحات الأجنبية فهي لا زالت موضع جدل وأخذ وردّ بين القائمين على اللغة، وإن كان معظمهم يميل إلى رفض اعتماد تلك المصطلحات والمسارعة في نحت ما يقابلها باللغة العربية. وأذكر - في هذا المجال - أنني سميت أحد مؤلفاتي بـ ( حول استراتيجية الأدب الإسلامي ) فما كان من الناشر إلّا أن غيّر العنوان إلى ( الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي ) بسبب رفضه اعتماد المصطلحات الأجنبية: وإن كان عنوانه الجديد هذا قد بعُد كثيرًا عن المطلوب!!

**○ قضية العروض والأوزان الشعرية هل هي من الثوابت اللغوية التي لا بدّ أن نعتمدها بشيء من الصرامة، كما نعتمد على النحو والصرف، أم أن فيها شيئًا من المرونة وحرية الشاعر في الانطلاق والفكاك من أسرها، أو استحداث قوالب عروضية جديدة؟**

* العروض في الحقيقة ليست ثابتة لغوية، ولكنها ثابتة فنية، وهنالك وجهات نظر عديدة بصدد احترام هذه الثابتة أو تجاوزها.

فيما عدا أولئك الذين يدعون إلى ما يسمَّى - خطأ - بقصيدة النثر، فإنه ليس ثمة من يدعو إلى تجاوز العروض الذي هو كما قلت ثابتة فنية للشعر العربي وإلّا ما أصبح شعرًا. لكن هناك من يقول بتجاوز القافية الموحدة، وكسر العمود الشعري باتجاه توزيع التفعيلات التي تنتمي إلى البحر الواحد. وقد أطلق على هؤلاء اسم دعاة شعر التفعيلة أو ( الشعر الحرّ )... حر ممَّ ؟ ليس من التفعيلة والبحر الواحد، وإنما من الالتزام بالقافية والعمود... فالذي يخرج عن مطلب التفعيلة ولا يلتزم بها لا يمكن أن يكون شاعرًا بحال من الأحوال...

فالطرفان إذن يتفقان ابتداءً - على أن التفعيلة هي حجر الزاوية في البنية الشعرية العربية، لكن تبقى مسألة توزيع هذه التفعيلة وفق سياق العمود الصارم أم بكسره والتوزيع الحرّ للتفعيلات الذي قد يمنح الشاعر فرصة أوسع في التعبير عما يجيش في خاطره، فيما لا تستطيع القصيدة العمودية أن تحتمله أو تقدر على حمله للمتلقّي.

فإذا ما سألتني قلت لك: إن العجز عن التعبير المنطلق يكمن في الشاعر بدلًا من أن نذهب لكي نلقيه على القصيدة العمودية...

**○ قد لا نسلّم بقضية العجز؛ لأن كثيرًا من الشعراء العموديين كتبوا في الشعر الحرّ إبداعات... لا ننكر مثلًا أن السيّاف، أو نزار قباني، أو حتى بعض الشعراء الإسلاميين؛ مثل أحمد الصديقي أو حسن الإمراني، أو حتى عماد الدين خليل، وظّفوا أصلًا الشعر المنحلّ من التفعيلة الذي نسميه الشعر الحديث، وأخرجوا منه إبداعات... فنحن لا نسلّم بقضية العجز على الإطلاق، فهي عند بعض الناس عجز ولكن ليست مطلقة... فما رأيكم؟**

* بالتأكيد، فإن التعميم خطيئة علمية كما هو معروف. لكني أريد أن أقول: إن الشعراء الكبار قدروا على التعبير عن وجهات نظرهم وخبراتهم ورؤيتهم للأشياء، وعن حساسيتهم الفنية المفرطة في الإيغال في صميم مظاهر الوجود، بالقصيدة العمودية، دون أن تعيقهم الصرامة الفنية لهذه القصيدة. ولكن هذا لا يمنع - ما دمنا نحترم الثابتة الفنية التي قلنا بأنها تنبني على التفعيلة - من أن يكون هناك شعراء كبار من الذين كسروا العمود وحرّروا الأداء الشعري من ربقته.

ولكن للأسف الشديد هناك شعراء ( صغار )،... شعراء لا يدركون مطالب العمل الفني للقصيدة العربية، فيتجاوزونها. حتى فكرة اعتماد التفعيلة التي تنتمي للبحر الواحد تحوي في قصائدهم مزيجًا من بحور شتّى... وهذا الخليط يدل - بالضرورة - على عجز الشاعر.

ونحن - في المقابل - نجد شعراء كبارًا في تاريخنا الأدبي المعاصر عزفوا على الوترين - كما يقولون - فقدّموا شعرًا عموديًّا مقنعًا، وقدّموا في الوقت نفسه شعرًا حرًّا، فكانوا في الحالتين شعراءً كبارًا.

**○ هل الأديب في سياقه العام لا بدّ أن يكون إسلاميًّا، وتوجُّهه إسلامي الانتماء، ليكتب شعرًا إسلاميًّا، أم أنه يمكن أن يقدم المعنى الجميل، وبالتالي نعده من كُتَّاب القصيدة الإسلامية؟**

* هذه إشكالية أخرى نوقشت ولا تزال، ويمكن أن نجد في كتاب « منهاج الفن الإسلامي » للأستاذ محمد قطب إضاءة بهذا الخصوص تفتح لنا الأبواب على مصراعيها في قبول معطيات جمالية أدبية من شعراء وأدباء وروائيين غير إسلاميين بالضرورة، ولكن ما قدموه ينطوي على منظومة من القيم الإيمانية التي تلتقي وتصب في الفضاء الإسلامي الكبير.

وهذا هو ما مارسته في تعاملي مع النص المسرحي للكاتب الإسباني المعروف ( اليخاندرو كاسونا ) والذي يحمل عنوان ( مركب بلا صياد )؛ حيث رأيت فيه منظومة من القيم الإيمانية التي تتوافق مع المعطيات الإسلامية. فيمكن أن يندرج عمل كهذا في سياق الأدب الإسلامي عبر فضائه الإيماني الواسع.

في هذا الاتجاه لا بدّ أن نلحظ وجود مزالق... فعلى سبيل المثال إذا جئنا إلى رائعة الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى نجد ثمة أبيات تتوافق مع المعطى الإيماني حينًا وأبيات أخرى ترتطم مع ثوابته... هذا في قصيدة واحدة... وأخشى ما يخشاه المرء هو تمرير مفردات غير إسلامية إلى عقل القارئ من خلال نصّ أو عمل ينطوي على الاثنتين معًا... فلنكن حذرين!!

**○ هذا ينقلنا مباشرة إلى السؤال عن الالتزام في الأدب، وهل هو ضرورة للأديب صاحب الرسالة.**

* كل أدب يحمل رؤية ما هو أدب ملتزم بالضرورة. ونحن أمام سياقين أساسيين من الأدب في تاريخ العالم كلّه: الأدب الذي يلتزم أفكارًا وتصورات معينة هو بالضرورة أدب ملتزم، والأدب الذي يتشبث بالقيم الجمالية بعيدًا عن أية فكرة محددة كالبرناسية مثلًا في دعوتها لمذهب ( الفن للفن )، هو أدب غير ملتزم.

والالتزام مسألة ضرورية؛ لأن الأديب إما أن يكون ( إسلاميًا ) يحمل فكرة ما ويسعى للتبشير بها، أو غير إسلامي، يسعى للانفلات من أية ثابتة إسلامية، بل قد يعمل على النقيض منها.

ويجب أن نتذكر أن الإسلام يقدم فضاءً عريضًا من الخبرات والتجارب والمرئيات، بحيث لا يجد الأديب معها أي قيد أو تضييق في التعامل مع موضوعاته... وهو إذ يتشرب هذه الخبرات والتجارب في منظورها الإسلامي، وتتسرب قناعاتها في حجيراته وشرايينه، سيتعامل معها بعفوية ودونما أي قدر من القسر أو الإكراه... قد نجد قسرًا كهذا في التزام الواقعية الاشتراكية. أما في الأدب الإسلامي فإن القناعة هي نقطة الارتكاز في العمل الإبداعي.

ثمة إشارة قرآنية بالغة الأهمية عن الإبداع الشعري... تلك الازدواجية التي يعاني منها أغلب الشعراء غير الملتزمين بين القول والفعل، والتي لن يتحرر الشاعر من أسارها إلّا بأن يفيء إلى ساحة الإيمان؛ حيث تتوحد الكلمات والأفعال، وتصير القصيدة رصاصة موجهة ضد كل صنوف الغدر والظلم التي تحيق بالإنسان: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [ الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧ ].

**○ هناك تهمة موجهة للأدباء الإسلاميين بشكل عام: أن أعمالهم وإبداعاتهم لم ترق حتى الآن لمستويات الآخرين؛ حيث لا يوجد مثلًا كُتّاب كبار في الرواية والمسرحية... بل وحتى المقالة... فهل هذه المقولة صحيحة أم مردودة؟**

* سبق وأن ذكرت أن التعميم خطيئة علمية يجب أن نتجاوزها في الحكم على

معطيات الآخرين؛ إذ طالما أدين الأدب الإسلامي بهذه التهمة... لكن هذه الإدانة لن تتبين مصداقيتها إلّا بالتعامل مباشرة مع النصّ الإسلامي. وقبالتنا منظومة كبيرة من النصوص الإبداعية الإسلامية في سياقات الشعر، والقصة القصيرة، وإلى حدّ ما في سياقي الرواية والمسرح، وإلى حدّ أقل في سياق السيرة الذاتية أما في المقال فهناك كم كبير وكبير جدًا...

لكن هذه المنظومة التي سنتعامل معها ستقودنا إلى الاستنتاج التالي: أن الأدب الإسلامي استطاع عبر تعامله مع الأنواع الأدبية المختلفة، عبر الثلاثين سنة الأخيرة، على وجه التقريب بصيغتين: **إحداهما** تغلّب المضمون على الشكل ومطالبه التقنية فوقعت في خطيئة المباشرة في التعامل مع الخبرات الجمالية، وضعف مستواها إلى حدّ كبير، ولم تعد مقنعة للطرف الآخر الذي نتفق معه ابتداءً على أن الأدب هو معطى جمالي، وأن المعاني مطروحة على قارعة الطريق... كما يقول الجاحظ، إلّا أن الأديب المتمرّس هو الذي يعيد صياغتها وفق أنساق فنية تنزاح بها بعيدًا عن استخداماتها اليومية المستهلكة... سواء وأنا أكتب قصيدة أم قصّة قصيرة أم رواية أم مسرحية، أم سيرة ذاتية تتجاوز التقرير الصحفي إلى أن تكون عملًا إبداعيًا كذلك الذي قدمه بابلو نيرودا أو كازانتراكي، بغض النظر عن عدم التوافق في الأفكار.

وأما **الصيغة الأخرى** للأدب الإسلامي المعاصر فقد احترمت مطالب العمل الفني وتقنياته وقدمت أعمالًا تستحق التقدير. فها هنا ليس ثمة قصور في الساحة الإسلامية. وهذه فرصة لنتذكر جميعًا الرجل المكافح ( نجيب الكيلاني ) الذي توفي قبل فترة قصيرة، والذي قدم للمكتبة الإسلامية ما يزيد على الخمسين نصًا روائيًا وقصصيًا. لقد كافح الرجل على مدى نصف قرن لكي يغذي مكتبة الأدب الإسلامي بأعمال روائية فرضت حضورها في ساحة الأدب العربي المعاصر.

هناك بالتأكيد قدر كبير من التنكير، ومحاولة العزل، واعتماد مبدأ « اقتله بالصمت » الذي اعتمد مع الأدباء الإسلاميين، ولكن هؤلاء قدروا، وسيقدرون، بكفاحهم المتواصل على كسر الحلقة وإسماع صوتهم للآخرين...

هناك – على سبيل المثال – الشاعر الإسلامي المعروف « عمر بهاء الدين الأميري » الذي قدم لنا ما يزيد عن بضعة عشر ديوانًا. وكانت هذه الدواوين تعطي القناعة

للقارئ بإسلامية مستواها الشعري بجانبيه: المضموني الذي بلغ القمة في التعبير عن القيم والتصورات والخبرات الإسلامية، والأسلوبي الذي لا ينكر أحد تفوّقه فيه ووقوفه إلى جانب الشعراء الكبار.

ولو رجعنا إلى كتاب ( دليل مكتبة الأدب الإسلامي ) الذي أخرجه الدكتور عبد الباسط بدر، فإنّا سنجد أنفسنا قبالة حشد كبير من الأعمال التي تؤكد حضور الشاعر المسلم والروائي المسلم والقصاص المسلم في صميم الساحة الأدبية. والقضية قضية وقت، فكلما مضت الأيام وازدادت الخبرات، ازداد الأدب الإسلامي عطاءً وإبداعًا، شرط أن يحترم الأديب المسلم هذه الثنائية المتوازنة التي لا انفكاك بين طرفيها: الشكل والمضمون... ولسوف نرى كيف أن الإسلاميين سيقدمون أدبًا مؤثرًا يعرف كيف يفرض حضوره أمام الآخرين.

**○ إمكانية استفادتنا من المذاهب الأدبية غير الإسلامية: الكلاسيكية، الرومانسية، الواقعية، الطليعية، الاشتراكية... فكل واحدة من هذه المذاهب لها مناهجها وقوالبها... فهل من حق الأديب الإسلامي الاستفادة منها، أم أنه مطالب بأن يستحدث نمطه الإبداعي المتميز؟**

* في الإجابة على هذا السؤال يفترض أننا نتعامل مع سياقين: سياق الأنواع أو الأجناس الأدبية، وسياق المذاهب الأدبية.

في الأولى نجد أنفسنا أمام خبرات تقنية مشاعة للجميع، وهي ليست حكرًا على الغربيين... صحيح أن الغربيين في بعض الأنواع الأدبية حسنوا وأتقنوا، ومارسوا التجريب بأوسع معانيه، وبخاصة في الرواية والمسرحية. ولكن في أنواع أخرى؛ كالقصيدة والمقال كان لنا عطاؤنا وخصوصياتنا... ومهما يكن من أمر فإن الأبواب مفتوحة لكي يأخذ أحدنا عن الآخر، فينمّي خبراته ويزيدها نضجًا وإحكامًا ما دامت هذه ( القوالب ) ستحمل في نهاية الأمر الرؤية الإسلامية للكون والحياة والوجود والمصير، وستهدم في الوقت نفسه آداب العهر والتفكك والعبث والفوضى والانحلال والفجور.

أما في سياق الأخذ عن المذاهب الأدبية، فالأمر يختلف تمامًا... ويجب أن نكون حذرين... ذلك أنها تنطوي على تصوّرات وقيم وخبرات متضادة مع التصوّر الإسلامي ابتداءً، وبخاصة في المذاهب الأكثر حداثة؛ كالسريالية والواقعية الاشتراكية

والعبثية... ها هنا يجب أن نتميّز وأن تكون لنا رؤيتنا أو مذهبنا الخاص الذي ينسج حيثياته من خيوطه المتميزة وأن يرفض قبول الأجسام الغريبة عن التصوّر الإسلامي. وقد سبق وأن ناقشت هذه المسألة بالتفصيل في الفصل الثالث من كتابي ( مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ).

**○ قضية الحداثة، وما يسمى التنوير، يسقط ظلاله الآن على كل شيء بما فيه الأدب. لهم مصطلحات كثيرة مثيرة، يعتبرون – مثلًا – الالتزام الإسلامي في الأدب نوعًا من السلفية الأدبية البغيضة، ويستوجب في أثناء تنويرهم ( المزيّف ) هذا أن يسبوا الله رب العالمين ﴿ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [ الصافات: ١٥٩ ] أو أن يعودوا إلى الميثولوجيا الإغريقية أو الرومانية، أو الفرعونية، أو المحليات البابلية والآشورية والفينيقية.**

**جميل جدًّا على قلوبهم أن يرجعوا إلى عشتار أو إلى إيزيس أو أفروديت، ومرّ جدًّا على حلوقهم أن يرجعوا إلى أبي تمام أو المتنبي أو حسان أو إلى الأدباء الإسلاميين.**

**ما موقف الدكتور عماد الدين خليل بخاصة من قضية الحداثة، وما موقف الأدب الإسلامي منها بعامة؟**

* الخبرة فرصة للتوظيف شرط ألّا نذهب في تعاملنا معها إلى المدى البعيد... إن التطرف في الرفض أو القبول يقودنا إلى الضلال، وإلى خسران فرصة جيدة قد تساهم في تعزيز معطيات الأدب الإسلامي على كل المستويات.

فالحداثة سياق. والغربيون معروف عنهم أنهم لا يثبتون على حال في مذاهبهم ومناهجهم وتصوُّراتهم، وحتى أديانهم، التي تتغير من حال إلى حال. فالحداثة اليوم ستكون أمرًا رجعيًا في مستقبل الأيام، وتعلّقنا الزائد بها سيسقطنا معهم عندما ينزعون رداءها في يوم قريب أو بعيد.

هم يتغيَّرون باستمرار؛ لا ثوابت نهائية لهم، وركوب قطارهم السريع هذا سيجعلنا نخسر الكثير من ثوابتنا بكل تأكيد.

ولكن، ألا تجد أن في الحداثة وبخاصة على مستوى النقد التطبيقي فرصة جيدة لإضاءة النّص الإبداعي الإسلامي؟ وذلك لتعرضهم للمزيد من الدراسة المتأنية التي تمضي بالناقد إلى طبقات أكثر عمقًا من اعتماده التقنيات التقليدية في عمله النقدي؟

الحداثة منهج وممارسة نقدية ومعطى إبداعي. وهنا في هذا السياق الأخير نجد كيف أن بعض الروائيين الحداثيين، أو التجريبيين، قدموا أعمالهم الروائية من هذا المنظور، فكسروا حاجز الزمن، وتجاوزوا التسلسل المنطقي للحدث، وألغوا العقدة، وأجهزوا على الكثير من مطالب الحبكة... فهم في بعض ( تجريباتهم ) هذه قد يقدمون للروائي المسلم فوائد ذات شأن...

**○ لا أريد أن أتكلم عن الحداثة كقوالب إبداعية، ولكن كتوجُّه فكري عام يقوم على مرتكزين بارزين أولهما: ما يسمونه تكسير المقدسات الثلاثة: الدين – السياسة – الجنس... عملية الاستباحة المطلقة لهذه الثلاثية قضية فكرية، وقضية التطرف في الامتياح من الأساطير ومحاولة توظيفها وإحيائها هي القضية التي أعنيها الآن في طرحي للحداثة؟ فما موقفكم من هذه الإشكاليات؟**

* مرة أخرى... الحداثة معطى ذو وجهين، وجه يُعنى بصيغ التعامل مع النص الإبداعي، وهذا يمكن الاستفادة منه. ولكن لنعد إلى المضامين الفكرية للحداثة التي تمضي باندفاع قادم من أيام السريالية، وما وراء الواقعية والطليعية ( العبثية ). إنها ليست وليدًا تشكَّل فجأة في الفراغ، وإنما هي حصيلة خبرة غربية تقوم على الهدم وتدمير الثوابت والمضي قُدمًا بعقل منفلت في التعامل مع الأشياء إلى أن تصل، كما يقول ( فاولي ) في كتابه ( عصر السريالية ): عالم الجنون والدجنة، وأن تقود الناس إلى حال الدوار في هذا الكون المخيف... وهي بهذا تتناقض ابتداءً مع التصوّر الإسلامي الذي يضع الإنسان في دائرة الثوابت، والأمن الذاتي، والائتمان، والتوافق مع الخلائق والمصائر والأشياء... يقولون: إن الأب الروحي للحداثة هو الفيلسوف الألماني ( فردريك نيتشه ) الذي أطلق عبارة ( موت الإله )... والذي انتهى به الأمر إلى مصحة للمختلِّين عقليًا!!

**○ تكلمنا عن الإبداع كثيرًا... وما تكلمنا عن التنظير والنقد، هل قامت مدرسة نقدية إسلامية بارزة متميزة إلى جانب أسماء المبدعين الإسلاميين وعددهم كبير والحمد لله؟**

* إن الجهد الأدبي – كما هو معروف – ينطوي أو يتشكل من طبقات عديدة: عمل إبداعي تنصب عليه الأنشطة النقدية ثم التصوّرات التي تعكسها جملة الأعمال الإبداعية لجماعة ما أو شعب من الشعوب والتي تشكل في نهاية الأمر ( مذهبًا )

أدبيًا... ثم الدراسة الأدبية التي تنصب على شريحة زمانية محددة، فيما يعرف ( بتاريخ الأدب )، ثم المنهج المعتمد في تحليل هذا الأدب وتبيّن ملامحه، وأخيرًا ( التنظير ) الذي يلمّ هذه المعطيات جميعًا ويحدد سماتها وخصائصها.

في ضوء هذه الخارطة نستطيع أن نتبيّن مسار أدبنا الإسلامي المعاصر، من حيث إنه قدّم شيئًا كثيرًا في جانب، وقدم شيئًا محدودًا لا يكاد يغطي في جانب آخر، ولزم الصمت ولم يكد يقدم شيئًا في جانب ثالث.

نحن يعوزنا المنهج... منهج للدراسة يعتمد المعايير الإسلامية في الدراسة الأدبية، رغم أننا نملك الكثير في السياقات الأخرى: الإبداع، النقد التطبيقي، المذهب، والدراسة الأدبية والتنظير.

على مستوى النقد التطبيقي فإن التغطية النقدية لا تزال قاصرة عن تغطية جُلِّ الأعمال الإبداعية... فنحن في أَمسِّ الحاجة إلى مزيد من النقاد لتحقيق المطلوب أو مقاربته على الأقل.

حتى إذا جئنا للأعمال الأدبية فإننا سوف نلحظ خللًا في التوزيع؛ هناك شعر كثير جدًّا، قصة قصيرة ذات كم كبير، وكذلك الحال بالنسبة للمقال؛ قبالة نقص ملحوظ في الأعمال الروائية والمسرحية والسيرة الذاتية.

فنحن بأمس الحاجة لإعادة النظر في ملفاتنا الأدبية من أجل السعي للتحقّق بالتوازن المطلوب.

**○ تقريبًا، بدأت الدعوة للأدب الإسلامي بمعناها المحدّد الذي نعرفه الآن، قبل ثلاثة أو أربعة عقود تقريبًا... كثيرًا ما نرجع إلى مجموعة من الأدباء الإسلاميين في أوائل هذا القرن، دون أن تكون اللافتة موجودة مثل ( علي الطنطاوي )... ألحظ أن كثيرًا ممن نظروا ليسوا أدباء بالمعنى المفهوم؛ كالأستاذ محمد قطب والشيخ أبو الحسن الندوي وغيرهما، وهم لا يعرفون بأي نشاط إبداعي... فما هو رأيك؟**

* هذا صحيح، ولكن ليس بالضرورة أن يكون المنظر أو الناقد أو الدارس مبدعًا؛ قد يعطي النشاط الإبداعي فرصة أكبر للناقد، ولكن هذا ليس شرطًا، وهكذا نجد كيف أن كبار المفكرين والفلاسفة والكتاب في الغرب دخلوا على النقد والتنظير وهم

بالأساس ليسوا أدباء بالمعنى الأكاديمي الحرفي الصرف، وهذا ينسحب على من أشرت إليهم في ديارنا... ومن جهة أخرى من قال أن أدباء؛ كالطنطاوي والرافعي والعناني وعلي أحمد باكثير وأحمد محرّم... وغيرهم كثيرون ليسوا من الأدباء الإسلاميين، صحيح أن اللافتة رُفعت في بداية الستينيات، ولكنها تنفتح بالضرورة - وبأثر رجعي - على كل الأدباء الذين غذّوا التيار حتى ولو كان هؤلاء قادمين من عصور مبكرة في الزمن.

**○ كثير من الناس يتصورون أن الشعر الإسلامي مجرد قصائد وعظية أو خطب منبرية وضعت في قالب شعري... بينما يجب أن يعالج الشعر هموم الناس، يعايشهم ويفكر معهم، ويشاركهم أحلامهم وطموحاتهم في دنياهم وآخرتهم...**

* ليس ثمة فضاء تعبيري أكثر اتساعًا من الفضاء الإسلامي... فإن الأديب المسلم يتجول في مساحات واسعة تبدأ بالواقعي المنظور وتمتد إلى الغيب البعيد... تبدأ من نقطة معينة في البيئة، في الحيّ، في الزقاق، ثم تمضي مصعدة إلى الكون بآفاقه المترامية التي ما لها من حدود... كل الآداب والفنون عالجت جزئيات من الواقع، أو عينات من العالم، إلّا الأدب الإسلامي الذي يجد الأبواب أمامه مفتوحة على مصراعيها ليقول ما يشاء... وكل الثنائيات التي اصطرعت في المذاهب الأخرى، ولكنها في المنظور الإسلامي تلتقي وتتصالح: المنظور والغيب، الظاهر والباطن، اللّه والإنسان، الدنيا والآخرة، الفناء والخلود، الفردية والجماعية... القدر والحرية... إلخ، تلتقي وتتصالح لكي تعطي للأديب والفنان المسلم فرصة مترعة بالخصب من الموضوعات غير المستهلكة لإبداعه الشعري. فالفكرة المستهلكة التي تقول بأن الأدب الإسلامي، بما في ذلك الشعر، يعتمدها كموضوعات مقننة أو محدودة فكرة مرفوضة... ويكفي أن ترجع إلى عشرات، بل إلى مئات الدواوين الإسلامية لكي تتأكد من هذا الذي نقوله...

* * *
* *
*

# اللقاء الرابع عشر (*)

* أُتيح لي أن أطلّع على تعليق الكاتب العربي ( من كندا ) على مقالات الأخ السعيدي حول الجزائر، وردّ الأخير، الذي تلاه تعليق آخر من السيد محمد سعيد من باكستان. وتذكرت شعار « قضايا دولية »: « معكم نحو الحقيقة » وأنه قد يكون كمعظم المقولات، سلاحًا ذا حدّين وقد يدفعنا حدّه الآخر صوب الانزلاق إلى قول كل شيء، ونشر غسيلنا قبالة الخصوم لكي يوظّفوا حلقاته الضعيفة في خطابهم الإعلامي الذي يحاصر الإسلاميين في كل مكان.

وهو خطاب ذو قدرات مذهلة في التوظيف، خاصة إذا تذكرنا أن القوى الكبرى التي تمسك برقاب العالم في اللحظات الراهنة: ( أمريكا والصهيونية والغرب... إلخ ) وكل القوى والقيادات التي تنفّذ مشروعهم في عالمنا الإسلامي، هي التي تصوغ هذا الخطاب وتعزّز به سياساتها ومصالحها في المنطقة.

وتذكرت - كذلك - مبدأ لا يقل خطورة عن المقولة المذكورة... ألا وهو « ليس كل ما يُعرف يقال » وأن على إعلامنا الإسلامي الذي لم يستو على سوقه بعد، ألّا يكون سخيًا بأكثر مما يجب في كشف المعطيات الإسلامية بحجة ضرورة النقد الذاتي، والواقعية، والاعتراف بالخطأ، وتجاوز التعلّق بالأوهام والظنون... إلى أخره مما قد يبرّر لبعض الإعلاميين هذا الذي تشهده أحيانًا صفحات « قضايا دولية » وهي تعالج قضايا السودان وفلسطين حينًا وقضية الجزائر حينًا آخر، تلك التي نُفذت فيها واحدة من أبشع عمليات الاغتيال السياسي والأخلاقي في التاريخ المعاصر غداة تجميد نتائج الانتخابات المعروفة بطريقة سافرة مكشوفة يعرفها الجميع.

إن خصمنا لم يحاول يومًا أن يجاملنا باسم التشبّث بالحقيقة، ويجيء هذا مصداقًا للآية الكريمة: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [ البقرة: ١٢٠ ]، وهم

(*) تعقيب حول شعار « معكم نحو الحقيقة » الذي طرحته مجلة ( قضايا دولية ) التي تصدر في إسلام آباد - الباكستان أرسل في ربيع ( ١٩٩٦م ).

طالما أخفوا جوانب من « الحقيقة » لأغراض تكتيكية أو استراتيجية كما يقولون دون أن يجدوا في ذلك ما يمّس ادعاءاتهم الأخلاقية والتزامهم بالعلم والموضوعية.

فما بالنا نحن نصبح ملكيين أكثر من الملك بحجة المضي مع الحقيقة حتى آخر الشوط فنقدّم لخصومنا السكين التي يذبحوننا بها؟

إن المرء بمجرد مقارنة بين الأسلوب الذي تعتمده مجلة ( كفلسطين المسلمة ) في التعامل مع « الحقيقة » الجزائرية، وذلك الذي اعتمده تقرير « قضايا دولية » يحكم بأن هناك خطأ ما في التعامل مع الشعار الذي اعتمده التقرير، ليس من أجل دفن الرأس في الرمال والجبن عن الاعتراف بالخطأ، والهروب من النقد الذاتي... إلخ، كما قد يخيّل للبعض، وإنما لوجود ضرورات لا يمكن تجاهلها، تجعل تحييد الخطاب الإعلامي الإسلامي، وربما تحويله إلى أداة للتشهير غير المبرّر؛ فرصة جيّدة للتوظيف من قبل الخصوم والأعداء.

ويشهد اللّه أنني لا أكتب هذه الكلمات رغبةً في الجدل أو هروبًا من مجابهة الأخطاء ولكن لأنني رأيت في ردّ الأخوين السعيدي من باريس ومحمد سعيد من باكستان بادرة خطيرة قد تخدم الخصم أكثر مما تخدم الإسلاميين أنفسهم وأن على « قضايا دولية » أن تراجع الأمر مرة ومرّتين وثلاثًا قبل أن تمضي في هذا الطريق الذي قد يضرّ أكثر مما ينفع.

ومعروف على مستوى المنهج أن الاستدلال ببعض الجزئيات لا يكفي للحكم على الظاهرة وإدانتها... وإن المرء ليلمح في الرّدّين المذكورين خطأ كهذا، ويجد نفسه مرغمًا على التساؤل: لمصلحة من هذه الصراحة الزائدة، وتلك الرغبة الملحوظة في البحث عن المطاعن والعيوب؟

الشيء نفسه يلحظه المرء في « تحقيقات » التقرير عن السودان وغيره من مواقع الاستقطاب الإسلامي والعالمي في اللحظات الراهنة.

هنالك - على سبيل المثال - معالجة للممارسات الدستورية الجديدة في السودان يعرضها التقرير في العددين ( ٣٣١، ٣٣٢ ) ( ١٩ - ١٣ مايو ١٩٩٦م ) واضعًا على الغلاف « مانشيتًا » ينطوي على الكثير من النقد، وربما من « الهزء » إذا بالغنا في

الظن!: « السودان: وزارة محلّك سر »، وتمضي المعالجة في توجيه اللوم على الممارسات الدستورية السودانية وأنه كان أحرى بقيادة السودان أن تمنح المزيد من الفرص للقوى والأحزاب المعارضة.

ويجد المرء نفسه مضطرًا إلى التساؤل للمرة الثانية والثالثة: إذا كان خصوم الإسلام لا يمنحون معارضيهم عُشْر مِعْشَار ما تمنحه القيادة السودانية فما لنا نحن نعيب على هذه القيادة أنها لم تمنح معارضيها هامشًا أوسع بكثير؟!

والمؤمن لا يُلدغ من جحر مرّتين... وقد آن لنا أن نحصّن أنفسنا ضد لدغات الأفعى حتى لو اقتضى الأمر تضييق منافذ الهواء على جحورها، خاصة إذا تذكرنا أن الكثير من هذه الأفاعي رأسها في ديارنا وذيلها في لندن أو واشنطن!

وأحرى بنقاد التجربة السودانية أن يتوجّهوا باللوم أوّلًا إلى شراذم المعارضة التي أتيح لها يومًا أن تتسلّم السلطة، فقادت البلاد والعباد إلى الجوع والدمار، وأوصلت قِرَنْق وأتباعه الصليبيين العملاء إلى أبواب الخرطوم.

فلما جاءت ثورة الإنقاذ منحت الخبز للإنسان في السودان أيًا كان انتماؤه وحمت الديار من التفكك والانتهاك.

ولطالما مارسنا عبر تاريخنا الطويل هذه السماحة « الزائدة » مع خصومنا، فأعطيناهم السكين التي ذبحونا بها... وقد آن لنا ألّا نكون أسخياء بأكثر مما يجب وأن نتمثل مقولة ابن الخطاب المعروفة: « لست بالخب ولا الخبّ يخدعني »... تُرى... هل سنتعلّم من التجربة؟

* * *
* *
*

# اللقاء الخامس عشر(*)

* إذا تجاوزنا انفعاليتك الزائدة التي لا لزوم لها وإدخالك إياي في أمور لم أقصد إليها البتة ولم تخطر لي على بال، فإنني أعترف - ابتداء - بأنك ناقشتني من منطلق الحرص ( بخصوص مقالي: الإسلام والعروبة معًا في مواجهة الإعصار، المنشور في العدد ( ٣١٣ ) من قضايا دولية ). ولكن الحرص إذا تجاوز حدّه قاد إلى إنكار الثوابت المتفق عليها.

إن بين عروبة المنطلق الإسلامي وعالميته خطوطًا ومعادلات وشبكة محكمة لن يكون بمقدوري ولا بمقدورك تجاوزها أو تغيير أبعادها...

لقد كتب الشهيد حسن البنّا الكثير عن هذه العلاقة الحميمة وامتلأت أدبيات الإخوان بمعطياتها... فلم يقل أحد إن الشهيد وأصحابه انحازوا إلى هذه الفئة أو تلك...

وحزن المسلمين الأوائل على هزيمة الروم النصارى على أيدي الفرس الوثنيين في العصر المكي لم يجعلهم نصارى بعد أن كانوا مسلمين.

ولو قال لك قائل بأن الإسلام نظام أممي فهل سيدفعك ذلك إلى اتّهامه بالماسونية أو الشيوعية اللتين تدعوان إلى وحدة الإنسان في العالم؟ فالتأكيد - بالمقابل - على عمق الوشائج بين الإسلام والعروبة لا يعني قومية الإسلام...

والمسألة - باختصار - أيها الأخ العزيز مسألة مؤتمر دُعي إليه الإسلاميون والعروبيون، وكان من بين الفئة الأولى شيوخ أجلّة ودعاة مخلصون كالقرضاوي والغنوشي وغيرهما، وما كانت مقالتي سوى تعقيب على ما جرى في المؤتمر الذي أريد له جمع الشمل في مواجهة الإعصار الأمريكي الصهيوني، والتفرّد الشرس بحكم العالم، ومحاولة الإمساك بخناق كل المنتمين إلى جغرافية الإسلام، عربًا كانوا أم غير عرب، وإرغامهم على الركوع.

(*) ردّ على تعقيب الأخ عبد الله حمدان المنشور في العدد ( ٣١٧ ) ( ١٩٩٦م ) من مجلة ( قضايا دولية ) التي تصدر في إسلام آباد - الباكستان.

معنى ذلك أنك مارستَ في تعليقك خطيئة ما يسمى بالاقتطاع القسري، أي عزل الشاهد عن سياقه، وكان يفترض الإشارة إلى أن مقالي هو في الأساس تعقيب على واقعة محدّدة تداعى إليها الإسلاميون والعروبيون للالتقاء على بعض الجزر المشتركة، والتصالح، وتحكيم الكلمة بدلًا من السكين في لحظة يكاد النظام العالمي الجديد وبطانته الصهيونية يفترسان كل ما هو إسلامي وعربي أصيل.

فلنجرّب – يا أخي العزيز – صيغة بديلة للتعامل مع « الآخر » فلعلّها تأتي بنتائج أكثر إيجابية مما أثمرته سنوات الهجر والقطيعة والتقاتل والبغضاء...

ولا أكتمك القول بأنني ترددت كثيرًا قبل أن أبعث بمقالي المذكور إلى « قضايا دولية » خشية أن يفهمه البعض بغير ما قصدت إليه... ولقد وقع هذا الذي كنت أخشاه... ويبقى الحكم الأخير للرسول المعلّم – عليه أفضل الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري ومسلم: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...** ».

* * *

# اللقاء السادس عشر (*)

* بدأت كتابة الشعر منذ عهد الدراسة المتوسطة ( ١٩٥٦م )؛ حيث أنجزت العديد من المقطوعات في سياقي العمود والتفعيلة، وجمعتها في دفتر ما لبثت أن مزّقته بسبب عدم اقتناعي بها.

واستمر إغراء الشعر يناديني... فكنت أكتب القصيدة والاثنتين، على مراحل متقاربة حينًا، متباعدة أحيانًا.

وجمعت بعض هذا الذي كتبته في الستينيات والسبعينيات في ديواني الأول ( جداول الحب واليقين ) الذي صدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت عام ( ١٩٧٨م ).

ثم ما لبثت مشاغل الحياة، وهموم الدراسة والبحث والتدريس، أن أبعدتني عن مملكة الشعر، ولكنني ما لبثت عبر التسعينيات أن استجبت للنداء مرة أخرى، وكتبت جملة من القصائد جمعتها في ديوانٍ ثانٍ حمل عنوان: ( ابتهالات في زمن الغربة )، صدر عن دار الوفاء في المنصورة بمصر بعد عام ( ١٩٩٨م )، وكان وفق قناعتي الخاصة أكثر نضجًا فنيًا من سابقه.

* * *
* *
*

(*) جوابًا على سؤال الأستاذ الدكتور بهجت الحديثي في الشارقة ( ٢٠٠١م ) حول تعاملي مع الشعر لغرض إدراجه في كتابه عن ( الشعراء الإسلاميين ) في العراق والذي صدر فيما بعد.

# اللقاء السابع عشر(*)

**○ هل التفرّد الأمريكي في القرار والقطبية الواحدة التي تحكم الأرض في الوقت الحاضر منسجمة مع حركة التاريخ مما يكفل استمرارها؟ وهل السنن الكونية الربانية تنسجم مع هذا؟**

* عبر التاريخ الغربي نفسه كانت دائمًا هناك روما بمواجهة أثينا، والبابوية بمواجهة القسطنطينية، والرومانية المقدّسة بمواجهة البابا، وفرنسا بمواجهة بريطانيا وألمانيا وروسيا، وبريطانيا بمواجهة القارة، والمحور بمواجهة المستعمرين القدماء، وأمريكا بمواجهة الإمبراطورية البريطانية، والاتحاد السوفياتي، وأوربا الغربية بمواجهة أمريكا...

ومعنى هذا أن تفرّد قوّة غربية واحدة بالسلطان أمرٌ يكاد يكون مستحيلًا على الفترات الزمنية الطويلة نسبيًا، وأن الثغرة التي قد ينفذ منها الإسلام المحاصر، ستتشكل، أو هي قد تشكلت فعلًا بحكم قوانين الحركة التاريخية وسننها التي طالما حدثنا عنها كتاب الله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ [ هود: ١١٨، ١١٩ ]، ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [ آل عمران: ١٤٠ ]، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ البقرة: ٢٥١ ]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ ﴾ [ الرعد: ٤١ ].

ومعنى هذا أيضًا أن على عالم الإسلام اليوم ألّا تذهب به الهزيمة النفسية إزاء التفرّد الأمريكي إلى المدى، وأن يبذل جهده لكي يتماسك وينهض، مستفيدًا من حالة الثنائيات الغربية المتولّدة باستمرار... من الثغرات التي تفتحها في جدار الغالب... وقبل هذا، من قدرات الإسلام الذاتية على كل المستويات النفسية والفكرية والاستراتيجية والاقتصادية والحضارية في نهاية الأمر. والقديرة على أن تحمي

(*) جرى الحوار بالمراسلة مع مجلة ( رؤى ) التي تصدر في باريس، في أعقاب حادثة ( ١١ أيلول ٢٠٠١م ) تحت عنوان « قراءة لمستقبل العلاقة بين عالم الإسلام والغرب في ضوء الأحداث الأخيرة ». الذي شارك فيه عدد كبير من الكتاب والمفكرين.

الوجود الإسلامي من التفكك والذوبان، بل أن تمضي ثانية باتجاه مواقع أكثر فاعلية على خرائط العالم المعاصر لكي تشارك في اتخاذ القرار وصياغة المصير.

إن ألفين من السنين تنسجان اليوم حيثيات الصراع بين أمريكا والإسلام، ولكن في أي من هاتين الألفين قدر الغرب على أن يطمس نهائيًا هوية الشرق؟ في أي منها ألقى المسلمون السلاح وارتموا، مغلوبين على أمرهم في أحضان الغالبين؟

إن عالم الإسلام يقف اليوم قبالة حالة تاريخية ليست جديدة بالكلية... قد تكون جدّتها في الزخم الكبير الذي تنطوي عليه، بما أنه حصيلة قرون طويلة من التشكل التاريخي على مستويَي الكم والنوع، ولكنها في الأساس حلقة في مسلسل طويل يبدأ في « أثينا » ولكنه لن ينتهي في « واشنطون ». فها هي إرهاصات متغيّرات محتملة تطلّ برأسها، ولم يصل النظام العالمي الجديد، بعد إلى برّ الأمان، أوربا الغربية قد تتوحّد قبالة أمريكا... وقد تنضاف إليها روسيا... اليابان تواصل قفزاتها التقنية والاقتصادية بحساب متواليات هندسية قد تحدّ من قدرات التفرّد الأمريكي في المستقبل المنظور... الصين ودول العالم الثالث قد تخزّ جملتها العصبية إبرة التحدي الجديد لعالم تهيمن على مقدّراته إرادة واحدة، فتتحرك لتفعل شيئًا، على الأقل في سياق الردّ السلبي.

ثم... عالم الإسلام نفسه الذي طالما دفعته التحدّيات إلى استعادة حيويته وفاعليته والعودة ثانية إلى التاريخ لكي يشارك في صياغة المصير ليس بالضرورة بقوّة السلاح ولكن بقوّة العقيدة التي تساقطت إزاءها جلّ العقائد والمذاهب عبر العصور، وبقيت هي بمحورها التوحيدي القائم على شهادة ( لا إله إلّا اللّه ) تلك الشهادة القديرة - بتعبير رجاء غارودي - على تحويل الجبال عن مواضعها... بقيت لكي تمارس مرة أخرى واحدة من أوسع عمليات التحرير للإنسان والبشرية من كل صيغ الاستلاب والابتزاز ومن كل أنماط الطاغوتيات والصنميات التي هيمنت ولا تزال على مقدّرات العالم والإنسان.

**○ الانفجارات التي شهدتها أمريكا مؤخرًا... هل تعكس حالة صراع حضاري بين الإسلام والغرب، أم أنها نتيجة إشكاليات داخل أمريكا نفسها؟**

* لا يمكن للمرء أن يقدّم استنتاجات مقنعة في قضية خطيرة كهذه لا تقوم معطياتها الراهنة على قدر كافٍ من القرائن. ويصعب على المرء - كذلك - أن يقدم استنتاجات عن حدث خطير كهذا لم تتحدّد - بعد - ردود أفعاله القريبة والبعيدة.

في الحالة الأولى هنالك شكوك حول احتمال أن تكون الضربة التي وجهت إلى أمريكا من جهة غير عربية ولا إسلامية... جهة قد تكون من داخل أمريكا نفسها - أسوة بما حدث في أوكلاهوما - وربما بالاتفاق مع جهات من الخارج لا علاقة لها بالعرب ولا بالمسلمين، لتحقيق جملة من المكاسب، أو - ربما - لتصفية حسابات معلّقة ( الانتقام لهزيمة إل غور، إشعار السلطة الأمريكية دائمًا بأن القبضة اليهودية يمكن أن تطالها... تحجيم نشاط الجاليات الإسلامية في أمريكا، وربما في الغرب كلّه، وإيقاف الانتشار الإسلامي هناك، تدمير الجسور المقامة بين القيادات الإسلامية في أمريكا والسلطة الأمريكية، إجهاض محاولات هذه القيادات لتحويل المجموعات العربية والإسلامية في أمريكا إلى قوة فاعلة في الانتخابات الأمريكية وفي سياسات الولايات المتحدة بشكل عام وهو ما دُشّن بإسناد بوش في معركته الانتخابية من قبل هذه المجموعات... تعميق الخندق بين الغرب والشرق واستثارة العمق الصليبي... الانفراد بالفلسطينيين وإجهاض الانتفاضة... تدمير الجماعات الإسلامية بحجة الإرهاب... تدمير أفغانستان... تحجيم وربما إجهاض الانتشار النووي لباكستان، الإمساك أكثر فأكثر بسياسات حكام البلاد العربية والإسلامية... المزيد من الهيمنة على المقدرات الاقتصادية لدول العالم الثالث... قتل الحسّ القومي الأمريكي تجاه مؤامرات وابتزاز اللوبيات اليهودية للزعامات الأمريكية وتحويل أنظارها إلى هدف مضاد مشترك... إلى آخره... ).

وفي الحالة الثانية قد تخفّف أمريكا من ردّ الفعل المتوعّد الذي يضرب على غير هدًى والذي حذّرت منه زعامات كثيرة في ديار الغرب نفسه، والذي قد لا يتعاطى مع الهدف المطلوب، وقد يتجاوز حدوده المعقولة إلى عمل انتقامي تضيع فيه المعايير التكتيكية والاستراتيجية وتختلط الأوراق، وتدخل أمريكا مستنقعًا هو أشد وطأة بكثير من كل المستنقعات التي خاضت وحولها في فيتنام أو لبنان أو الصومال.

مهما يكن من أمر فإن هناك - في المقابل - بعض المؤشرات، وربما الثوابت، يمكن أن تعتمد لتقديم بعض الاستنتاجات التي قد تُخطئ وقد تصيب.

فبقدر ما حاول ( بوش ) أن يضبط أعصابه وأعصاب الأمريكيين، تجاه أي ردّ فعل

متهوّر ضد الوجود العربي الإسلامي داخل الولايات المتحدة، فإنه - ربما لامتصاص شحنة الغضب، وربما لنفخ النار فيها - كشف ولأوّل مرة في الخطاب الأمريكي المعاصر عن احتمال أن ينطوي الردّ الأمريكي والغربي عمومًا، على بُعدٍ صليبي!

وهذه مسألة غاية في الخطورة قد تؤذِّن بتدمير كل الجسور التي أقامها الحوار، والمصالح المشتركة، والضرورات الحضارية، بين عالمي الإسلام والغرب، داخل الولايات المتحدة وخارجها.

لعلّ هذا هو الذي دفع العديد من الصحف ووكالات الأنباء إلى التعتيم على العبارة المذكورة أو تغييبها... ودفع ( بوش ) نفسه ومن بعده رئيس الوزراء الإيطالي - وفي السياق نفسه - إلى الاعتذار عنها. ولكنها - على أية حال - أطلقت، وأخشى ما يخشاه المرء أن يعيد التاريخ نفسه، بصيغ مغايرة بكل تأكيد، وبوتائر أشد هوْلًا بكل تأكيد كذلك، ولكن نبض ( كليرمونت ) وخطاب البابا ( أوربان الثاني ) هو نفسه في"الحالتين!

إن عالم الإسلام الذي اضطهده الغرب وسامه الخسف وابتزّه مرتين، عبر القرون الثلاثة الأخيرة، في مرحلتي الاستعمار القديم والإمبريالية، يوشك أن يتلقى موجة ثالثة أشدّ هوْلًا، من الاضطهاد والخسف والابتزاز...

والمفارقة المحزنة أن هذا العالم المضطهد هو نفسه الذي يمدّ الغرب، وأمريكا، بالمقوّم الأساس لديمومة الفعل الحضاري وتناميه... وهو النفط!!

**○ هذا الذي تحدثت عنه يكشف جانبًا من الأبعاد السياسية والدينية والاقتصادية للوضع الراهن واحتمالاته... ولكن ماذا بخصوص البُعْد الحضاري؟**

* قد نعثر على الجواب في المحاضرة التي ألقاها « صموئيل هنتنغتون » أستاذ العلوم السياسية ومدير مؤسسة « جون أولين » للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد.

ففي بداية التسعينيات، بعد غياب الاتحاد السوفياتي تمامًا، وتفرّد الولايات المتحدة بمصائر العالم، ألقى « هنتنغتون » محاضرة عن « صِدام الحضارات... تضمّنتها دراسته الموسومة بـ « المصالح الأمريكية ومتغيّرات الأمن » التي نشرت في « مجلة الشؤون الخارجية » في حزيران ( ١٩٩٣م )، وملخّصها أن الغرب، بعد سقوط

الاتحاد السوفياتي، بحاجة ماسّة إلى عدوّ جديد، يوحّد دوله وشعوبه، وأن الحرب لن تتوقف، حتى لو سكت السلاح وأبرمت المعاهدات؛ ذلك أن حربًا حضارية قادمة ستستمر بين المعسكر الغربي الذي تتزعمه أمريكا وبين طرف آخر قد يكون عالم الإسلام أو الصين.

إن معطيات كهذه تلقي ضوءًا آخر على الموضوع، وهي قد ترجّح أن « جهة ما » من داخل الولايات المتحدة تقف وراء التفجيرات الأخيرة ولكن حتى لو لم تثبت هذه الشكوك، فإن أمريكا ستعرف كيف توظّف « الحالة » لوضع الغرب الأوربي كلّه... بل زعماء العالم الثالث نفسه، في معطفها، في سياق حضاري خفي أو معلن... كان « هنتنغتون » قد تنبّأ به...

ومن قبل كان البابا « أوربان الثاني » يسعى إلى احتواء العالم الارثوذكسي من خلال رفع « الصليب » في مواجهة عالم الإسلام!!

**○ هل معنى ذلك أن باب الحوار بين الغرب والشرق قد أقفل تمامًا؟**

* الغرب ليس كلّه أمريكا، بل إن أمريكا نفسها ليست بالضرورة حصيلة معادلة واحدة تتحكم في نتائجها باستمرار المصالح الكبرى والمافيات العملاقة واللوبيات الصهيونية...

وبالتالي فإن التعايش ممكن جدًّا، وربما سيزداد هامشه اتساعًا في سياق محاولات بعض بلدان الغرب الأوربي، وربما روسيا لاستعادة التعدّدية القطبية، والخروج من محاولات الاحتواء الأمريكي المتفرّد في الساحة. وقد تبرز داخل أمريكا نفسها قياداتٌ جديدةٌ ربما ستعيد فتح الممرّات ثانية بين العالمين، بعد أن تتكشف الحقائق، ويستقر الغبار والدخان اللذان تمخضا عن الضربة الأخيرة.

**○ الكثيرون يتساءلون عن إمكان فرض أمريكا رؤيتها المنفعية ( البراغماتية ) على عالم الإسلام من خلال آليات العولمة والقطبية الأحادية، ومفاهيم صراع الحضارات ونهاية التاريخ؟**

* إن العولمة الشاملة لم تصل - بعد - إلى مداها، كما أن امكانية التصدّي لأهدافها غير مستحيلة، إذا توفّرت النية وأحكم التخطيط، لا سيّما إذا تذكرنا أن

الأمة الإسلامية هي أولى الأمم المستهدفة من النظام الجديد والعولمة، وأنها تملك - في المقابل - البديل القادر على مجابهة هذه التحدّيات، إذا عرفت كيف تلمّ الشمل، وتحشد الإمكانات، وتقيم منظومة أمنية، وتفيد من الوسائل المبتكرة والمتطورة بكل أشكالها، وتوظيفها في مجال مقاومة العولمة، ومنعها من المضيّ إلى نهاية الشوط.

إن الإسلام رسالة عالمية وبها تستطيع الأمة الإسلامية القيام بـ ( عولمة مضادة )... فالإسلام رسالة سماوية وتبليغها للعالمين واجب يقوم على أساس حرّية الاختيار والانتقال والمرور إلى الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، بهدف عرض هذه الرسالة وتبليغها لا فرضها على الآخرين، وإكراههم على التأقلم والتقولب وفقًا لمطالبها، كما تفعل العولمة الأمريكية.

إن عقيدة الإسلام ومقاصده العليا لهي الإجابة على قلق العالم الحديث الذي يصنعه ويقوده النموذج الغربي، هذا النموذج الذي إن كان له أن يتباهى بما صنعت يداه، فليس له أن يشير إلّا إلى العلم والتقنية اللتين بلغ بهما - والحق يقال - مرتقى صعبًا، ولكن حتى ها هنا؛ حيث لا يمكن للعلم والتقنية أن تنفردا بمصير الإنسان بعيدًا عن الارتباط بفكرة ما، بفلسفة أو عقيدة، تؤطِّر حركتهما وتربطها بالإنسان نفسه، وتمنحها المعنى والهدف والمغزى، حتى ها هنا فإن الإسلام وحده يمكن أن يمنحنا الجواب.

إن « غارودي » يتساءل في « وعود الإسلام »، « ما الذي يستطيع الإسلام أن يقدّم ليُعِدّنا للإجابة على المسؤوليات التي تفرضها قدرة العلم والتقنية على جميع البشر اليوم؟ ». وما يلبث أن يجيب: « إن المشكلة كونية ولا يمكن للجواب إلّا أن يكون على المستوى الكوني ».

وهكذا تصير مشاركة الإسلام القادمة أكثر من ضرورية... تصير أمرًا محتّمًا؛ لأنها تدخل الساحة لا لكي تعالج هذه الجزئية أو تلك، وإنما لكي تعيد تصميم الحياة البشرية بما يردّ إليها قيمتها الحقّة، ويمنحها هدفًا ومغزًى، ويربطها بالإنسان نفسه، محققة التناغم والانسجام بين أقطاب الكون، بعد إذ أقام الفكر الوضعي بينها الأسلاك الشائكة، وكهربها بالكراهية والبغضاء.

وهكذا - أيضًا - يغدو بعث الإسلام كبعث الإنسانية بأكملها كما يقول

« غارودي » مشيرًا إلى المستقبل، ومقارنًا بما تحقّق في الماضي عبر الفترات المتألقة من تاريخ الإسلام.

إن صنميات شتى تفرّخ وتتكاثر في عالمنا الراهن الذي تأخذ بخناقه عقيدة التكاثر المادي بالأشياء... صنم الفردانية... صنم الأمة... صنم النموّ... صنم التقنية... صنم قوة الأسلحة والجيوش بمحذوراتها وطقوسها...

كلّا... يذكرنا الإسلام... ( لا إله إلا اللّه ) اللّه أكبر... وإننا لنعرف بالتأكيد ما لهذا اليقين في العقيدة من قوة هدم وتحرير... فالحوار مع الإسلام - يقول غارودي - يمكنه أن يساعدنا على ابتعاث خميرة عقيدتنا الحيّة فينا، « تلك التي تستطيع نقل الجبال من مواضعها ».

○ **عودًا إلى موضوع التفجيرات الأخيرة... هل ثمة توقّعات أخرى؟**

* يبدو أن منظومة القيم الخلقية، ومعيارية العدل قد انهارت في صميم تكوين العقل السياسي الغربي عبر القرون الثلاثة الأخيرة هذه، وأنها فقدت الرؤية الصائبة في التعامل مع الشرق عامة وعالم الإسلام على وجه الخصوص، وزادها اندفاعًا في تضييق الخناق على هذا العالم، وابتزازه، وكيل الضربات له، غياب التعدّدية القطبية، وتفرّد الولايات المتحدة بقيادة العالم.

وباختصار شديد، إن ما يمكن أن يحدث على المستويين القريب والبعيد هو إحدى اثنتين لا ثالثة لهما...

**فأما الأولى** - التي قد يكون أوانها قد فات - فهي أن تبني الولايات المتحدة ردود أفعالها على القرائن القاطعة، وليس الظنون والتخمينات التي تستدعي فيها كل عناصر الكراهية والصراع المشحون بين العالمين، وحينذاك يمكن أن تتريث في اندفاعها غير الموزون وتعيد قراءة الواقعة بأكبر قدر من التعقّل والحكمة؛ حيث سيتبدى لها أن خطابها عبر أيام المحنة، قد جاوز حدوده المعقولة إلى نوع من الهياج الأعمى، الذي تضيع معه حقائق الأمور، وتغيب الرؤية الدقيقة للوقائع في أسبابها ونتائجها على السواء.

**وأما ثانيتهما** فهي المضي قدمًا تحت إغراءات التفرّد، والقوة، وضغوط الهياج الشعبي، بكل أبعاده الدينية والعنصرية، لإنزال الويل والثبور بهذه الحلقة أو تلك من

عالم الإسلام، ومحاولة احتواء، وربما إرغام كل زعامات هذا العالم على الانخراط تحت خيمة ما تسميه « مقاومة الإرهاب »... وهو - يقينًا - لا يتحدّد بهذه البقعة الضيّقة أو تلك، وإنما سيمضي بقوة المذهب والتاريخ والمصلحة لكي يطال عالم الإسلام كلّه.

أما الشعوب الإسلامية، فلن يكون بمقدور قوة في الأرض احتواؤها، وبالتالي فإن مواقفها ستؤذّن هي الأخرى بالويل والثبور، ولن يكون الردّ غير المبّرر أو المنضبط نزهة يقوم بها الأمريكيون.

هذا على المستوى ( المباشر ) للمشكلة، أو المستوى التكتيكي القريب إذا صحّ التعبير، ولكن هناك جانبها الاستراتيجي بعيد المدى، وهو بالتأكيد لا يقل خطورة عن المستوى المذكور، وستتأثر مفرداته ومعادلاته بهذا المستوى، ولكن فاعليتها ستمتد بعيدًا في الزمن والمكان... إننا هنا قبالة التاريخ بأبعاده الزمنية الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل... قبالة الحضارة في صراعها أو قدرتها على الحوار.

إن معطيات هنتنجتون في ( صراع الحضارات ) التي أشرنا إليها قبل قليل، تلقي ضوءًا آخر على الموضوع... وهي قد تؤكد الشكوك المتزايدة بخصوص أن « جهة ما »، من داخل الولايات المتحدة تقف وراء التفجيرات الأخيرة، ومع ذلك فإن الغرب ليس كلّه أمريكا، بل إن أمريكا نفسها ليست بالضرورة حصيلة معادلة واحدة تتحكم في نتائجها باستمرار المصالح الكبرى، والمافيات الاقتصادية العملاقة، واللوبيات الصهيونية.

وبالتالي فإن التعايش ممكن جدًّا، وربما سيزداد هامشه اتّساعًا في سياق محاولات بعض بلدان الغرب الأوربي، وربما روسيا، لاستعادة التعددية القطبية، والخروج من محاولات الاحتواء الأمريكي المتفرد في الساحة، وقد تبرز داخل أمريكا نفسها قياداتٌ جديدةٌ ربما ستعيد فتح الممرات ثانية بين العالمين، بعد أن تتكشف الحقائق، ويستقر الغبار والدخان اللذان تمخّضا عن الضربة الموجعة.

ومرة أخرى، فإن التوحّد الغربي قبالة الشرق، ليس بالضرورة الوجه الأوحد للصورة، فهنالك - لحسن الحظ - الوجه الآخر: إنها الثنائية التي تخترق القاسم المشترك الواحد، بقوة المذهب أو الفكر أو المصلحة وتحيله إلى تشرذمات متصارعة داخل الساحة الغربية، وفي مواجهة ( الآخر )...

# اللقاء الثامن عشر (*)

○ **حدّثنا عن « رمضان » في المنظور الإسلامي.**

* يمكن اعتبار رمضان إحدى المرايا التي تعكس بعمق المنظور الإسلامي للحياة والوجود... فإذا كانت الصلاة تمثل المحطة اليومية لعبادة اللّه سبحانه، وإذا كان الحج يمثل محطة العمر... فإن رمضان يمثل المحطة السنوية لممارسة عبادة قلّ نظيرها بين العبادات... وهي العبادة الوحيدة التي لا تحتمل أي قدر من الرياء على الإطلاق فلن يمتنع مسلم ما عن الطعام والشراب يومًا بكامله إلّا أن يكون عمله ممحضًا للّه سبحانه؛ ذلك أن فرص خرق هذا الالتزام أو الحرمان مفتوحة لكل من يريد... بعيدًا عن الأنظار... ولهذا قال اللّه سبحانه في حديث قدسي: « **كل عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنه لي وأنا الذي أجزي به** ».

والصوم كأية عبادة إسلامية يحقّق أهدافًا عديدة كما هو معروف... وتلتقي فيه الرياضة الجسدية بالرياضة الروحية... والفردي بالجماعي...

هذا إلى أن الصوم يحقّق كأية عبادة إسلامية كذلك خير الدنيا والآخرة... فثوابه عند اللّه سبحانه كبير وهو في الوقت نفسه يتمخّض عن فوائد صحّية عديدة فيما تحدث عنه المختّصون بالطب فأطالوا الحديث...

ففي أية ممارسة إسلامية يلتقي بتوافق مدهش كل ما يخدم الإنسان نفسه على كل المستويات العقلية والروحية والجسدية... كما يلتقي الأخروي بالدنيوي، والسماء بالأرض والخالد بالفاني فيما لم يشهده أي دين آخر أو مذهب وضعي على الإطلاق...

○ **ارتبط شهر الصيام بممارسات وتقاليد ترفيهية عديدة ما رأيك في هذا؟**

* هذا هو جانب آخر من الجوانب المدهشة لرمضان: ذلك اللقاء الحميم، والنادر، بين الجدّ في أعلى وتائره، وبين الفرح والترفيه في صيغهما المتنوّعة... أليست هي حلقة من حلقات الدين الذي يعمل تحت شعار: « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل

(*) أجرى الحوار بالهاتف مندوب موقع ( إسلام أون لاين )، في الشارقة في خريف ( ٢٠٠١م ). ونشر على الموقع نفسه.

لآخرتك كأنك تموت غدًا » أليس الصائمون هم تلامذة وأتباع الرسول المعلّم ﷺ القائل: « **رَوِّحُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَإِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا كَلَّتْ عميت** »؟

أليس الصيام ممارسة تعبّدية في سياق دين يطلب من أتباعه التزين عند كل مسجد، والاستمتاع بطيبّات الحياة الدنيا: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾ [ الأعراف: ٣٢ ].

ثم ألم يعد الرسول ﷺ الصائم بفرحتين إحداهما عند الإفطار والأخرى عند لقاء اللّه؟

وبمرور الوقت انبثقت عن هذا التوافق الفريد بين الجدّ والترفيه جملة من الممارسات والتقاليد الاجتماعية والشعبية على مدى ديار العالم الإسلامي، منحت رمضان نكهة خاصة وجعلته يرتبط في ذاكرة المسلمين بالكثير من ممارسات الفرح واللعب والبهجة والترويح والغناء والأناشيد...

صحيح أن الإسلام يعتبر الحياة الدنيا رحلة عابرة ولكنه يجعلها رحلة طية مترعة بالتوافق والانسجام والفرح والسعادة... ويجيء رمضان لكي يعكس كالمرآة الصافية هذا كلّه...

**○ نريد أن نعرف شيئًا عن خبراتك الذاتية الخاصة حول رمضان، ولا سيّما في أيام الطفولة...**

* أعذب الخبرات وأجمل الذكريات... تتداعى عن هذا الشهر الكريم عندما يسترجع الإنسان ذكريات الطفولة المترعة بالفرح والبهجة والدهشة والاكتشاف...

لقد كانت لحظات انتظار الإفطار في سطوح المنازل العتيقة لسماع أصوات المؤذنين، من أسعد اللحظات... وكان الانكباب على الطعام والشراب بشهية عارمة، حلقة أخرى من حلقات الفرح والسعادة في أمسيات رمضان... أما الذهاب إلى مسجد الحيّ مع أولاد الحيّ لأداء صلاة التراويح حينًا، واللعب المتواصل حتى ساعة متأخرة من الليل حينًا آخر، فهذه مسائل يصعب وصف ما كانت تنطوي عليه من بهجة وسعادة...

ولن أنهي إجابتي الموجزة هذه قبل أن أشير إلى ما كنّا نمارسه نحن الصبيان من ( شقاوات ) عبر ليالي رمضان... كانت إحداها على سبيل المثال، تسلّق الجهات

الخلفية للعربات التي تجرّها الخيول، والانتقال بمتعة بالغة من شارع إلى شارع ومن حيّ إلى حيّ... رغم أننا كنا نتحمّل ضريبة باهظة بين الحين والحين... وذلك عندما يكتشف « العربجي » وجودنا فيعمل فينا سياطه القاسية... ومع ذلك كنا نستمرئ هذه السياط... فالمهم أننا ننتقل من مكان إلى مكان دون أن ندفع فلسًا واحدًا!!

**○ ما هي الانتصارات الكبيرة التي حققها المسلمون عبر هذا الشهر الكريم...**

* كثيرة جدًّا... ولكنني سأكتفي بالتأشير على أهمّها؛ مثل نزول الوحي ومعركة بدر في السنة الثانية للهجرة، وفتح مكة في السنة الثامنة، والعودة من غزوة تبوك في السنة التاسعة وفتح الأندلس في سنة ( ٩٢هـ ) وفتح عَمُّورية في سنة ( ٢٢١هـ ) ومعركة الزلّاقة في الأندلس سنة ( ٤٧٩هـ ) ومعركة عين جالوت في سنة ( ٦٥٨هـ ) والعبور الكبير في العاشر من رمضان سنة ( ١٩٧٣م ).

ثم... ها هو ذا رمضان الذي نعيشه عبر هذه الأيام يشهد اثنتين من أشد المعارك الجهادية عنفًا وضراوة في تاريخ الإسلام إحداهما في الساحة الفلسطينية والأخرى في أفغانستان... وإذا أردنا أن نتعلم شيئًا من التاريخ فهو أن انكسار الأمة الإسلامية في هذه الحلقة أو تلك لا يعني أبدًا هزيمتها... بل على العكس... تجيء هذه الانكسارات الموقوتة، محفزًا للمزيد من البذل والعطاء... والانتصار على العدوّ في نهاية الأمر...

إن اغتيال أبي هنّود وإخوانه قبل أيام قلائل سيبعث في الساحة الفلسطينية المجاهدة ألف أبي هنّود آخر... ولسوف ترى إسرائيل وإرهابيّها الجزّار ( شارون ) ما الذي سيحدث عبر الزمن القادم...

أما أفغانستان التي سبق وأن هزمت الإمبراطوريتين البريطانية والسوفياتية... فإن المستقبل القريب أو البعيد سيرينا ما الذي سيحدث للإمبراطورية الأمريكية... ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [ الرعد: ٤١ ]...

* * *
* *
*

## اللقاء التاسع عشر(*)

**○ هذا هو ملتقى البردة للأدب الإسلامي في دورته الثانية... هذا هو الحلم القديم المتجدد الذي كنت تحلم به قد نسجت خيوطه الأولى ليغدو بردة شريفة تظلل أفكارنا وأحاسيسنا ومشاعرنا التي يغزلها أدباء مجتمعنا شكلًا فنيًا مؤثرًا... ماذا تريد أن تقول له؟ بماذا ترغب أن تحدثه؟ لا بدّ أن في جعبتك الكثير الكثير تريد البوح به...**

* إنه - بحق - فرصة جيدة لتأكيد ظاهرة الأدب الإسلامي المتجذر في التراث، ولكنه في الوقت نفسه يمضي برؤيته المتميزة للكون والحياة والعالم والوجود والمصير، لكي يلتحم مع العصر، ويتطلع إلى المستقبل الذي يفيء فيه الإنسان إلى خيمة اللّٰه، ويخرج متحررًا حتى النخاع، من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة اللّٰه وحده.

إن الملتقى يمارس وظيفة مزدوجة تتمثل - في جانب منها - بتأكيد هذا الأدب، وإن لم يعد - بعد رحلة أربعين عامًا من العطاء الموصول - بحاجة إلى التأكيد. ومع ذلك فثمة شرائح واسعة من المعنيّين بالأدب، داخل الأكاديمية وخارجها، لا يكادون يعرفون عنه شيئًا، بل إن بعضهم يتنكر له، وثمة فئة ثالثة تناصبه العداء، لسبب أو آخر.

فبالحوار المفتوح... بتلاقي الأفكار وتلاقحها، بإدارة المنظور حول جوانب الظاهرة، كافة... بالإجابة على الأسئلة المعلقة بخصوص هذا الأدب المتميز والواعد... بعرض معطياته المتزايدة في سياقاتها التنظيرية والنقدية والدراسية والإبداعية على هؤلاء المعنيين... بهذا كله سيقدّر لهذا الأدب أن يقنع الآخرين بمغزى وجوده، وبالمساحة الواسعة التي أخذ يحتلها داخل الجامعة وخارجها... رغم أن هناك من سيظل يضع على الأذن شمعًا أحمر لكي لا ينصت جيدًا للخطاب الأدبي الإسلامي الذي يجيء هذا الملتقى، ومن قبله صنوه الأوّل، لكي يطرقا به سمع المثقفين والأدباء.

---

(*) أجرى الحوار بالموصل مندوب البردة للأدب الإسلامي، المنعقد في الموصل في ربيع (٢٠٠٢م). ونشر في أحد أعداد صحيفة الملتقى.

**○ ما هي آخر أعمالك الفنية أو النقدية؟ وماذا عن روايتك ( السيف والكلمة )؟**

* هنالك أعمال أدبية تم إنجازها عبر السنوات الأخيرة، وهي في سبيلها إلى النشر، من مثل ( الهمّ الكبير ) وهي مسرحية من أربعين مشهدًا تتناول الناصر صلاح الدين من زاوية درامية، ومسرحية ( التحقيق ) ذات الفصول الأربعة التي تتناول محنة المسلمين وتصفيتهم في الأندلس بعد سقوط آخر معاقلهم في غرناطة على يد فرديناند وإيزابيلا ومحاكم التحقيق، عبر واحدة من أبشع عمليات التصفية الجسدية والدينية والحضارية في التاريخ البشري.

وثمة مجموعة قصص قصيرة بعنوان ( رحلة الصعود التي لا نهاية لها )، ودراسة جمالية بعنوان: ( الكلمات: رؤية جمالية في فكر النورسي ).

أما الأعمال التي أنوي تنفيذها عبر السنوات القادمة - بمعونة اللّٰه سبحانه - فمن بينها: ( من يوميات الأدب الإسلامي ) وهي قراءات ومرثيات ومتابعات ورسائل وانطباعات ومقدمات لجملة من المسائل والإشكاليات والإصدارات في دائرة الأدب الإسلامي. هذا فضلًا عن المشروع الذي أحلم بإنجازه وهو ( السيرة الذاتية ). وأما رواية ( السيف والكلمة ) فقد أتممت إنجازها عبر أكثر من عشر سنوات من العمل المتقطع، وقد حاولت فيها أن أعتمد جملة من المطالب الفنية على مستوى اللغة، والأصوات، والفضاء، والبنية الروائية التي تعكس دراما سقوط بغداد على أيدي المغول... وقد تحدثت عن هذه المطالب الفنية للرواية في أماكن أخرى من هذه اللقاءات... فلا مبرّر للتكرار...

* * *
* *
*

# اللقاء العشرون (*)

○ **لنبدأ بالمسألة الأكثر إلحاحًا... الاحتلال الأمريكي للعراق.**

* إذا كان ثمة نموذج أو حالة تلتقي فيها سيئات الاستعمار القديم والإمبريالية ( أو الاستعمار الجديد ) فهي هذه التي ابتلي بها العراق.

فالاستعمار القديم كان يستهدف الابتزاز الاقتصادي بالدرجة الأولى، والاستعمار الجديد كان ينطوي على غزو ثقافي يستهدف تدمير ثوابت الشعوب التي ابتليت به.

ما يشهده العراق اليوم هو استلاب اقتصادي وثقافي في الوقت نفسه... حالة مركبة من السوء الذي قدر للعراق أن يتحمل ويلاته.

○ **هل يمكن لهذا الوضع أن يدوم؟**

* أبدًا... فنحن إذا استدعينا المنطوق العقدي أو الخبرة التاريخية فإننا سنجد أنفسنا أمام سنن وقوانين لا تسمح باستمرار واستلاب مدمر كهذا الذي يشهده العراق.

○ **يقال: إن هناك خططًا معلنة أو غير معلنة لتغيير المناهج الدراسية والتربوية، بما يخرج أجيالاً من العراقيين تمنح ولاءها للنموذج الثقافي الأمريكي القائم على التنمية المادية، والتكاثر بالأشياء، بعيدًا عن منظومة القيم الدينية والإنسانية والخلقية...**

* ما تقوله يكاد يكون حقيقة مؤكدة... ولقد بدأه اليهود ومن ورائهم أمريكا في تسعينيات القرن الماضي زمن التطبيع مع العدو الصهيوني؛ حيث جرت أكثر من محاولة لاختراق المناهج المعطاة في بعض البلدان العربية...

ها هي السلطة الأمريكية تتهيأ لكي تدس أنفها في مناهجنا لتحقيق الهدف المذكور...

○ **والعمل؟**

* إنها فرصة ممتازة أمام كل العراقيين الشرفاء لمجابهة التحدّي بالصيغ التي تُسْقِط المحاولة الماكرة...

---

(*) أجرى الحوار بالموصل رئيس تحرير جريدة ( فتى العراق ) الأخ الأستاذ أحمد سامي الجلبي، في أعقاب مأساة الاحتلال الأمريكي للعراق، ونشر في أحد أعداد الجريدة في صيف ( ٢٠٠٣م ).

إن الأساتذة والمدرسين والمعلمين والمحاضرين والأدباء والخطباء والوعاظ والمفكرين والإعلاميين، مدعوون من خلال مواقعهم لحماية ثوابت الأمة وقيمها الإسلامية من اختراق السرطان الأمريكي المبطن بالمكر اليهودي.

على هؤلاء جميعًا أن يُصَعِّدوا جهودهم إلى حدودها القصوى لقطع الطريق على المحاولة الهدامة. ويقينًا... فإننا سنخرج منتصرين عبر محنتنا هذه، إذا عرفنا كيف نتعامل بالجد والإخلاص المطلوبين...

**○ في هذا السياق أحب أن أسأل عن إمكان استمرار النظام العالمي الجديد ذي القطبية الأحادية حيث تنفرد أمريكا بمقدرات العالم...**

* إزاء الثوابت القرآنية... أي سنن اللَّه العاملة في التاريخ، ليس ثمة دوام لنظام كهذا... إننا نقرأ في كتاب اللَّه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [ آل عمران: ١٤٠ ]، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [ هود: ١١٨، ١١٩ ] ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [ البقرة: ٢٥١ ]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ الرعد: ٤١ ]... فنجد كيف أن كل المحاولات البشرية عرضة في نهاية الأمر للتآكل والزوال...

الأفكار الشمولية والدول الكبرى والإمبراطوريات العملاقة؛ كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي... وسيجيء الدور على النظام العالمي الجديد في الساحة الأمريكية التي يتصور المهزومون من ذوي النظر القصير أنها ستمسك بمقدرات العالم والبشرية إلى الأبد.

إن تنوع التاريخ واستعصاءه على المسطرة يجعل من النظام ذي القطبية الواحدة حالة استثنائية لن تدوم طويلًا... وأمرًا يكاد يكون مستحيلًا على الفترات الزمنية الطويلة نسبيًّا...

**○ وما موقع عالم الإسلام من هذا كله؟**

* إن الثغرة التي قد ينفذ منها الإسلام المحاصر ستتشكل، أو هي قد تشكلت فعلًا بحكم قوانين الحركة التاريخية التي طالما حدثنا عنها كتاب اللَّه... ومعنى هذا أن على عالم الإسلام اليوم ألا تذهب به الهزيمة النفسية إزاء التفرد الأمريكي إلى المدى،

وأن يبذل جهده لكي يتماسك وينهض، مستفيدًا من حالة الثنائيات الغربية المتولدة باستمرار... من الثغرات والممرات التي تفتحها في جدار الغالب، وقبل هذا من قدرات الإسلام الذاتية على كل المستويات النفسية والفكرية والاستراتيجية والاقتصادية، والحضارية في نهاية الأمر، وهي - بتميزها العقدي وعمقها التاريخي - ليست كلامًا يقال وأمانيَ تزجى، ولكنها فاعلية في صميم الصيرورة التاريخية، قديرة في حالة اعتماد الصيغ المدروسة والمحسوبِ حسابها، على أن تحمي الوجود الإسلامي من التفكك والذوبان، بل أن تمضي ثانية باتجاه مواقع أكثر تقدُّمًا على خرائط العالم المعاصر لكي تشارك في اتخاذ القرار وصياغة المصير.

**○ سؤال أخير: يتعلق ( بفتى العراق ) هذه المرة... هل تودُّ أن تقول شيئًا؟**

* تهنئة من القلب لعودة هذا الفارس المكافح الذي حمل أمانة الكلمة لعشرات السنين... وها هو يستأنف الدور عبر هذا المنعطف الخطير الذي يجتازه العراق الممتحن.

**○ وهل ثمة ذكريات ذات خصوصية تتعلق بهذه الجريدة الموصِليَّة؟**

* في عام ( ١٩٥٧م ) على ما أذكر كتبت ما اعتبرته أنا شخصيًّا قصيدة رغم أنها لا تكاد تحمل شيئًا من مطالب الشعر... وارتأيت أن أبعث بها إلى ( فتى العراق ) مدفوعًا بطموح مشروع، وأعتقد أن هذا من حقي...

ورحت أنتظر الجواب بشوق عارمٍ... وجاءني الجواب تعقيبًا من الأخ الأستاذ أحمد سامي الجلبي نفسه يقول فيه: إلى: عماد الدين خليل: قصيدتك ( !! ) لا تصلح للنشر... حاول أن تقرأ الكثير من الشعر من أجل أن تحسِّن أداءك...

عدت إلى البيت محمولًا على جناح فرح يصعب وصفه... قد تسألني: لماذا؟ والجواب: إن الأخ المحرر كان سخيًّا معي، باعتبار مقطوعتي تلك ( قصيدة ).

وكان هذا يومها يكفي... ولا زلت أحسد نفسي على فضيلة التواضع ذاك.

* * *
* *
*

# اللقاء الحادي والعشرون (*)

**○ لنبدأ بالسؤال عن فكرة تأسيس الرابطة وكيف تشكلت؟**

* رابطة الأدب الإسلامي رابطة عالمية، كما يدلّ عليها اسمها، وقد أعلنت في الهند قبل عشرين عامًا ( ١٩٨٤م ) برئاسة الأديب والمفكر الإسلامي الكبير أبي الحسن الندوي رَحِمَهُ اللهُ، وانتشرت مكانتها الإقليمية وفروعها في مختلف البلدان العربية والإسلامية. وسرعان ما راحت أنشطتها تتدفق في كل مكان: دراسة ونقدًا وتنظيرًا وإبداعًا، وهي في كل هذا كانت تعكس الرؤية الإسلامية للكون والوجود والحياة والإنسان والمصير.

وقد رأتْ ثلّة من الأدباء في العراق أنه قد آن الأوان لكي يكون فيه فرع للرابطة يحمل همومها على مستوى العراق... فشكلت لجنة تحضيرية في تموز الماضي ( ٢٠٠٣م ) دعت إلى عقد اجتماع للهيئة العامة وإجراء انتخابات للهيئة الإدارية وقد تم ذلك في أيلول الماضي، واتخذت الهيئة المذكورة مقرًا مؤقتًا لها في بناية ( رابطة العلماء ) ( في محلة النبي شيث ) وما لبثت أن بدأت عملها في قبول طلبات الانتساب، وترتيب جملة من الأنشطة الأدبية متمثلة - أوّل الأمر - بموسم ثقافي نصف شهري تقدم فيه الدراسة الأدبية والنقد التطبيقي ومحاولات التنظير، أو تقرأ نصوص إبداعية يتم التعقيب عليها ونقدها... ولعل الرابطة تمضي قدمًا، ووفق الإمكانات المتاحة، لإصدار مجلة خاصة بها، فضلًا عن عقد الندوات والملتقيات.

**○ لماذا الموصل بالذات؟**

* هذه حالة مؤقتة، فالمفروض أن يكون المقرّ في بغداد العاصمة، ولكن بما أن معظم أعضاء اللجنة التحضيرية والهيئة الإدارية، من أدباء الموصل، جرى الاتفاق على أن يكون المقر ها هنا، لحين توفّر الظروف الملائمة لتحويله إلى بغداد إن شاء اللّه.

أما المحافظات الأخرى ففي النيّة إقامة فروع فيها، وقد بدأت تتشكل في بعضها بفضل اللّه سبحانه وغيرة الأدباء الذين يحملون الهمّ الإسلامي في كل مكان.

(*) أجرى الحوار بالموصل مندوب عن ( رابطة الأدب الإسلامي العالمية ) في خريف ( ٢٠٠٣م ).

**○ ما هي المبادئ الأساسية للرابطة؟**

* عكست المادة الرابعة من النظام الداخلي للرابطة المبادئ التالية:

١ - الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الكون والحياة والإنسان على وفق التصوّر الإسلامي.

٢ - الأديب الإسلامي أديب ملتزم بفكر الإسلام وتعاليمه، ناهض بواجب الدعوة إلى الله وساعٍ لإقامة منهجه في الأرض، وأدبه هو ميدان تخصّصه وأداة خطابه.

٣ - العلاقة بين الشكل والمضمون في الأدب الإسلامي علاقة تكامل وتفاعل لا علاقة تضاد وتناقض.

٤ - القرآن الكريم هو المثال البياني للأديب الإسلامي.

**○ وما هي الأهداف؟**

* بإيجاز شديد، وكما نصت عليها المادة الخامسة للنظام الداخلي:

١ - التبشير بالأدب الإسلامي.

٢ - رسم الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي.

٣ - التأسيس لمنهج نقدي إسلامي.

٤ - الانطلاق بالأدب الإسلامي نحو آفاق عالمية.

٥ - العناية بالنتاج الأدبي الإسلامي والسعي لنشره.

٦ - كتابة تاريخ الأدب الإسلامي وفق رؤية إسلامية.

٧ - تعميق المعرفة بالتراث الإسلامي.

٨ - ضمان الحقوق المادية والمعنوية لأعضاء الرابطة.

**○ كلمة أخيرة من قبلكم...**

* بعدما يقرب من الأربعين عامًا على تشكل حركة الأدب الإسلامي المعاصر بالمواصفات والشروط التي صاغها الروّاد الأوائل، والتي تتمحور عند كونه تعبيرًا مؤثّرًا يعكس بجماليات الكلمة رؤية إسلامية للكون والوجود والإنسان... يتذكر البعض كيف كان المخاض عسيرًا، والنتاج شحيحًا لا يكاد يرى على خارطة المذاهب

والمعطيات الأدبية المهيمنة على الساحة. ومع القلّة والتعثر إنكار ملحوظ مارسه القريب والبعيد لحصار الظاهرة ووأدها.

لكنها بقوة الدوافع التي بعثتها إلى الوجود مضت تشق طريقها، وما لبث النبع أن راح يتدفق خصبًا وعطاءً، وهو يعِدُ بالمزيد. وأصبح لهذا الأدب حضوره الملحوظ في الساحة، وراح نتاجه يتزايد بصيغة متوالية هندسية قدمت للقارئ في كل مكان من عالم الإسلام عشرات ومئات وألوفًا من البحوث والمقالات والدراسات والكتب، ومثلها من الأعمال الإبداعية في سياق الأجناس الأدبية كافة.

كما أن هذا الأدب قدر على توظيف جُلّ الآليات والقنوات الممكنة لتحقيق حضوره وانتشاره: الإذاعة والتلفاز والكاسيت والفيديو والمجلة والصحيفة والندوة والمؤتمر والكتاب، فضلًا عن اختراقه جدران الأكاديمية واستقطاب أساتذة الأدب وطلبته، وإنجاز العشرات من رسائل البكالوريوس والدبلوم والماجستير والدكتوراه، تلك التي استقت موضوعاتها من نهره المتدفق دراسةً ونقدًا وتنظيرًا وإبداعًا.

وبمرور الوقت أخذ الأصدقاء والخصوم معًا، ممن كانوا لا يعترفون بشيء اسمه أدب إسلامي « معاصر » يسلّمون به على مضض، أو بقوة الاقتناع، ويقبلون تمثيله وحضوره في هذا المجال أو ذاك من مجالات الدراسة والبحث والخطاب.

إن الأدباء الإسلاميين وهم يدلفون إلى قرن جديد يجدون أنفسهم قبالة حركة متميزة تزداد تجذرًا وانتشارًا وعطاءً... وهذا يوجب عليهم المزيد من المسؤوليات ولا ريب، والتوقف بين الحين والحين لمراجعة الحساب، وممارسة النقد الذاتي، وتحديد النقائص والثغرات ثم مواصلة المسير بأكبر قدر ممكن من شروط الإتقان والإحسان، على مستويي الشكل والمضمون، من أجل التمكين لهذا الأدب في الأرض، وإقناع « الآخر » بأنه أدب سيستحق التقدير والاستمرار.

* * *
* *
*

# اللقاء الثاني والعشرون (*)

**○ فضيلة الدكتور لنبدأ بالمسيرة العلمية، كيف كانت البدايات؟ ومن هم مشايخكم الذين تلقيت عنهم العلم؟**

* البداية مع الكتاب... مع عشق الكتاب... مع كلمة ( اقرأ ) التي خوطب بها رسول اللَّه ﷺ لحظة تلقّيه الوحي أول مرة...

في اعتقادي أن المدرسة، والمؤسسة التعليمية الرسمية عمومًا، لا تكاد تعطي سوى أوّليات المعرفة، والذين يريدون أن يواصلوا المسير عليهم أن يلتحموا بالكتاب، فهو المدرسة الكبرى التي تُخرّج المثقفين والمفكرين والمبدعين والباحثين... مدرستي الأم هي الكتاب... ومؤلفو الكتب هم مشايخي الذين تعلمت على أيديهم...

**○ أكدت نصوص الشريعة على تزكية النفوس وأظهرت وقائع الأيام أن الداعية ما لم يأخذ حظه منها فهو في خطر عظيم، كيف تنظرون إلى هذا الموضوع؟**

* تحصين الذات، وتزكية النفس، جهد مؤكد في المشروع الإسلامي عبر تعامله مع الإنسان... وهي محاولة جاهدة للتسامي والصعود... للتفوّق على عوامل الشدّ والإعاقة... وذلك يتطلب جهدًا كبيرًا؛ ولذا سماها الرسول ﷺ الجهاد الأكبر.

إن المسلم هو مشروع دائم للصعود إلى أعلى، للتحوّل عبر محطات الإسلام فالإيمان فالتقوى وصولًا إلى الإحسان، وهو المرحلة القمة التي يجد المسلم نفسه فيها يمارس عبادة اللَّه سبحانه بمفهومها الشامل وكأنه يراه جلّ في علاه... وهذا يمنح المسلم، ليس فقط حماية للذات من اختراق الإغواء، والمكر الشيطاني، وإنما أيضًا قدرة متفوقة على الإبداع في كل ما يمارسه من عمل أو ينفذه من سلوك.

**○ الإحسان: أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هل يمكن القول بأن هذه الحالة ذوقية وجدانية؟ وكيف الوصول إليها؟**

* بالمجاهدة المتواصلة... بإعلان الحرب على كل صنوف المغريات وعوامل الشدّ

---

(*) أجرى الحوار في الموصل الدكتور الشيخ فيضي الفيضي رئيس تحرير مجلة ( الرباط ) ونشر في عددها الصادر في شتاء ( ٢٠٠٤م ).

والإعاقة... فهو الجهاد الأكبر كما سماه الرسول ﷺ وكما ذكرت قبل قليل.

إن الشيطان يقف لنا بالمرصاد في كل ركن أو منعطف يجري مجرى الدم في شراييننا... وما لم يكن كل واحد منا جرّاحًا متمرّسًا... لاستئصال نفثه الخبيث، فإن خرابه سيعشّش في نفوسنا وسينشر سرطانه في حجيراتنا... فالحذر... الحذر ...

**○ ما السرُّ اليوم في الضعف العام في جانب التزكية والإحسان؟**

* ليس فقط في جانب التزكية والإحسان، بل في معظم حلقات حياتنا الراهنة المترعة بالشروخ والانكسارات... فما لم نعش القرآن... نحياه... نلتحم بخطابه المؤثر البناء... يصير كل واحد منا قرآنًا يمشي على الأرض، كما الأجداد، ما لم نتلق تعاليم الرسول المعلم ﷺ كأمر ملزم لا خيار لنا فيه... فإن هذا الذي تسمّيه الضعف العام، سيظل يُحْكِمُ طوقه على أعناقنا.

**○ ننتقل فضيلة الدكتور إلى الحديث عن هموم الأمة بصورة عامة؛ فسفينة الأمة ترتطم اليوم بأمواج عاتية كالجبال، تتلاعب بها الرياح، حتى نخشى أن تهوي بنا في وادٍ سحيق. ما السبل التي تعيد للأمة ثباتها، وتحفظ عليها مسيرتها؟**

* الفقه الواعي للخطاب القرآني والنبوي، والإدراك البصير لمطالب العصر وتحدياته... والمحاولات الجادة للتبشير بالمشروع الإسلامي وإقناع الناس بالعمل من أجله، فهو مَرْكِبُ الإنقاذ الوحيد: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ ﴾ [ يوسف: ١٠٨ ] ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [ الأنعام: ١٥٣ ].

**○ يخطط الأعداء ويواصلون عمل الليل والنهار، ونهزم من الداخل كُلّما حقّقوا مُنجَزًا، ما الذي يعيد للشباب ثقتهم بقدراتهم على مواجهة أعتى قوى المكر العالمي؟**

* اليقين العميق بأن المستقبل لهذا الدين، بوعدٍ من الله سبحانه: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [ المجادلة: ٢١ ]... ولن يتحقق ذلك إلّا بالأخذ بالأسباب، أن ترجع الأمة إلى الوعي بمهمتها في هذا العالم: أمة وسطًا يشهد عليها رسول الله ﷺ وتتولى بدورها مسؤولية الشهادة على البشرية.

لقد أراد القرآن الكريم أن يضع هذه الأمة في بؤرة الفاعلية، من خلال مثلث

التسخير والاستخلاف والاستعمار ( بدلالته اللغوية وليست الاصطلاحية ): ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [ هود: ٦١ ]... عالم مسخر لنا، نحن الذين استخلفنا عليه، لكي نعمرّه ونطوره ونجعله بيئة صالحة لعبادة اللّٰه بمفهوم العبادة الشامل ذي البعد الحضاري، ولتنزيل منهج اللّٰه من أجل صياغة العالم وفق مطالب الوحي القادم من السماء.

لقد أراد لنا الخطاب القرآني أن نكون أمة من العدّائين تركض إلى أهدافها، وتعرف كيف تمسك بقوة العلم رقبة العالم، وكيف تخترق الكتلة، أو تلتحم بها، من أجل استخراج كنوزها واكتشاف سننها... ولن يتحقق الهدف من تسخير العالم، ومفهوم الاستخلاف عليه، واستعماره إلّا بالفاعلية في أقصى وتائرها...

لنتذكر بعض مفردات الخطاب القرآني في هذا الاتجاه: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [ البقرة: ٦٣ ]، ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [ مريم: ١٢ ]، ﴿ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾ [ الكهف: ٩٥ ]، ﴿ ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾ [ المائدة: ٢٣ ]، ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [ التوبة: ٤١ ]... والقرآن الكريم يصف المؤمنين بأنهم ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [ آل عمران: ١١٤ ].

وأنهم ﴿ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [ المؤمنون: ٦١ ]. وفي المقابل يدين القرآن الكريم التباطؤ والكسل والتثاقل الذي هو من سمات المنافقين ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ [ النساء: ٧٢ ]!! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ التوبة: ٣٨ ]...

وها هي ذي أمتنا المنكسرة تمارس التثاقل نفسه وهي تتعامل مع أية حلقة أو مفردة حضارية، وهذا ما يفسّر خروجها من التاريخ، وتضاؤل فاعليتها الحضارية.

**○ في الأمة مدارس تربوية وفكرية ونصّية ودعوية وسياسية ويعتز كل منتسب بمدرسته، ورغم أن الجميع يرفع شعار الوحدة، إلّا أنه عمليًا يعمل بمبدأ ( إما هذا أو ذاك ) وليس مبدأ ( هذا وذاك ). هل من كلمة توجّه إلى أرباب هذه المدارس لتكون سببًا في ترجمة شعار الوحدة إلى سلوك وممارسة؟**

* إنه سؤال ينطوي على جوابه... فإذا استطعنا أن نتحقق بمبدأ ( هذا وذاك )... إذا قبل كل منا ( الآخر ) في الساحة الإسلامية وتحاور معه بالجدل السمح والموعظة الحسنة، فإننا نكون قد وضعنا خطواتنا الأولى على الطريق الصحيح.

**○ أغلب المدارس قامت في عصر ما قبل العلمنة والعولمة، هل نحن بحاجة إلى مدارس جديدة وليدة طرف التحدي، أم نكتفي بالدعوة إلى تحديث أساليب المدارس المعروفة ليس إلّا...**

* لسنا بحاجة إلى مدارس جديدة وإنما إلى تفعيل وتحديث المدارس المعروفة، وكسر الحواجز التي تفصل بعضها عن بعض، ولمّ طاقاتها باتجاه الهدف الواحد والمصير المشترك... فإن العدسة اللامّة هي التي تحرق وتضيء... تحرق الدنس، وتضيء الطريق للمُدّلجين في الظلمات...

هذا إلى أن على هذه المدارس أن تكون في قلب العصر، واعية تمامًا بمطالبه وتحدياته، وطبيعة تكوينه التاريخي والفكري، من أجل أن تصوغ الأجوبة الملائمة لكل سؤال، وتمنح جماهير المسلمين معالم واضحة محددة تمكنهم من اجتياز عقابيل العصر بأكبر قدر من التبصّر، والقدرة على الاجتياز، والإسهام الفاعل في صياغة المصير.

**○ مصطلح الإسلاميين برز بقوة في القرن المنصرم، وكان ضرورة للمفاصلة بين المسلم صاحب القضية والمسلم الهامشي، واليوم نجد محاولات لجعل هذا المصطلح حاجزًا بين النخبة وعموم الأمة. فهل ثمة ضرورة للإبقاء عليه مع ملاحظة أن التيارات الأخرى من علمانية وقومية قد غيّرت أيديولوجيتها المطروحة في القرن المنصرم في مواقفها من الدين الإسلامي، وهل بتقديركم أن هذا التغيير تغيير استراتيجي موضوعي أم هو تغيير تكتيكي فني؟**

* هذان سؤالان وليسا سؤالًا واحدًا... **فأما أولهما** فيثير إشكالية تتعلق بالمصطلح... ابتداءً فإن المنتمين لهذا الدين صنفان: صنف محسوب على الإسلام بالمفهوم الجغرافي... قد يصلي ويصوم، وقد لا يلتزم حتى بمطالب العبادة... وصنف ملتزم والتزامه هذا يقوده إلى أن يكون صاحب رؤية وحامل هموم عقيدة، وهو في تعامله مع الإسلام يحقق المقاربة المطلوبة التي يستلزمها هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكًا ونشاطًا دعويًا... وثمة فرق كبير بين الصنفين. وأنا أسألك بدوري: ألا يتحتم أن نبحث عن مصطلح أو تسمية تميز هؤلاء عن أولئك؟ ولنفترض أننا ألغينا مفردة ( الإسلاميين ) بدعوى أنها تستفز المسلمين الهامشيين، فما هو البديل؟

وأما بخصوص السؤال الثاني فيصعب أن نتعامل بالمسطرة مع جميع الذين غيّروا مواقفهم من الإسلام: **علمانيين وقوميين ويساريين** وحتى شيوعيين... فهم ليسوا سواءً وفي سياق كل تيار منهم تكمن نيّات شتى. وأغلب الظن أن التغيير في إطاره الحزبي أو التنظيمي يميل في معظم الحالات لأن يكون تكتيكيًا، وهذا ما تؤكده دساتيرهم المعلنة، ولكنه في الإطار الفردي قد ينطوي على نيّات مخلصة ورغبات صادقة في الانتماء لهذا الدين في سياق تعبّدي صرف حينًا، وفي سياق عقدي شامل حينًا آخر.

والباب الإلهي يظل مفتوحًا على مصراعيه لكل الذين وجدوا في انتماءاتهم السابقة التواءً أو ضلالًا... فأرادوا أن يفيؤوا إلى هذا الدين وإلى مشروعه الذي أخذ يتبيّن أكثر فأكثر أنه المشروع الوحيد القادر على البقاء والاستمرار؛ لأنه من عند الله – سبحانه – الذي يعلم من خلق، وليس إفرازًا لنزوات الطواغيت والأرباب الوضعيين الذين يريدون أن يعبّدوا الناس لأنفسهم من دون الله...

* * *
* *
*

# اللقاء الثالث والعشرون (*)

○ **لا شك أنكم كأديب ومفكر عراقي قد تأثرتم بما يحدث في العراق، كيف ترون هذه المحنة؟**

* العراقيون متشبثون بوحدة أرضهم وبلادهم، وستكون الكارثة الكبرى لو مضت الخطة إلى آخر أمدها في تفكيك العراق، الذي عاش موحدًا لمئات السنين، وكان نقطة ارتكاز في العالم الإسلامي كله، في اتجاه المشرق والمغرب معًا، وتصورنا للمستقبل - ولا يعلم الغيب إلا اللَّه - أن هناك محاولات على درجات متفاوتة ما بين فيدرالية معقولة تمسك بالعراق موحدًا، وما بين نوع من التفكيك الذي يخشى أن يتحقق، ولا ندري إلى الآن ما الذي يدور داخل العقل الأمريكي بخصوص هذه المسألة... على المستوى الآخر، ولحسن الحظ فإن العراقيين استطاعوا أن يتجاوزوا كل محاولات إثارة فتنة طائفية أو عِرقية إثنية، وتمكنوا حتى الآن من الحفاظ على وحدتهم الاجتماعية من أي محاولة للاختراق؛ مما قد يقود إلى ويلات لا يعلمها إلا اللَّه.

○ **أضيفت المحنة العراقية إلى المحنة الفلسطينية... أنت - كمؤرخ - كيف ترى المستقبل؟**

* كما هو الحال في عالم الطبيعة وفي التاريخ البشري على السواء، كلما ادلهمت الظلمات، وزادت الخطوب، وكثرت المصائب والانكسارات بُشّرنا بانبلاج الفجر إن شاء اللَّه، بموقف قد يعيد الميزان إلى مكانه الطبيعي، ويُمَكِّن لهذه الأمة في الأرض، ويتيح لها أن تخرج أكثر قدرة على صياغة تاريخها... دائمًا الانهزامات تعلم، وكما لو استعرنا مصطلحات « توينبي » فإنها تحديات إذا تمت الاستجابة إليها بالشكل المطلوب فإنها تنقلنا إلى وضع أحسن بكثير مما كنا عليه في القرن الماضي، وهذه ثوابت قرآنية تعلمنا كيف أنه ليس ثمة انكسار للمسلم في هذا العالم إذا أحسن التعامل مع قوانين الحركة التاريخية، والتعلم من تراكم الخبرات، وقد حدث هذا للأمة الإسلامية واستطاعت أن تنهض مرة ومرتين وثلاثًا.

(*) أجرى الحوار في فاس بالمغرب مندوب مجلة ( المجتمع ) الكويتية، ونشر في عددها ( ١٦١٠ ) في صيف ( ٢٠٠٤م ).

**○ أنتم تعدون أحد النقاد البارزين في ساحة الأدب الإسلامي، وواكبتم هذه التجربة... كيف ترون وضعية هذا الأدب اليوم تنظيرًا وإبداعًا؟**

* الأدب الإسلامي قدَّم الكثير، ولكنه في معطياته الإبداعية والتنظيرية والنقدية والدراسية يحتاج إلى إعادة النظر في ملفه؛ من أجل تحقيق قدرٍ من التوازن المطلوب، فهناك طغيان وتفجر وعطاء زاخر في بعض السياقات، وهناك نضوب أو غياب في سياقات أخرى؛ يعني على سبيل المثال النقد التطبيقي محدود إلى حد كبير، للأسف الشديد لا يكاد يواكب النشاط الإبداعي، فنحن في حاجة إلى تحفيز نقادنا على أن يواصلوا بالجهد الممكن وفي الحدود القصوى متابعة ما يقدَّم من أعمال إبداعية؛ من أجل التغطية النقدية، وإعطاء المبدع الفرصة لكي يتلقى التوجيهات من الناقد، فنحن بحاجة إلى تحقيق التوازن بين النقد والإبداع.

**○ لكن كيف تفسر هذا الحضور الطاغي للشعر مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى، هل لكوننا أمة شاعرة بالدرجة الأولى؟!**

* نعم؛ لأننا أمة شاعرة أولًا، وثانيًا؛ لأن تراثنا الأدبي في أساسه وعموده الفقري تراث شعري إلى حد كبير، فنحن أبناء أولئك، وهذا أمر طبيعي، وثالثًا؛ لأن بعض الأجناس الأدبية ليست من صنع أيدينا، بل هي مستعارة من الغرب ( من الآخر )، وهي جديدة علينا، لم نتعرف عليها إلا قبل مائة سنة أو خمسين سنة أو أقل من هذا، فنحن بحاجة إلى فترة زمنية لكي تتمكن أيدينا من هذه الأجناس، هذا هو السبب الأساسي في نظري، ولكن المشكل أن الكثيرين من الذين يحملون الهمَّ الإسلامي يرون في مسألة الأدب والفن مسألة ترفيه... مسألة قد لا تحمل أي قيمة، يجب أن توضع جانبًا لحساب الأمور الفكرية والدراسية وغيرها من الأمور الجادة، هم ينسون أن الأدب خطاب على أكبر قدر من الشفافية والقدرة على التواصل مع الطرف الآخر، فنحن فرطنا في أداة ذات فاعلية عالية جدًّا.

**○ البعض يقول: إن حالة الأدب الإسلامي اليوم تشبه تقريبًا حالة أدب الحداثة أو الحداثة الثانية المتطرفة، أي كثرة التنظير والتبشير وقلة الإبداع... ما رأيك؟**

* على العكس مما تقول، نحن بحاجة إلى المزيد من التنظيرات، ولكن بشرط أن

نضع في حسابنا تحقيق التوازن المطلوب، نحن نحتاج إلى منهج للدراسة الأدبية وللنقد، المنهج غائب في بنيتنا النقدية الراهنة، فهنالك جوانب قد تحتاج إلى كثير من الجهد، ولكن يبقى أن التنظير والدراسة ضروريتان ضرورة بالغة؛ لكي تلاحق هذا الكم الهائل من بعض جوانب الإبداع والأجناس الأدبية.

**○ بعد عقود من ظهور الأدب الإسلامي، ما زال هذا الأدب ربما على الهامش... بماذا تفسرون الحصار المضروب عليه من قبل بعض الجهات الرسمية في العالم العربي، والدوائر الثقافية المختلفة، خاصة التي تنسب نفسها إلى الحداثة؟!**

* هذا صراع أبدي بين المعنيِّين بالأدب الإسلامي والعلمانيين، ويندرج كثير من الحداثيين في سياقهم، هو صراع أبدي كما كان صراعًا بين محمد ﷺ وأبي جهل؛ يعني صراع بين الرؤية الإسلامية والرؤية الوضعية الملتصقة بالأرض، التي لا تريد أن تمد يدها أو تتفهم على الأقل البعد الإنساني للخطاب الإسلامي، ويوم أن تدرك الجهات الأخرى أن الخطاب الإسلامي هو واحد من أكثر المعطيات شفافية وإنسانية، وأنه فضاء مفتوح قد تقلل من هذه الكراهية، ومن هذا الرفض لهذا الخطاب الذي يخدم غير المسلم نفسه.

**○ الملاحظ الآن أن الحداثة الأدبية والفنية وصلت إلى طريق مسدود، يتبين هذا من تراجع قراء هذه الموجة وعزلة أصحابها يومًا بعد آخر، لغياب أية قضية يحملونها أو يبشرون بها، لكن الأدب الإسلامي ما زال قاصرًا عن ملء الفراغ... هل المشكلة فيه أم في القارئ أم في صعوبة التواصل بين الطرفين؟**

* هذه هي المشكلة... قضية الحداثة... هي حلقة من سلسلة طويلة من المعطيات الوضعية في الغرب وفي الشرق، الذي يلاحق حتى الآن ما ينتج في الغرب، الغربيون ينكثون غزلهم بين الحين والحين، وترى بعضهم يضرب بعضًا، ويلاحق بعضهم بعضًا، ويحل بعضهم محل البعض الآخر، على المستوى السياسي والفكري والأدبي والثقافي والحضاري، لا تكاد تجد حالة واحدة، لا تستمر الوجودية إلى ما لا نهاية، ولا الشيوعية إلى ما لا نهاية، ولا النازية، فهي تنطفئ في نهاية الأمر.

ونحن نرى أن البنيوية جاء بعدها ما بعد البنيوية والتفكيكية، ولا تدري إلى أين

يتجهون؛ لأنهم لا يعتمدون على ثوابت كما نعتمد نحن، الفارق بيننا وبينهم أننا نرتكز في معطياتنا بما فيها الأدبية على ثوابت تحترم المتغيرات، ونضع أقدامنا على قواعد صلبة، آتية من عمقنا الإسلامي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما هم فيعتمدون على رؤى هذا الشخص أو ذاك، هذا الفيلسوف أو ذاك، هذا المفكر أو ذاك، وهؤلاء تنطوي معطياتهم على القصور والنسبية والزمنية، وتنطوي أيضًا على قدر كبير من الأهواء والظنون وتضخيم الذات على حساب الحقيقة، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣]، وكما نقول، علينا حقًّا أن ننتهز هذا الفراغ الذي تخلفه انكسارات معطياتهم، ليس على مستوى الأدب فحسب، بل كذلك على مستوى الثقافة أيضًا، لنملأه بالقدر المطلوب.

وفي رأيي أن الفراغ لن يملأ، واحترام الآخر لنا ولأدبنا لن يتحقق إلا إذا أعطينا أهمية بالغة للجوانب الفنية من أدبنا، الجوانب الشكلية أو الفنية أو الجمالية؛ لأن الكثيرين يتصوَّرون أن الأدب الإسلامي هو بمضامينه، والحال أن الأدب لن يكون أدبًا إلا بأن ينطوي على قدر كبير ملتحم بالمضمون من القيم الفنية.

**○ كَثُر الحديث في السنوات الأخيرة عن وضع نظرية نقدية عربية إسلامية، وأنتم كتبتم منذ زمن بعيد في هذا الاتجاه... ما ممكنات نجاح مثل هذا المشروع؟!**

* التنظيرات وضعت والحمد لله، هناك نحو سبعة أو ثمانية كتب وضعت رُبَّما، تعالج نظرية الأدب الإسلامي، تلم بأطراف الجهد الأدبي وتعطي رؤية إسلامية أصيلة لهذا الجهد... هذا موجود وهو يساهم في وضع نظرية نقدية إسلامية، وإنما القضية في المنهج الذي يعتمد آليات متفقًا عليها للتعامل مع الظاهرة الأدبية الممتدة في الزمان والمكان، والتعامل أيضًا مع النص الأدبي، ومحاولة اختراقه بأكبر قدر من الضبط.

**○ ما التحديات الكبيرة المطروحة على الأمة العربية والإسلامية اليوم، برأيكم ما الدور المطلوب القيام به من قبل المثقف والأديب والشاعر؟**

* هو دور مؤكد ومحتوم؛ من أجل أن يوصل رؤية هذه الأمة وخطابها إلى كل الأطراف الأخرى في هذا العالم؛ لكي يحفز ضمائرهم ويجعلهم ينظرون بعين أكثر

موضوعية وجدّية إلى قضايانا التي مال بها الميزان لصالح الطرف الآخر، واغتيلت حتى أعمق بُعد فيها، لم تتعرض أمة لاغتيال حقها المشروع، وحتى رؤيتها للحياة وحريتها في مفاصلها كافة كما تعرضت له هذه الأمة عبر الثلاثين أو الأربعين سنة الأخيرة.

الأديب في هذه الأمة صوت يحمل قدرة فائقة على إعادة وتقديم رؤية هذه الأمة للطرف الآخر؛ لعله يفتح ممرًّا إلى العقل والوجدان الغربيين... هذه مسألة، والمسألة الأخرى أن الإعلاميات المعاصرة والمعلوماتية الحديثة انفجرت انفجارًا كبيرًا، وتتطلب جهدًا أدبيًّا إبداعيًّا فائقًا؛ لكي يغزو الشاشة؛ الشاشة الآن في حاجة إلى المزيد من الأعمال المسرحية والتمثيلية والسينمائية والتلفازية والحوارات التي تُنْجَزُ بأيدي الأدباء الإسلاميين، وحينذاك نكون قد بدأنا بتحقيق المطلوب.

* * *
* *
*

# اللقاء الرابع والعشرون (*)

○ لماذا كلية العلوم الإسلامية؟

* مع بدء الفصل الدراسي الراهن ( ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م ) أعرب السيد رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور سعد اللّٰه توفيق عن ضرورة أن تكون هناك كلية للدراسات الإسلامية، بغض النظر عن العنوان الذي تحمله، وذلك أمر طبيعي، فليس ثمة جامعة على مدى عالم الإسلام تخلو من كلية تعنى بالعلوم الأكثر ارتباطًا بالخصوصيات العقدية والحضارية لهذه الأمة.

ومما زاد من التأكيد على ضرورة إنشاء كلية كهذه، النجاح الكبير الذي شهده قسم علوم القرآن في كلية التربية عبر السنوات الأخيرة، وإقبال العديد من الطلبة والطالبات والموظفين والشيوخ على الانخراط فيه، وكثير منهم من ذوي المعدّلات العالية. ولقد كانت محاولة إلغاء هذا القسم بمثابة صدمة لعدد كبير من أبناء المدينة الذين كانوا يتوقون لإكمال دراستهم في العلوم الإسلامية.

○ ومن الذي سيتولى وضع التأسيسات الأولى لهذه الكلية؟

* شكلت اللجنة المعنية بتقديم المقترحات والمرئيات الأولية للكلية من التدريسيين ذوي الخبرة بالدراسات القرآنية والإسلامية عمومًا، ومعظمهم من رؤساء الأقسام.

○ وهل هناك عدد كافٍ من التدريسيين لملء فراغ الأقسام المختلفة؟

* هنالك عدد ليس بالقليل من حملة الشهادات العليا وذوي الخبرة التدريسية في سياقات العلوم الإسلامية كافة ( العقيدة، القرآن الكريم، الحديث الشريف، أصول الفقه والفقه، والعلوم المساعدة ) وقد يفيضون عن الحاجة خاصة في المرحلة الأولى التي لا تتطلب عددًا كبيرًا، وقد يستعان مستقبلًا بأساتذة زائرين من الجامعات العراقية الأخرى لحين توفّر العدد الكافي من داخل المدينة.

---

(*) أجرى الحوار في الموصل مندوب صحيفة ( ومضات جامعية ) التي تصدرها جامعة الموصل، لغرض نشره في أحد أعدادها الصادرة في خريف ( ٢٠٠٤م ).

○ **وهل بمقدور الجامعة تغطية المصاريف التي يتطلبها إنشاء كلية كهذه؟**

* إلى حدّ كبير، ولا سيّما وأن المرحلة الأولى قد لا تتطلب من المستلزمات سوى ذلك الذي يمكن للجامعة، في المرحلة الراهنة، تحمّله...

○ **وما هي التخصصات التي ستُعْنَى بها هذه الكلية؟**

* سوف تضمّ الكلية - بإذن اللَّه - أربعة أقسام هي: أصول الدين، الشريعة، التاريخ والحضارة، الدعوة والإعلام.

○ **ومن الذي سيتولى وضع المقررات الأساسية لأقسام هذه الكلية؟**

* التدريسيون من ذوي الخبرات الجيدة، كل وفق تخصّصه، ولقد اقترحت اللجنة جملة من المقررات للأقسام الأربعة في مرحلتها الأولى، ولعل الخطوة التالية هي تكليف مجموعات من الباحثين باختيار أو إعداد أو تأليف الكتب المنهجية للمقرّرات المذكورة.

○ **وماذا عن شروط القبول؟**

* سيكون القبول في الكلية مفتوحًا لخريجي الأقسام الأدبية والعلمية والدراسات الإسلامية، وقد اقترحت اللجنة أن تكون الأفضلية لذوي المعدلات العالية، تجاوزًا لأخطاء الماضي في العديد من الجامعات؛ حيث تم قبول المستويات المتدنية، فيما أدى إلى تخريج عناصر لا تعكس بالشكل المطلوب الهدف الأساس لكليات كهذه...

○ **وهل سيستفاد من الخبرات العلمية والتدريسية من خارج الجامعة؟**

* حيثما تطلب الأمر واقتضت الحاجة، فإن جامعة الموصل ستعمل ما وسعها الجهد على الإفادة من الكفاءات التخصصية والتدريسية، ليس في الجامعات العراقية فحسب، بل ربما الجامعات العربية والإسلامية من خلال نظام الإعارة والأساتذة الزائرين... أسوة بما تفعله الجامعات الأخرى.

* * *
* *
*

## اللقاء الخامس والعشرون(*)

○ **ما هي – في رأيكم – التحديات التقنية التي تعتمدها العولمة؟**

* التقنيات – بشكل عام – معطيات محايدة، والتقاطع الذي يثيره السؤال لا يكمن فيها بالضرورة، وإنما في الخلفيات الشمولية التي توظفها أو تتحكم فيها. فإذا كان ثمة تقاطع فهو بين العولمة نفسها بوضعها الراهن الذي يستهدف اختراق الآخر، وفرض النموذج الغربي، والمصلحة الغربية، المتمركزين في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد زوال الاتحاد السوفياتي وانسحاب المركزية الأوربية إلى الساحة الأمريكية.

أما النموذج الغربي الذي تسخر له العولمة الثقافية، فهو نموذج مادي علماني، حُقِنَ عبر ربع القرن الأخير بالرؤية التوراتية ( الأسطورية ) الخاصة بنزول السيد المسيح عليه السلام في « إسرائيل »، فأصبح خليطًا فجًّا من الإلحاد والإيمان الأسطوري، وانحاز بالكلية إلى مطالب الادعاءات الصهيونية.

وأما المصلحة الغربية التي تسخر لها العولمة الاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية والسياسية، فهي تستهدف تفكيك الدول، وابتزاز الأمم والشعوب، وتسمين العجل الذهبي الأمريكي – اليهودي.

ها هنا في السياقين الثقافي ( وربما الديني المزيّف ) والاقتصادي، بآلياته العسكرية والسياسية يكون التقاطع، ليس فقط مع العقيدة الإسلامية، وإنما مع عالم الإسلام الذي يتعرض الآن، عبر معطيات العولمة، لواحدة من أبشع عمليات التفكيك والتدمير والابتزاز في تاريخ البشرية.

إن العولمة، لو أتيح لها أن تتحقق في عالم تحكمه قطبيات شتى، لكان الحال غير الحال، ولاستطاع عالم الإسلام أن يجد ممراته الممكنة للتوظيف والإفادة من ظاهرة اختزال الكرة الأرضية إلى قرية صغيرة، يمارس فيها التواصل السريع والمدهش على كل المستويات. ولكن الذي يحدث هو أن النظام العالمي الجديد ذا القطبية الأحادية

---

(*) أجرى الحوار في الموصل مندوب صحيفة ( ومضات جامعية ) التي تصدرها جامعة الموصل عبر جملة من الأسئلة وجهت إلى عدد من المعنيين. ونشر في أحد أعداد الصحيفة عام ( ٢٠٠٤م ).

يقود - بالضرورة - إلى تحويل الظاهرة إلى أداة ناجزة لخدمة القطب الأحادي الأمريكي، وجعل ضرع العالم يدرّ في فمه لكي يزيده غنًى وتمكنًا وجبروتًا، بينما العالم الثالث - وليس عالم الإسلام وحده - يئن من الجوع والمسغبة والابتزاز، ويخضع لواحدة من أبشع عمليات إفراغ الأمم والشعوب والدول من حيثياتها وخصوصياتها، بل ومن الحدود الدنيا لمصالحها كذلك.

**○ في الطرف الآخر... هل ثمة من فوائد تتمخض عن العولمة؟**

* بكل تأكيد، وبخاصة في مجال المعلوماتية والإعلامية؛ حيث الانفجار الأسطوري في تقنيات التواصل السريع، وتناقل المعلومات، ورفع الخطاب الإعلامي إلى ملايين الناس عبر اللحظة الواحدة.

ونحن نشهد يوميًا من خلال الزائر اليومي المتربّع في دورنا، ما يمكن للفضائيات والإنترنت أن يفعلاه، إنهما يفعلان الكثير، ويقدمان الكثير وهذا لحدّ ذاته يمثل تحدّيًا لكل المعنيين بالهمّ الإسلامي، وهو أن يحسنوا التوظيف، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لتغطية ساعات أكثر من الزمن التلفازي، لكي يطردوا بعملتهم الجيدة العملات الرديئة التي تغطي معظم القنوات، والتي تنفث سرطانها المسموم على كل المستويات وفي كل دار، وتدمّر بدقائق معدودات ما يمكن أن يبنيه الجهد التربوي في أشهر وسنوات...

نعم... مرة أخرى... فليس أمامنا خيار... وإن لم نحسن التوظيف خسرنا ما تبقّى من قِيمنا وثوابتنا... وبالعكس، فإن إدارة الصراع الثقافي بشكل جيد، وفي المساحة المتاحة لنا، يمكن أن يحقق الكثير.

**○ نريد المزيد من الإضاءات عن جوانب السوء؟!**

* المسألة، مرة أخرى، مسألة توظيف، فإن العولمة التي حوّلت العالم على امتداده إلى نادٍ صغير، تشكلت في أكثر حلقاتها فاعلية عبر ربع القرن الأخير، بعد زوال الاتحاد السوفياتي وانهيار العالم ذي القطبيات المتعددة، وتبلور النظام العالمي الجديد ذي القطبية الأحادية التي تتحكم بمقدرات الدنيا - من خلالها - دولة واحدة هي الإمبراطورية الأمريكية.

وزاد الأمر عنفًا وسعارًا أن هذا كلّه تزامن مع الحملة الشرسة التي تستهدف الإسلام والمسلمين، وبخاصة في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية، وواقعة الحادي عشر من أيلول، واحتلال أفغانستان والعراق.

فلو قُدّر للعولمة أن تتشكل في ظروف أخرى غير هذه الظروف... في عالم متكافئ تحكمه قطبيات شتى، ويسوده منطق الحوار بين المسلم والآخر، لكان يمكن أن يكون الحال غير الحال، وأن تصبح بعض حلقات العولمة، وليست العولمة على إطلاقها، فرصة للقبول، تمكن المسلم من أداء دوره، والأمة من التحقق بوظيفتها الكبرى المنوطة بها في العالم لإخراج البشرية من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة اللَّه وحده...

إن المشكلة « كونيّة » - كما يقول روجيه غارودي في ( وعود الإسلام ) - ولا بدّ للجواب أن يكون كونيًّا !!

* * *
* *
*

# اللقاء السادس والعشرون(*)

○ **جولة العمر في رحاب الفكر الإسلامي... ماذا أضافت إليكم من قناعات...؟**

* إن هذا الدين منهج حياة... ومشروع حضاري متميز... وإنه العقيدة الأعلى في هذا العالم والأكثر قدرة على مجابهة التحديات... والاستمرار ...

إن مقارنة الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكًا بأيٍّ من المذاهب الوضعية تُبيّن للإنسان كم أن الفارق كبير كبير... لقد تساقطت الواحدة تلو الأخرى وبقي هذا الدين وسيظل بإذن اللّه سبحانه يعِدُ بالكثير...

إن خلاص البشرية وخروجها من المأزق الذي تختنق فيه، كما يؤكد كبار المفكرين الغربيين أنفسهم، لن يكون إلّا بهذا الدين...

○ **النشأة والبداية والمسيرة أثرت وأعطت الكثير... فبماذا توصون الحركة الإسلامية النسائية المعاصرة؟**

* بالمزيد من الجهد والعطاء... وبالإصرار على مواصلة المسير... وبتحسين آليات العمل كما أمرنا اللّه ورسوله ﷺ... ولن يتحقق ذلك إلّا بنكران الذات وتجاوز ( الأنا ) والاندماج في التيار الأشمل والأكثر قدرة على العطاء ...

لقد رأيت المرأة المسلمة في المغرب والسودان وتركيا تملك حضورًا مدهشًا في قلب العمل الإسلامي... وشخصية تثير التقدير... وقدرة على العمل المتواصل تعد بالكثير...

والحمد للّه... فها هو العراق يشهد نشاطًا للمرأة المسلمة فيه لا يقل في نبضه ووتائره وخصبه عما تشهده البلدان الأخرى... وإن المرء ليرى بوضوح ما أنجزته وتنجزه الداعية الإسلامية في السياقات كافة دراسة وتدريسًا ونشاطًا دعويًا وبناءً للهيكليات العاملة وإقبالًا منقطع النظير على القراءة والتنمية المعرفية.

وإنني لأتذكر جيدًا كيف أنني كنت أدخل إلى محاضراتي في كلية الآداب بجامعة الموصل في أواخر الستينيات فلا أكاد أجد طالبة محجّبة واحدة... والآن فإن

(*) أجرت الحوار بالمراسلة محررة إحدى المجلات العراقية، ونشر في عام ( ٢٠٠٤م ).

أكثرية الطالبات في كل الشعب يرتدين الحجاب... هذا فضلًا عن الالتزام بالصلاة التي أصبحت أكثر انتشارًا بكثير مما كانت عليه يومذاك... أما الإقبال على الكتاب والمجلة فظاهرة تثير الإعجاب... هذا كلّه، وغيره كثير، يعد بحصاد كبير بإذن اللّه...

**○ كيف يمكن تجاوز معوّقات وعراقيل العمل الإسلامي؟**

* الجهد الإسلامي يمضي نحو الأمام من خلال صحوة إسلامية ممتدة من المغرب والجزائر وصولًا إلى تركيا وماليزيا. ولكن المشكلة أن هناك خطوطًا حمراء لا يسمح للحركات الإسلامية أن تتخطاها، سواء في السابق أو عبر اللحظات الراهنة، وإلّا تعرّضت إما للسكين أو للابتزاز، وإما لاغتيال حقوقها المشروعة بصيغة قد تكون لا أخلاقية كما حدث في الجزائر، أو ما حدث للرفاهيين في تركيا، ومع ذلك فأنا أكره تعليق هزائمنا وأخطائنا على مشاجب الآخرين.

**○ ما زالت نتائج العمل الإسلامي دون المطلوب... ما هو السبب في رأيك؟**

* الحركات الإسلامية كانت توقف من قبل قوى هي فوق طاقتها من أجل ألّا تمضي لتحقيق مكاسبها ومشروعها الحضاري... من جهة أخرى يمكن أن ترجع المشكلة إلى أخطاء تلك الحركات. وكما قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [ آل عمران: ١٦٥ ] و ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [ النساء: ١٢٣ ]. ولقد تعاملنا مع قضايانا بمنطوق غير منطوق اللحظة التاريخية التي يتطلبها الواقع، فعندما كان الواقع يتطلب أمرًا كنا يومها غافلين عنه، وعلى سبيل المثال: عندما كانت هناك حالات تتطلب جهدًا تربويًّا مارسنا فيها صراعًا مسلّحًا، أو حالات تتطلب بناءً روحيًّا مارسنا فيها جهدًا سياسيًّا عبر ما يسمى هامش الديمقراطية، فلم ننتبه إلى التغيرات التي تحدث في الواقع، بمعنى أننا نزلّنا قوالب جاهزة على واقعنا دون أن نراعي ظروف هذا الواقع وملابساته، وهذا لا يجوز؛ لأن لكل واقع مطالب تختلف باختلاف معطيات الواقع نفسه.

**○ الملاحظ أن التراكمات المترتبة على هذه الأخطاء ولّدت فئة في العمل الإسلامي مارست عملية النقد، والبعض سمى هذا النقد ( جَلْدَ الذات )... ألا يحق لنا النقد بعد كل هذا الذي حدث؟**

* أنا لا أسمّيه جَلْدًا للذات، وإنما نقدًا ذاتيًّا، ولا بدّ بين مرحلة وأخرى أن نتوقف

لحصر الأخطاء وتحديدها من أجل تقديم العلاج المناسب لها، أما هذه الفئة الساخطة على العمل الإسلامي فهي مخطئة بكل تأكيد؛ لأن هذا العمل أرغم في العديد من الدول على عدم المضي إلى أهدافه المشروعة بسبب غياب التكافؤ في القوى.

**○ هل كتبتم شيئًا في هذه الإشكالية؟**

* نعم، كتبت مقالًا صدر في إحدى المجلّات وتضمّنه كتاب نشرته دار الحكمة في لندن قبل سنتين بعنوان ( متابعات إسلامية في هموم الدعوة والتحديات المعاصرة ).

**○ سؤال أخير قد يكون تقليديًّا: ماذا تعني لك هذه الكلمات... وباختصار شديد... « كلمة وغطاها » كما يقولون:**

**○ التاريخ؟**

* هو الماضي والحاضر والمستقبل... فالتاريخ كله كما يقول الفيلسوف الإيطالي كروتشه « تاريخ معاصر ».

ومن قبل كسر القرآن الكريم حاجز الزمن بين المراحل الثلاث من أجل أن يضع الإنسان قبالة بانوراما الفناء التي تذوب فيها الأزمان وتتلاشى ويغيب كل شيء... يصفرّ ويتيبّس ويصير حطامًا... لكي لا يتبقى سوى وجه اللّٰه ذي الجلال...

**○ الفن؟**

* في اللحظات الراهنة يصير أكثر إلزامًا؛ لأن صوت الميكانيك الذي لا يرحم يحاصرنا من كل مكان...

**○ الطفولة؟**

* مشروع الاكتشاف اليومي... والرحلة العذبة المترعة بالدهشة والبراءة والفرح.

**○ النور؟**

* لحظات الدُّفق الإلهي المدهش على رسول اللّٰه ﷺ وهو يتلقى التعاليم... ماذا لو كانت الحياة الدنيا دهليزًا مظلمًا بدون قرآن منير يهدي الحيارى، ويمسح على قلوب المحزونين ويهب الصراط وسط عالم مزقته الطرق المعوجة واستعبدته شرائع كِسرى وقَيصر... أكانت الحياة تستحق أن تعاش؟

○ **الشباب؟**

* الحلْم باليوم الذي يصير فيه الطُّموح واقعًا مشهودًا... والسؤال الذي يتصادى صباح مساء، أتراه يكون؟

○ **الدكتوراه؟**

* مجرد محطة متواضعة للوصول إلى محطات أخرى أغزر عطاءً...

* * *
* *
*

# اللقاء السابع والعشرون(*)

○ **ما مقترحاتكم لتفعيل العمل الإسلامي؟**

* **أولًا: في الإعلام:**

للإعلام دور مميز في التعامل مع الحقائق ومن الممكن استخدامه من قبل الخصوم بصيغ ملتوية خبيثة تقلب الحقائق وتجعل الأبيض أسود وبالعكس. وثمة بعض الملاحظات في هذه المسألة:

١ - التأكيد في الخطاب الإسلامي ( عبر المنابر والصحف والندوات ) على أكثر الإحصائيات السكانية... دقة وحداثة ( وذلك دون استفزاز الطرف الآخر ).

٢ - تحقيق حضور إعلامي في الفضائيات العربية، وبخاصة « الجزيرة » والإفادة من وجود ممثلها ذي التوجه الإسلامي في بغداد، واعتبار الأمر تكليفًا وليس بحثًا عن الظهور.

٣ - إنشاء مجموعة أو شبكة متخصصة بمتابعة الصحف ووكالات الأنباء والفضائيات لمعرفة أفعال الأطراف الأخرى وردود أفعالها تجاه العمل الإسلامي، وجمع المعلومات السياسية والاقتصادية والثقافية لرفد القيادات الإسلامية ببيانات يومية مستمرة.

٤ - محاولة توظيف الوقائع لخدمة العمل الإسلامي وفق رؤية سياسية ذكية تعرف كيف تجعل الأرباح أكثر من الخسائر.

٥ - متابعة هموم الناس اليومية ومشاكلهم والمطالبة الملحّة بملاحقتها.

* **ثانيًا: في الاقتصاد:**

١ - تفعيل الفرص الإسلامية التي أفرغت من محتواها عبر قرون التخلّف، وبخاصة الوقف الإسلامي، والسعي لإعادة شرط الواقف على نطاق العراق، فإن

---

(*) في شتاء عام ( ٢٠٠٥م ) وجه إلى عدد من المعنيين بالهم الفكري والدعوي سؤال بخصوص مقترحات لتفعيل العمل الإسلامي فكان هذا الجواب الموجز.

لم يتحقق ذلك فعلى مستوى المحافظات ( ويمكن التذكير بالتجربة التركية في قدرتها على توظيف الوقف في وتائره العليا ).

٢ - تفعيل الزكاة وبرمجة توظيفها عبر إنشاء مجموعة حسبة اختيارية لمن أراد أن يدفع الزكاة وفق هذا الطريق ( ويمكن التذكير بما فعلته وتفعله أخماس الشيعة في خدمة أهدافهم العامة ).

* **ثالثًا: في التعليم:**

١ - العمل على إنشاء مكتبة وقفية تستقبل كل المكتبات الخاصة لمن يرغب في وقفها وهم كثيرون.

٢ - ربط بعض الجوامع المهمة بمدارس خاصة بها وتغطية نفقاتها من الوقف أو من المتبرعين، والمشاركة الفاعلة في مجالس إدارة هذه المدارس وتصميم مناهجها بما يحقق التوازن بين المعرفتين الإسلامية والإنسانية المعاصرة.

* **رابعًا: في التنظيم:**

١ - إعانة العناصر الإسلامية القيادية بتنمية خبراتهم التنظيمية والسياسية والدعوية عبر زيارات دورية للأحزاب الإسلامية في البلدان المجاورة.

٢ - الاطلاع المعمّق على خبرات الأحزاب العراقية التاريخية والمعاصرة للإفادة من خبراتها ولرسم سياسات التعامل معها بشكل أكثر دقة وإحكامًا.

* * *
* *
*

# اللقاء الثامن والعشرون(*)

○ **نود إلقاء الضوء على مستوى الجريدة.**

* بعد مرور سنة على صدور « البصائر » التي كانت بمثابة ضرورة تاريخية في الساحة العراقية، ملأت فراغًا ملحًا، وحققت الكثير للخطاب الإسلامي في سياقه الإعلامي، يمكن القول أنها نفذت إلى حدّ طيب استجابة ناجحة لما كان القراء والمتابعون، وحملة هموم الأمة عامة، والشعب العراقي بشكل خاص، يرجونه ويتوقعونه منها... كما أنها انطوت على قدر طيب من التنويع والتغطية المتكافئة لجوانب العمل الصحفي الناجع كافة. فهنالك الخبر، والتحليل، والتعليق، والتحقيق، والمقال، ومتابعة قضايا العلم والاقتصاد والمرأة والإبداع...

والذي يتابع أبوابها الثابتة من مثل: ( المدارات، أخبار العالم، تقارير، آراء، تحقيقات، اقتصادية وعلمية، فتاوى، دراسات شرعية، المرأة المسلمة، مرافئ الإبداع، استراحة... ) يتأكد له ذلك.

وبما أن الجريدة تصدر في العراق، فإن المساحة الأوسع المعطاة للحدث العراقي، فضلًا عن ( القلم ) العراقي، أمرٌ طبيعي تمامًا، يؤكد نجاحها الوظيفي، رغم أنها تقصّر - أحيانًا - في تحقيق التغطية المطلوبة لأنشطة الهيئة في المحافظات كافة، وبخاصة ( الموصل ).

ثمة ملاحظة يمكن تقديمها للأخوة القائمين على تحريرها، وهي أن تكون بين أيديهم شبكة اتصالات أكثر فاعلية مع قادة الفكر والرأي وكبار الباحثين والإعلاميين، داخل العراق وخارجه، لكسب أقلامهم، وإغناء الجريدة بمعطياتهم الخصبة ذات القاعدة الواسعة من القراء.

ففي هذا الجانب تعاني ( البصائر ) من قدر ملحوظ من الفقر نرجو أن يتدارك

---

(*) جوابًا على سؤال مندوب جريدة ( البصائر ) العراقية بخصوص إبداء الرأي حول مستوى الجريدة... في ربيع ( ٢٠٠٥م ).

مستقبلًا في زمن التواصل الميسّر والسريع... وفي عصر تسابق الصُّحف والمجلّات إلى كسب الأقلام المؤثرة التي تمنحها ثقلًا وانتشارًا.

* * *
* *
*

# اللقاء التاسع والعشرون(*)

تعد المكتبات الشخصية أو المكتبات الخاصة، من المكتبات ذات الأهمية التاريخية، سيما أنها اعتبرت تراثًا حضاريًا في تاريخ المكتبات؛ فقد ظهرت رغبة لدى بعض القراء في اقتناء الكتب سواءً عن طريق الشراء، أو التي تأتيهم عن طريق الإهداء؛ حيث كثر لديهم العديد من الكتب وتحوّلت منازلهم وغرفهم إلى مكتبات شخصية ضمت العديد من الكتب المتنوعة والنادرة، ومن هؤلاء المقتنين الأساتذة الجامعيون. وقد اشتهر العديد منهم بوجود كتب متنوعة ونادرة في بيوتهم، وقد زارها العديد من المستعيرين واستفادوا من تلك الكتب في كتابة بحوثهم، ومن بين هؤلاء الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل؛ حيث ألقينا الضوء على مكتبته الشخصية، وكان لنا معه هذا الحوار: -

**○ أوّل مكتبة في حياتك؟**

* في صندوق معدني يدعو للرثاء تشكلت نواة مكتبتي الأولى: ( النظرات ) للمنفلوطي و ( السحاب الأحمر ) للرافعي و ( شجرة اللبلاب ) لمحمد عبد الحليم عبد الله و ( من هناك ) لطه حسين و ( جميل بثينة ) للعقاد.

كانت الإمكانيات محدودة، وكان شراء الكتاب - على رخصه في الخمسينيات - يعني التضحية بجانب من مصروفنا اليومي... لكن الفرحة به أمر يصعب التعبير عنه، وهي تستحق التضحية بكل تأكيد.

بعدها، وبحكم التحاقي بكلية التربية في جامعة بغداد، ومن ثم بمعهد الدراسات العليا في الجامعة نفسها، وجدتني مضطرًا لشراء كم لا بأس به من المصادر والمراجع التي تعينني في مجال تخصصي... جنبًا إلى جنب مع نهمي الذي لا يرتوي للشعر والمسرحية والقصة والرواية والمقالة والسيرة الذاتية... وحينذاك كان لا بد من مغادرة مكتبتي الأولى، ذلك الصندوق المعدني البائس، إلى مكتبة خشبية أنيقة اعتبرتها

---

(*) أجرى الحوار في الموصل الأخ عمر أحمد سعيد لغرض نشره في إحدى صحف جامعة الموصل تحت عنوان « معهم في مكتباتهم الشخصية » في تشرين الثاني ( ٢٠٠٥م ).

يومذاك نقلة نوعية في حياتي... فيما بعد، وعبر العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي، أخذت الكتب تتدفق على مكتبتي التي ازدادت اتساعًا لكي تستوعب هذا العدد الكبير، وكان يغذيها تياران أساسيان: الشراء الشخصي الذي كان يتم بصيغة حملات دورية لشراء مجموعات كبيرة من الكتب، والإهداءات التي كانت تتدفق عليَّ عبر رحلاتي إلى خارج العراق، وهي تشكل مساحة كبيرة من محتويات مكتبتي، كما أنني أحمل إزاءها تقديرًا واعتزازًا بالِغَين؛ إذ إن كل واحد من هذه الكتب المهداة يتضمن توقيع المؤلف مع عبارة ذات خصوصية وطعم متميز.

واليوم انعكست حالة التقشف التي عانيت منها في الخمسينيات، فالجدران غطتها المكتبات الخشبية التي لم تعد تستوعب المزيد؛ ولهذا اضطررت إلى وضع خطين من الكتب في كل رف، ومعنى هذا أنني حكمت على الخط الخلفي فيما يشبه الإعدام، وبما أنني لم أعتد أن أردّ طلب أي مستعير على الإطلاق فلك أن تتصور مدى معاناتي وأنا أبحث عن المطلوب.

**○ الكتب التي احتوتها مكتبتك، ما هي؟ وهل تتضمن بعض المخطوطات؟**

* ما تحتويه مكتبتي يندرج في سياقات ثلاثة: التاريخ بما فيه الحضارة وفلسفة التاريخ والفهارس، ثم الفكر، فالأدب. وقد خصصت لكل واحد من هذه السياقات مكتبة مستقلة لكي يسهل الرجوع إلى محتوياتها، قدر الإمكان. ولا يوجد في هذه السياقات أية مخطوطة، ولكن فيها بعض الطبعات التي تتميز بأناقة فائقة، وتصلح أن تكون ( مزهريات ) لتزيين البيت.

**○ مكتبتك هذه هل تغطي حاجتك في كتابة البحوث دون الرجوع إلى المكتبات العامة أو الخاصة؟**

* كلا بطبيعة الحال، فالعلم لا شطآن له والمكتبات الشخصية لها حدود... ومع ذلك فهي تعينني كثيرًا في إنجاز بعض الأعمال دون اللجوء إلى المكتبات، فيما يوفر عليّ جهدًا ووقتًا كبيرين.

**○ وهل ثمة تصنيف معين لمكتبتك هذه؟**

* لا يوجد تصنيف معين لهذه الكتب سوى تفريقها إلى سياقات ثلاثة كما سبق

وأن أشرت. وقد أخطأت خطأً كبيرًا في عدم تثبيت اسمي على هذه الكتب فيما يجعلها - أحيانًا - تذهب فلا ترجع.

**○ وهل ثمة من يستعير من مكتبتك؟**

* مكتبتي المتواضعة مشاعة لطلبتي وأصدقائي، ولا أذكر أني رددت أحدًا طلب مني استعارة هذا الكتاب أو ذاك. وكنت أحمل هذه المجموعة أو تلك من الكتب لكي أعيرها للآخرين، معتقدًا أن عدم تقديم الكتاب المتوفر لأصحاب الحاجة هو أسوأ أنواع الأثرة والأنانية. وأتذكر دائمًا الآية الكريمة في هذا المجال: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [ الضحى: ١٠ ]. فهو الإحساس بالتأثُّم - إذن - إذا امتنعت عن الاستجابة... ولكن مشكلتي الأخرى أنني لا أسجل كل ما أعيره على قوائم خاصة بسبب زحمة مشاغلي... وقد استغل ذوو الأخلاق الرفيعة عدم مطالبتي بإعادة الكتب فاحتفظوا بها لأنفسهم... وأتذكر ها هنا تلك المقولة الملفوفة التي يتداولها من اكتووا بنار المستعيرين: « مجنون من يُعِيْر كتابًا وأكثر جُنونًا من يرده إلى صاحبه ».

**○ هل تملك نسخة من كل الكتب والأبحاث التي أنجزتها؟**

* أحاول أن أحتفظ بصعوبة بالغة بنسختين أو ثلاث من كل كتاب ينشر لي، للرجوع إليها عند الحاجة، ولكن حتى هذه لا تسلم من التسرّب. وطالما نصحت أصدقائي أن يضعوا في دُورهم خزانة حديدية كتلك المخصصة للنقود لكي يحموا بها بقايا النسخ من الضياع.

**○ هل تشترط على المستعيرين شيئًا غير إعادة الكتاب؟**

* أُلحُّ عليهم وأتوسلّ بهم أن يعيدوا لي الكتاب أنيقًا كما تسلموه مني أنيقًا، ومن عادتي أن يظل الكتاب عندي عشرات السنين ويبقى كيوم ولدته أمه... ومن المستعيرين من يعيد الكتاب حتى لو بقي عنده يومًا واحدًا وقد التوت زوايا غلافه ففقد أناقته... إنه الطبع الذي يغلب التطبع فليس معهم دواء!!

**○ وهل الكتب التي تحتويها مكتبتك هي نفسها الموجودة في المكتبات الجامعية والعامة أم أن بعضها نادر ولا تجده هناك؟**

* بالتأكيد، فهنالك العديد من الكتب تكرر نفسها في المكتبات العامة والجامعية،

ولكن الكثير منها أيضًا لا يتوفر هناك، وبخاصة تلك التي كنت أجلبها معي عبر رحلاتي المتعددة أو التي تهدى إلي من بلدان العالم المختلفة.

**○ كم يبلغ عدد الكتب الموجودة في مكتبتك الشخصية؟**

* ما يقارب حوالي ٥٠٠٠ إلى ٥٥٠٠ كتاب.

**○ هل تقرأ كل كتاب تقتنيه أم تكتفي بتصفح محتوياته والعودة إليه عند الضرورة؟**

* دعيٌّ من يقول بأنه يقرأ كل ما يقتني، إنما الكتب المقتناة ثلاثة بعضها يقرأ من الغلاف إلى الغلاف، وبعضها يُرْجَع إليه عند الضرورات الدراسية والبحثية، وبعضها الآخر ينتظر الدور وقد لا يأتيه أبدًا...

**البدايات الأولى:**

**○ متى أمسكت القلم أول مرة وبدأت الكتابة:**

* ربيع عام ( ١٩٥٦م ) تحديدًا؛ حيث كتبت أولى قصائدي... في السنتين التاليتين ( وكنت طالبًا في الثانوية ) كتبت بحثًا موسَّعًا أسميته ( فلسفة التوازن في الإسلام )، فضلًا عن عدد من القصائد والقصص والمقالات.

**○ كيف هي العلاقة بين القراءة والكتابة عندك؟**

* القراءة أولًا، بطبيعة الحال، فهي التي تشكل الفضاء المعرفي والفني لدى الباحث والأديب، وهي بإضافتها إلى الموهبة والدافع الذاتي تقود بالضرورة إلى النزوع للكتابة... وتظل القراءة على مدى سنوات العمر هي الوقود الذي يشعل فتيلة الإبداع لدى الكاتب... فلا كتابة بدون قراءة واسعة ومتنوعة وعميقة... ومن الخطأ المتعارف عليه أن يكتب الإنسان أكثر مما يقرأ؛ إذ إن هذه المعادلة المعكوسة ستقوده إلى التضحل.

**○ الوقت المخصص للقراءة... نهارًا أم ليلًا وفي أي ساعة؟؟**

* ليس ثمة وقت محدد للقراءة والكتابة... والثانية ليست انتظارًا للإلهام الشعري، ولكنها - جنبًا إلى جنب مع القراءة - جهد يومي موصول يحاول ما وسعه الجهد توظيف أكبر قدر ممكن من ساعات الليل والنهار للتعامل مع الاثنتين: القراءة والكتابة.

الأدب والدراسات الأكاديمية:

**○ هل بدأت بالأدب أم التاريخ؟... وهل تعتقد بأن التاريخ أدب أم علم؟ وأين تجد نفسك أكثر؟؟**

* بدأت الكتابة – ولا أزال – مع الأدب والفكر والتاريخ، ونسجت أعمالي على مدى خمسين عامًا في السياقات الثلاثة... وبحكم تخصصي تعاملت مع البحوث الأكاديمية كما لو كانت همي الأول... ومع ذلك، وبسبب من تكويني الذاتي وطبيعة قراءاتي، واصلت العمل وبالاندفاع نفسه، في حقلي الفكر والأدب تنظيرًا ونقدًا وإبداعًا.

لدي بعض المآخذ على الأكاديميين الذين اعتقلوا أنفسهم في زنزانة التخصص... وقد حاولت في كتاباتي أن أخاطب الشرائح كافة: الحلقات التخصصية والحلقات الثقافية الأكثر اتساعًا... والمهم أن يملك الكاتب ( اللغة ) أو ( الأسلوب ) الذي يعينه على الأداء المقنع في أي حقل من الحقول.

وليس ثمة من يجادل في أن التاريخ علم، وأنه ينسج حيثياته في ساحة تختلف في شروطها ومواصفاتها عن ساحة الأدب... ومع ذلك فإن ( لغة ) المؤرخ، أو أسلوبه بعبارة أدق، تمارس دورًا خطيرًا في كسب جماهير القراء... وللأسف فإن العديد من المختصِّين في التاريخ لا يملكون هذا الأسلوب فيخسرون المساحة الأوسع من القراء.

التأليف والتنقيح:

**○ هل تعود لتنقيح أعمالك؟ وهل يعينك أو يشاركك آخرون في ذلك؟؟**

* في ديارنا، المؤلف وحده هو من يقوم بعبء إنجاز ( الكتاب ) بدءًا من تشكيل أفكاره الأولى وانتهاءً بتسليمه للناشر... هنالك بالتأكيد من يطلب معاونة الآخرين فيخفف شيئًا من هذا العبء... ولكن بقدر تعلق الأمر بي، فإنني لم أحاول يومًا أن أستدعي الآخرين لمعاونتي؛ لأن ذلك يربكني، كما أنني لا أستطيع أن أتخيّل كتابة سطر واحد مُنَزَّل بصورة مباشرة على الآلة الكاتبة وجاهز للطبع... لا بد من المُسودة أولًا، والتي كثيرًا ما تتعرض للتغيير والتبديل والزيادة والنقصان وإعادة التشكيل، حتى تبلغ درجة القناعة الكافية... وأقول ( الكافية ) وليست ( المطلقة ) أو ( النهائية )؛ لأن

هذا مستحيل، وكل بني آدم يؤخذ منهم ويرّد عليهم إلّا رسول اللّه ﷺ كما يقول الإمام ( مالك )... ثمة شيء واحد تغير بظهور ( الكمبيوتر )، وهو أننا أصبحنا نقدم أعمالنا للناشرين مطبوعة ومنقحة، وهذا قلل إلى حدّ كبير من حشود الأخطاء المطبعية التي كان يعاني منها الكتاب المنشور فيضيف جهدًا آخر إلى هموم المؤلف.

النشر وعلاقته بالناشرين:

**○ هل ينتهي دور المؤلف بإنجاز الكتاب؟... أم أن هناك مطالب أخرى يتحتم عليه ملاحقتها؟**

* البحث عن الناشر المناسب عبء آخر يقع على عاتق المؤلِّفين... عشرات المرات وأنا أغادر العراق لتسليم عصارة جهدي لليد الحانية، كي تخرجه للناس بأقل قدر ممكن من الأخطاء، وكيف تمارس مهمة توزيعه على أكبر عدد من البلدان... وهنالك مشكلة أخرى إنها الحقوق المالية للمؤلف، وهذه مسألة تتطلب وقفة طويلة لا يسمح بها حوار كهذا.

**○ ما هو سبب انتشار أعمالك وإعادة طبع بعضها مرات عدة؟**

* ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء... ومن أجل أن أكون وفيًا معه – جلّ في علاه – محضت حياتي منذ أكثر من خمسين عامًا للكلمة التي تسبح باسم اللّه وتؤكد أحقية شريعته في إعادة صياغة الحياة بما يتوافق وإنسانية الإنسان.

**○ لو قدر لك اعتزال الكتابة – لا سمح اللّه – ما هو مشروعك الذي سيكون بمثابة المشروع الأخير؟**

* إنجاز سيرتي الذاتية التي كنت أحلم بها ولا أزال... ولسوف تحمل بإذن اللّه عنوانًا متفرّدًا يلخص جوهر أعمالي كلها في الفكر والتاريخ والأدب ( أشهد أن لا إله إلا أنت ).

**○ كيف تنظر إلى كتاباتك؟ ... هل تفضل بعضها على بعض؟ وهل ثمة كتاب ندمت على تأليفه؟**

* لن أكرر المقولة الجاهزة لسؤال كهذا ( كلهم أبنائي )... فهنالك بعض الأعمال التي تحتل في نفسي وذاكرتي مكانة متميزة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر ( دراسة

في السيرة ) و ( ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ) و ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) و ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) و ( حول أصول تشكيل العقل المسلم ) و ( مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ) ومسرحية ( المغول ) وديوان ( ابتهالات في زمن الغربة ) ورواية ( السيف والكلمة ) التي صدرت أخيرًا عن المركز الثقافي العربي في الرباط، والتي عملت فيها على مدى عشر سنوات وهي تتعامل روائيًا مع واقعة الغزو المغولي الذي ذبح بغداد فكرًا وحضارة وإنسانًا!!

لم أندم على تأليف كتاب ما؛ لأن كل واحد من مؤلفاتي يمثل مرحلة معينة من مسار طويل يمتد لعشرات السنين... لكن تبقى هنالك رغبة في إعادة تنقيحه، وحتى إعادة بناء هذا المقطع أو ذاك في هذا الكتاب أو ذاك. وتلك هي سنة اللّٰه سبحانه مع المؤلفين والكتاب، لا يستثنى منهم أحد.

○ **هل تمتلك الفراغ والاستعداد للمضي في قراءة كتاب من ألفه إلى يائه؟**

* القراءة هي خبزي اليومي، وبدونها سيتعرض الوقود الذي يعينني على الكتابة إلى النفاد... لقد كانت الكلمة الأولى في كتاب اللّٰه ( اقرأ ) والدلالة واضحة لكل ذوي عينين، لقد أراد المشروع الإسلامي أن يشكل أمة متحضِّرة بقوة الكلمة؛ وعلينا أن ننصت جيدًا للخطاب القرآني، وأن نواصل المسير.

**الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل والمكتبات:**

○ **أول مكتبة في حياتك؟**

* صندوق معدني بائس يطوي جناحيه على كتب متواضعة لا تتجاوز أصابع اليدين.

○ **مكتبة معهد الدراسات العليا/ جامعة بغداد...**

* قدمت لي، ولكل طلبة الماجستير في بداية الستينيات خدمات بالغة ونحن نعمل في رسائلنا أو في البحوث التي كلفنا بإنجازها.

○ **مكتبة المتحف الحضاري في الموصل...**

* أجمل سنوات العمل الوظيفي وأكثرها عطاء تأليفيًا مع مجموعة من الموظفين والموظفات تسودهم روح العائلة... لقد كان نقلي إلى المتحف لمدى عشر سنوات فرصة ذهبية والحق يقال.

**○ عبر رحلاتك المتواصلة هل كنت تجد وقتًا مناسبًا في مكتبة معينة؟**

* دار الكتب في القاهرة زمن دراستي للدكتوراه في عامي ( ١٩٦٧ - ١٩٦٨ )... يا لها من أيام عذبة وجلسات لا تنسى، في دار أمها وأفَاد من مخزونها الكبير مطبوعًا ومخطوطًا، جل مفكري مصر وأدبائها ومؤرخيها.

**○ ما الذي تتمناه بالنسبة للمكتبة المركزية في جامعة الموصل؟**

* أمنية ملحة ظلت تدور في النفس لسنوات طوال وها قد بدأت تتحقق فعلًا بفضل القائمين على جامعة الموصل ومكتبتها المركزية؛ أن تفتح صدرها للمكتبات الخاصة، إهداء أو شراء، وأن تبقيها باسمهم وقفًا دائمًا وعلمًا ينتفع به، فيما يمنح أصحابها الأجر الجزيل والدائم عند اللّه سبحانه، وذلك هو الكسب الأكبر الذي يوازي المعاناة الممتدة على عشرات السنين لتكوين هذه المكتبات الشخصية كتابًا كتابًا.

ولا أكتمك القول بأنني وأنا في طريقي إلى السبعين من العمر، بدأت أقلق على مصير مكتبتي الشخصية... على جهد خمسين عامًا من ملاحقة الكتاب. وقد يكون في التقليد الجديد للمكتبة المركزية في جامعة الموصل شيء من الاطمئنان والعزاء... ربما... كما لا أكتمك القول بأنني أحسست بسعادة بالغة وأنا أتلقى تكليفًا من ورثة المرحوم المؤرخ الكبير الحاج محمود شيت خطاب رَحِمَهُ اللَّهُ بأن أكون وسيطًا لعرض مكتبته الغنية على جامعة الموصل التي لم تتردد لحظة في موافقتها على العرض؛ حيث سيعزز وجود مكتبة ( خطاب ) ذات الخصوصية مبدأ المكتبات الشخصية في مؤسستنا الغالية ( المكتبة المركزية ) التي كان لي شرف العمل فيها عبر بدايات تأسيسها في عامي ( ١٩٦٥ - ١٩٦٦م ) حيث قدر لي أن أغذيها بالمجموعات الأولى من الكتب العربية والتي كنت أوفد إلى بغداد لشرائها، وبخاصة من مكتبة المثنى في شارع المتنبي التي يشهد الجميع بدورها في الحركة الثقافية في العراق العزيز.

**○ الكتب الأولى التي استعرتها؟**

* كانت استعارتي الأولى من المكتبة العامة، يوم كانت تقوم إلى جوار حديقة الشهداء، وكانت أشبه بخلية نحل لكثرة من يؤمها من المطالعين والمستعيرين... وكنت أرتادها مرتين في اليوم أحيانًا لألتهم كتبها التهامًا، ولم يرو ذلك عطشي ويبلّ

ريقي فكنت أستعير منها مجموعات من الكتب في مجال الأدب والفكر والتاريخ لكي أواصل قراءتي فيها عبر الأمسيات الشتوية الدافئة في البيت. وكانت تجذبني يومها تلك السلاسل المتألقة ذات الموضوعات المتنوعة والإبداع الأدبي الأصيل: اقرأ، كتاب الهلال، مطبوعات كتابي، الكتاب الذهبي، الكتاب الفضي، كنوز القصص الإنساني العالمي... وغيرها وكنت أحملها معي إلى البيت بشغف واهتمام وكأنني أحمل كنزًا.

**○ هل تسجل ملاحظاتك على الكتب التي تطالعها؟**

* كلَّا بطبيعة الحال؛ لأن ذلك يشوّه الكتاب، ولكني كنت أنقل على قصاصات أو أوراق خاصة بعض ما يستثيرني أو يدهشني... هذا إلى أنني عندما أقرأ الكتاب أمارس ذلك ببطء وتلذذ، تمامًا كما يشرب المرء كوبًا من العصير الطازج... وقد أعود لقراءة مقاطعه مرتين أو ثلاثًا... وكان هذا يعينني على دراسة الكتاب وليس قراءته فحسب... الأمر الذي منحني خزينًا فكريًّا وأدبيًّا أعانني في رحلتي المتطاولة مع الكتابة والتأليف.

**○ وهل تحن إلى كتب معينة قرأتها في ذلك الزمن البعيد؟**

* كيف؟! وأنا أكاد أذوب حنينًا لزمن القراءة النهمة والممتعة في الخمسينيات؛ حيث أعمال الرافعي وجبران والمنفلوطي وتوفيق الحكيم والعقاد وطه حسين وسيد قطب والمازني ونجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد اللّٰه وعلى الجارم وهمنغواي وأرسكين كالدويل وجون شتاينبك وأدغار ألان بو وديكنز وهوغو وموباسان وتولستوي وتشيخوف وديستوفسكي... أنها تنطبع في الذاكرة والوجدان فلا تكاد تغادرهما أبدًا لا سيما وأنها ترتبط بجماليات الزمان والمكان إذا استعرت عبارة غاستون باشلار.

* * *
* *
*

# اللقاء الثلاثون (*)

○ **السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، لدى قراءة هذا الخبر في صحيفة ( مناهل جامعية ) التي تصدر عن جامعة الموصل: « مدخل إلى الحضارة الإسلامية » واحدًا من أفضل عشرة كتب العالم لعام ( ٢٠٠٥م )... لماذا هذا الكتاب؟**

* إنه بإيجاز شديد محصلة خبرة أربعين عامًا من التعامل مع الحضارة الإسلامية، دراسة وكتابة وتدريسًا... هذا إلى أنه يتجاوز المنهج التفكيكي في التعامل مع هذه الحضارة، والذي قاد إلى جملة من النتائج والتقييمات الخاطئة، ويقوم - بدلًا من ذلك - على هندسة تركيبية تحاول أن تسبر غور شخصانية هذه الحضارة، وملامحها المتفردة، والقوى التي شكلتها، وتلك التي قادتها إلى الشلل وتضاؤل الفاعلية، وصولًا إلى إمكانات الانبعاث والمشاركة العالمية في المصير.

○ **الكتاب ينقسم إلى عدد من الفصول - بكل تأكيد - فهل لنا أن نعرف ما الذي تمت معالجته في كل واحد منها؟**

* ثمة مدخل يسبق الفصول الأربعة التي يتشكل منها الكتاب، يعرض لمبررات المنهج الجديد في دراسة وتدريس مادة الحضارة الإسلامية في المعاهد والجامعات.

أما الفصل الأول المعنون بـ ( أصول الحضارة الإسلامية ) فيرصد ويحلّل القوى الفاعلة التي شكلت شروط وتأسيسات الفعل الحضاري للأمة، ووضعت خطواتها على الطريق، وأعانتها على بناء حضارتها، مستمدة من النّصّ القرآني والسنة النبوية ومعطيات عصر الرسالة.

أما الفصل الثاني الذي يحمل عنوان ( نمو الحضارة الإسلامية ) فيتابع أهم معطيات هذه الحضارة، ووظائفها الأساسية، وخصائصها التي تميزها عن الحضارات الأخرى.

---

(*) أجرى الحوار في الموصل الأخ الأستاذ أحمد سامي الجلبي رئيس تحرير جريدة ( فتى العراق )، ونشر في أحد أعدادها الصادرة في خريف ( ٢٠٠٥م ).

بينما يمضي الفصل الثالث لرصد عوامل التفكيك والشلل التي قادت هذه الحضارة إلى ضعف الفاعلية وربما غيابها... وقد تم وضع اليد على إحدى وعشرين عاملًا ساهم بدرجة أو أخرى، في سوق الحضارة الإسلامية إلى هذا المصير.

الفصل الرابع يتمركز عند واقع الحضارة الإسلامية ومستقبلها، قبالة المتغيرات الأكثر حداثة؛ كالنظام العالمي الجديد ذي القطبية الأحادية والعولمة، ونظريتي ( نهاية التاريخ ) لفرنسيس فوكوياما، و ( صراع الحضارات ) لصموئيل هنتنجتون، فضلًا عن رصد وتحليل معطيات كبار المؤرخين والباحثين الغربيين بخصوص إمكانات الانبعاث الإسلامي، ومشاركة ( حضارته ) في إعادة صياغة المصير البشري.

باختصار شديد، فإن الإسلام ينطوي على مشروع حضاري هو في بدء التحليل ونهايته، مركب الإنقاذ الوحيد للإنسان إذا أراد حقًّا أن يحيا إنسانيته التي كرمه اللَّه بها على العالمين... إنه يعكس المعادلة المدهشة بين التسامي على الأرض والالتحام بفيزيائها في الوقت نفسه!!

**○ وهل لقي الكتاب، أو منهجه الجديد بعبارة أخرى، قبولًا حسنًا في الجامعات؟**

* بفضل ومنةٍ من اللَّه وحده، فها هو الآن يدرّس في أكثر من كلية أو جامعة أذكر منها على سبيل المثال: الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، والكلية الأوروبية في شاتوشينون في فرنسا، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، وكلية الآداب في جامعة الزرقاء الأهلية، وأغلب الظن أنه سيعتمد في عدد من كليات الآداب في الجامعات المغربية، فضلًا عن اعتماد بعض فصوله في مادة ( الثقافة الإسلامية ) في بعض كليات جامعة الموصل، وفي مرحلة الدراسات العليا بكلية الآداب. وقد قامت إحدى الجامعات بترجمته إلى الإنكليزية ليكون في متناول الغربيين الذين يتوقون للتعرف على النبض الحقيقي لهذا الدين.

**○ ليس لنا في نهاية هذا اللقاء السريع سوى الدعاء إلى اللَّه سبحانه أن يمنحكم المزيد من الإبداع والعطاء خدمة للحركة العلمية في جامعة الموصل التي تعتزون بها، ولعالم الإسلام على مداه...**

* * *

# اللقاء الحادي والثلاثون(*)

○ **كيف يمكن تفعيل دور مؤسسة الوقف؟**

* من الممكن أن ألخص هذا الموضوع في النقاط التالية:

١ - إنشاء حلقات لتشغيل أموال الوقف من أجل تحقيق هدفين:

أ - الحدّ من البطالة.

ب - تغطية الحلقات الفقيرة في المجتمع بإعانات دورية منتظمة.

٢ - تبنّي، أو الإعانة على طبع ونشر المؤلفات ورسائل الدراسات العليا المتميزة في مجال الفكر والشريعة الإسلامية والتي لا يتمكن أصحابها من طبعها ونشرها.

٣ - تبني ودعم حلقات بحثية لتحقيق ما يمكن تحقيقه من مخطوطات مكتبات الأوقاف - وفق الأهمية - وتصوير نسخ من المخطوطات المنتشرة في مكتبات وخزائن العالم الإسلامي.

٤ - إنشاء أسواق خيرية وتعاونية لتسويق البضائع الضرورية للفقراء والمحتاجين وصغار الموظفين بأسعار مدعومة، وترتيب بطاقات تُخوّل الشرائح المذكورة حقّ الشراء بشكل دوري.

٥ - إنشاء مراكز للصناعات اليدوية والحرفية يعود مردودها على العاملين في تلك المراكز.

٦ - ترتيب إعانات عينية من الملابس والأطعمة والقرطاسية، وغيرها من المستلزمات الضرورية، وتوزيعها دوريًّا بموجب قوائم تنتظم أسماء المحتاجين، وتفاصيل وضعهم المعيشي والعائلي.

٧ - العمل على إنشاء قاعات كبرى لاحتفاليات الزواج المنضبطة، ومجالس العزاء.

(*) وفي عام (٢٠٠٦م) وجه الأخ الأستاذ أحمد سامي الجلبي رئيس جمعية البرّ الإسلامية سؤالًا بخصوص تفعيل مؤسسة الوقف... فكان هذا الجواب الموجز.

٨ - تخصيص منح سنوية للطلبة المتفوقين في الدراسات الإسلامية لإكمال دراساتهم العليا في جامعات العالم الإسلامي ذات الكفاءة العالية.

٩ - إرسال كوادر من الدعاة المتمرسين إلى مختلف أنحاء العالم، وبخاصة البلدان الإفريقية، وتلك التي انفكت عن الاتحاد السوفياتي المنحلّ؛ لنشر الإسلام واللغة العربية وتعميق قيمهما في نفوس المنتمين.

١٠ - إصدار طبعات متلاحقة من القرآن الكريم وتوزيعها على المناطق الضرورية في العالم وبخاصة أوروبا الشرقية والجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفياتي السابق.

١١ - العمل على إنشاء مكتبات وقفية في مركز كل محافظة، لتلقي المكتبات الشخصية المهداة والاحتفاظ بها تحت اسم صاحبها - دون دمجها - لكي تكون علمًا ينتفع به، وذكرى طيبة لصاحبها، وإغراء لأصحاب المكتبات الخاصة بإهداء مكتباتهم، ووقفها، حماية لها من العبث والضياع بعد وفاتهم.

* * *
* *
*

# اللقاء الثاني والثلاثون (*)

**○ هل تعتقد أننا بحاجة إلى الدراسات العليا، ولماذا؟**

* بمرور الوقت أخذت الدراسات العليا في العراق تشهد انفجارًا كميًّا على حساب النوع؛ حيث يتخرج في كل سنة عدد كبير من حملة الماجستير والدكتوراه، ومعظمهم لا يملك عشر معشار المؤهلات العلمية التي تتطلبها هاتان الشهادتان. ويمكن أن يكون الحلّ في إحدى اثنتين؛ **أولاهما**: تقليص عدد المقبولين سنويًّا إلى حدوده الدنيا، أو التوقف لسنة وربما لسنوات عن فتح باب القبول، ريثما يتم ازدراد اللقمة الكبيرة المتمثلة بأفواج الخرّيجين السابقين، فضلًا عن أن توقُّفًا كهذا سيمنح فرصًا مناسبة لإعادة ترتيب هذه التجربة في الكثير من مقوّماتها.

ولعل قبول العدد المحدود ( جدًّا ) سيتيح للجان المشرِفة على القبول تمحيصًا حقيقيًّا جادًّا لمن يستحق القبول بما يكشف عنه من مؤهلات علمية حقيقية.

**○ كيف تنظر إلى المناهج المعتمدة في السَّنة التحضيرية، وكيف يمكن أن نرتقي بها لتكون بمستوى التطورات التي يمرّ بها العراق في إطار التحوّلات الإقليمية والدولية المعاصرة؟**

* جواب سؤال كهذا يخص المعنيين بالتاريخ المعاصر.

**○ هل تعتقد أن هناك تغطية كافية للمواضيع التي تولت رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه معالجتها منذ تأسيس الدراسات العليا في القسم حتى الوقت الحاضر؟ وما هي في رأيك المواضيع التي بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة؟**

* التغطية جيدة إلى حدّ ما، والموضوعات التي هي بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، بقدر تعلّق الأمر بتخصص التاريخ الإسلامي، هي تلك التي تتجاوز التاريخ السياسي والعسكري، وتتجه إلى المسائل الحضارية والحياة الاجتماعية.

---

(*) في عام ( ٢٠٠٦م ) وجه القائمون على المؤتمر العلمي لكلية آداب جامعة الموصل سؤالًا للمعنيين بالدراسات العليا حول واقع هذه الدراسات وسبل تطويرها... فكان هذا الجواب الموجز.

**○ هناك أصوات تدعو إلى إلغاء السّنة التحضيرية ( مرحلة الدكتوراه ) لكونها تكرار لما أعطي للطالب في مرحلة الماجستير، وهناك من يدعو إلى استحداث تغيير في المواد وطرق تناولها، ما هو موقفك من هذه الدعوات؟**

* السنة التحضيرية في مرحلة الدكتوراه نوع من التبذير، وإلغاؤها ضرورة من الضرورات، إذا ما أعطي الطلاب جملة من الخبرات والتمارين المنهجية، ومناقشة الموضوعات الصالحة للعمل، لكي يكونوا بمستوى المهمة التي جاءوا من أجلها.

**○ ما هو رأيك في المناهج الدراسية؟**

* يجب إعادة النظر، بين حين وآخر، في المواد المنهجية المعطاة لطلبة الدكتوراه في السنة التحضيرية، إذا ما أصرّت التعليمات على إبقائها، وأن يتم التأكيد في المواد كافة على تعزيز وتنمية القدرات البحثية للطلبة.

**○ ما هي المواضيع التي تعتقد أنها بحاجة إلى تغطية ودراسة بشكل أوسع وأشمل؟ وماذا تقترح أن يضاف إلى مفردات المنهج الدراسي لدى طلبة الدراسات العليا؟**

* إضافة ( منهج البحث ) في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، تنظيرًا وتطبيقًا، واعتماد صيغ أكثر فاعلية في تمكين الطلبة من الأداء اللغوي السليم والمحكم، وإلزامهم بأخذ ( كورسات ) في بعض العلوم المساعدة ذات الصلة الوثيقة برسائلهم وأطروحاتهم، وبخاصة العلوم الإسلامية، والعلوم السياسية، والتوقف عن تبذير ساعات السّنة التحضيرية بمواد تاريخية معادة.

* * *
* *
*

# اللقاء الثالث والثلاثون(*)

○ **ما الذي تعنيه بعبارة « الانطلاق من عالم الضرورة »؟**

* الانطلاق من عالم الضرورة يعني تحرير الإنسان من ضغوط دوافعه الحسّية للجنس والمأكل والملبس، ورفعه إلى سماوات الروح والقيم العليا، مع التأكيد المتواصل على ضرورة تطمين الدوافع الحسيّة باعتبارها جزءًا أساسيًّا من مكونات الإنسان.

وأما الثورة على آلية الحياة فتمضي بالاتجاه نفسه؛ حيث لا يكون الإنسان أسيرًا للمطالب الروتينية اليومية التي تتحرك بصيغة آلية، وحيث يكسر الحلقة المفرغة لرتابة حياته وآليتها، باتجاه الخبرة الروحية الغنية الخصبة والمتجددة، والتي تمنح الحياة البشرية طعمها العذب.

○ **هل أن التأكيد على المضمون ضروري في الإبداع الأدبي؟**

* بالتأكيد، ولكن شرط ألّا يكون العمل مباشرًا وتعليميًّا؛ لأنه في هذه الحالة سيفقد بُعده الجمالي، وبالتالي قدرته على التأثير... فالشعر العالي هو انزياح بالمعاني عن صيغها اليومية المسطحة، وذلك باستدعاء الأدوات البلاغية في التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز... إلخ، تلك التي تغني المعنى وتشحنه بالقيم الفنية.

○ **وما هو جوهر الالتزام؟**

* أي أن الفن الإسلامي، والأدب في سياقه، يعكسان الرؤية الإسلامية للكون والعالم والوجود، فتكون القصيدة، والقصة والرواية والمسرحية، مرايا تتشكل على صفحتها قيم الإسلام ورؤاه وخبراته ومُثُله...

وفي الإسلام يلتقي الجمال بالحق الذي قامت عليه السماوات والأرض بتوازن محكم، وهذا اللقاء سينعكس بالضرورة على أي نشاط فني أو أدبي يتشكل في ظلال هذا الدين.

---

(*) حوار سريع بخصوص الأدب الإسلامي أجراه في الموصل الأخ الأستاذ فهمي أحمد محمد، في شتاء ( ٢٠٠٧م ).

**○ وماذا عن الإحسان والإتقان اللذين طالما أكدت عليهما في بحوثتك الأدبية؟**

* عرض المعاني بصورة تقريرية مباشرة لا تنطوي على أية قيمة فنية أو جمالية، لن تكون أدبًا، وإنما هي المعاني المطروحة على قارعة الطريق، كما يقول الجاحظ، والتي يتداولها الناس في حياتهم اليومية... أما الأدب فهو الذي يشحن المعنى بالقيم الفنية والجمالية، وينزاح به بعيدًا عن دلالاته اليومية المباشرة.

والإحسان والإتقان اللذان أمر بهما الرسول المعلم ﷺ ضروريان في الإبداع الأدبي، إذا أردنا أن نجعله - فعلًا - قديرًا على التعبير المشحون، وبالتالي على التأثير في المتلقي الذي هو هدف الإبداع الأدبي، وذلك باعتماد الإيحاء والرمز والمجاز والكناية والاستعارة، وتفجير قدرات اللغة التعبيرية، وتوظيف إمكاناتها الجمالية.

إن أدب التقرير والمباشرة ليس أدبًا، قد يكون عملًا صحفيًّا أو عرضًا تاريخيًّا، ولكنه لن يصبح أدبًا إلّا بتحميله حشدًا من القيم الفنية والجمالية، والابتعاد به عن المباشرة، وحينذاك فقط سيملك القدرة على التأثير في المتلقي، وكسب دهشته وإعجابه، وهو الهدف الذي تتوخاه الآداب المبدعة في كل زمن أو مكان.

* * *
* *
*

# اللقاء الرابع والثلاثون (*)

تعد ( مجلة الأدب الإسلامي ) ولا ريب، هدفًا عزيزًا بالنسبة لكل الأدباء الذين يحملون هموم الأدب الإسلامي ويبشرون به، وبالتالي فهم حريصون على استمرارها، وتقديم المقترحات التي من شأنها أن تعين المجلة على الارتقاء بمستواها شكلًا ومضمونًا، وتمكينها - بالتالي - من أداء وظيفتها المهمة بأعلى قدر من الإحسان والإتقان.

بالنسبة للإخراج الفني يفضل إلغاء الخلفيات الرمادية والسوداء من صفحات المجلة كافة؛ لأنها تعتّم على الحروف والكلمات، وتجعل القراءة صعبة. كما أن اعتماد الحرف ( البنط ) الصغير يزيد القراءة صعوبة، ويفضل استبداله بحرف أكبر. هذا إلى أن غياب الألوان واعتماد ورق سيئ أثرا سلبًا على مستوى المجلة وانخفضا بها عما كانت عليه الأعداد الأولى.

على مستوى المضمون، هناك غياب نسبي في التوازن بين الأعمال؛ حيث يطغى الشعر على الأجناس الأدبية الأخرى، وبخاصة المسرح والسيرة الذاتية. أما الدراسات والمقالات فالمساحة المعطاة لها مناسبة إلى حدّ كبير. هذا إلى وجود خلل ملحوظ في التوازن الجغرافي لكُتّاب المجلة؛ حيث تُعطى حصة الأسد لبعض البلدان، وتكاد تغيب بالنسبة لبلدان أخرى، رغم ما تملكه من قدرات أدبية مبدعة.

أبواب المجلة الثابتة جيدة، وتنطوي على قدر ملحوظ من التنوّع والخصب، وهي من بين عوامل عديدة أخرى، تمنح المجلة حيوية، وتزيد من قاعدة قرّائها. هذا ويمكن توحيد بابي ( من ثمرات المطابع ) و ( من مكتبة الأدب الإسلامي ) في باب واحد.

يفضل - كذلك - إعطاء اهتمام أكبر لأدب الأطفال، وحضور مساحة أكبر لأدب المرأة المسلمة.

---

(*) جوابًا على استطلاع تقدم به مندوب مجلة ( الأدب الإسلامي ) التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، في ربيع ( ٢٠٠٧م ).

ثمة أخيرًا مسألة في غاية الأهمية، وهي أن تولي المجلة اهتمامًا جادًّا بأدب المرئيات الذي يملك جمهورًا أوسع بكثير من جمهور الكلمة المكتوبة، وذلك بتنفيذ الخطوات التالية:

**أولًا:** تخصيص أبواب ثابتة لنقد الأعمال التلفزيونية والسينمائية والمسرحية.

**ثانيًا:** نشر نصوص إبداعية معدة خصّيصًا لكي تكون أفلامًا أو مسلسلات أو تمثيليات تلفازية.

**ثالثًا:** تقديم إرشادات للمُخْرِجِين وكُتّاب السيناريو لتقديم أعمال إسلامية على الشاشة، ووضع منظومة من القصص والروايات والمسرحيات الإسلامية بين أيديهم، وإغراؤهم بتحويلها فنيًا لكي تكون جاهزة للعرض.

* * *
* *
*

# اللقاء الخامس والثلاثون(*)

○ **في البدء أشكركم على معاوناتكم الآنفة التي أعانتني كثيرًا في إتمام رسالتي للماجستير، إلّا أن هناك بعض المعلومات الإضافية التي ما زلت بحاجة إليها لوضع الرسالة في صورة أفضل هي كالتالي:**

**من الملاحظ أن اختيار أسماء الشخصيات في مسرحياتكم لم يكن عبثًا، بل كانت الأسماء معبِّرة ومُعِيْنة على رسم شخصية المسرحية، فهل هذه من المميزات التي لا بدّ منها في بناء المسرحيات الإسلامية؟**

* أسماء الشخصيات في مسرحياتي لا تعكس في الأعم الأغلب دلالة ما، ولكني أحاول أن تكون من الأسماء الشائعة في البيئة التي تتشكل فيها المسرحية، من أجل أن تكون أكثر صدقًا فنيًا...

○ **إن مسرحية ( المغول ) مستمدة من الواقع التاريخي، كما أن أحداث المسرحية تعكس وقائع تاريخية بقدر كبير من الأمانة وبأسلوب درامي، فهل أسماء الشخصيات في هذه المسرحية أسماء واقعية كذلك، أم هي منساقة على المنهج السابق؟**

* أسماء الشخصيات في مسرحية المغول مستمدة من الواقع التاريخي، فيما عدا ( عبد الأحد ) و ( جورجيوس بن حنا ) في المشهد الثالث، وقد أريد منهما التعبير عن موقف نصارى الموصل من الغزو المغولي.

○ **إن البيئة والقضايا المحيطة بالأديب تلعب دورًا كبيرًا في تكوين شخصيته في تجاربه الأدبية، ومن المحتمل أن تستغرق الكتابة مدة من الزمن قبل نشرها. فمتى كان تأليف مسرحية ( المغول )، ومسرحيات ( العبور )؟ وذلك ليتسنى لي ربط العوامل التاريخية والإقليمية في تحليل المسرحيات أدبيًا.**

* أنجزت مسرحية ( المغول ) على مدى عدة أشهر من عام ( ١٩٨٢م )، وكانت الفكرة في البداية أن تكون من مسرحيات الفصل الواحد، لكن إغراء الوقائع

(*) حوار أجراه على الإنترنت طالب الماجستير حمد الكنالي في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في حزيران ( ٢٠٠٧م ).

التاريخية، وتوتّرها الدرامي، دفعني إلى توسيع مساحة العمل لكي ما يلبث أن يصبح سبعة مشاهد، مستفيدًا من بحث تاريخي كنت قد أنجزته من قبل بعنوان: ( مقاومة المدن الإسلامية للغزاة ) نشر ضمن كتاب ( دراسات تاريخية ) وصدرت طبعته الجديدة عن دار ابن كثير في دمشق - بيروت عام ( ٢٠٠٥م ).

أما مسرحيات ( العبور ) فقد تمّ إنجازها على فترات متباعدة. فمسرحية ( العبور ) كانت فكرتها تلحّ علي منذ عام ( ١٩٧٩م )، فبدأتها في تلك السنة وأتممتها في العام التالي. أما المسرحيات الأربع التالية فقد تم إنجازها متعاقبة عبر شتاء ( ١٩٨٣م ) وربما ( ١٩٨٤م )، وهي تتعامل دراميًا مع جملة خبرات محلية عشتها، أو سمعت بها، أو شهدتها بعيني عبر زمن متطاول يبدأ في خمسينيات القرن الماضي ويمتد حتى منتصف الثمانينيات.

**○ سبق أن ذكرتم أن لديكم مسرحيتين قيد النشر، وهما ( التحقيق ) و ( الهمّ الكبير ). فهل بإمكان سعادتكم إفادتي بصورة مختصرة عن مضمونهما حتى أضعهما ضمن مبحث أعمالكم المسرحية؟**

* مسرحية ( الهمّ الكبير ) أقرب إلى أن تكون ( سيناريو ) لفيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني، يتكون من أربعين مشهدًا، وهو يتعامل دراميًا مع شخصية الناصر صلاح الدين ودوره التاريخي.

أما مسرحية ( التحقيق ) ذات الفصول الأربعة، فهي تتعامل دراميًا مع مأساة المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة - آخر معاقلهم - وما فعلته بهم سياسات الملَكين الإسبانيين فرديناند وإيزابيلا، ومحاكم التحقيق بقيادة الكاردينال ( خمنيث ) عبر واحدة من أبشع عمليات الاغتيال الديني والبشري والحضاري في التاريخ. كما أن المسرحية تسلّط الضوء على أعمال المقاومة الإسلامية للاستلاب المسيحي، وما آلت إليه في نهاية الأمر.

* * *
* *
*

# اللقاء السادس والثلاثون (*)

**○ في الستينيات سافرتم إلى القاهرة لمواصلة دراستكم العليا... ما هي الدوافع التي كانت وراء تخصصكم في التاريخ الإسلامي؟**

* عشقي للتاريخ بوصفه مدرسة حياة كبرى تتلقى منها التعاليم... إشارات المرور في حاضرنا... والرؤية الأشد نفاذًا لمستقبلنا... لقد محّض القرآن الكريم أكثر من نصف مساحته للحديث عن الماضي أي التاريخ، واستخلاص السنن والنواميس التي يتشكل بمقتضاها، وهذا يؤشّر على القيمة البالغة للتاريخ في حركة الأديان وفي حياة الأمم والشعوب.

**○ لماذا تستقطب مسألة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي اهتمام المفكرين المسلمين المعاصرين من خارج دائرة المؤرخين؛ كسيد قطب ومالك بن نبي وعلي شريعتي ومحمد قطب والقرضاوي؟**

* كان ذلك في خمسينيات القرن الماضي قبل أن تظهر للوجود داخل دائرة المؤرخين أية دعوة جادة لإعادة كتابة، وإن شئت قراءة التاريخ، وكانت محاولة مفكرين وعلماء؛ كسيد قطب وصادق عرجون ومالك بن نبي تأكيدًا على أهمية المسألة بسبب ما اعترى الموروث التاريخي الإسلامي من دخل، وجاء من بعدهم محمد قطب وعلي شريعتي والقرضاوي... ولكن حدث بين المجموعتين أن تنادت بعض المؤسسات الأكاديمية لتنفيذ المحاولة، وقطعت مسافة في الطريق، ثم ما لبثت أن توقفت ربما بسبب العوائق المالية وشتات الكوادر المتخصِّصة وتبعثرها في البلدان... وقد تحدثت عن ذلك في كتابي المتواضع ( حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ) الذي صدر في منتصف ثمانينيات القرن الماضي عن دار الثقافة في الدوحة ثم أعيد طبعه في دار ابن كثير بدمشق قبل سنة واحدة.

---

(*) حوار أجراه على الإنترنت الأخ أحمد مولود مندوب جريدة ( البصائر ) الجزائرية. ونشر في أحد أعدادها عام ( ٢٠٠٧م ).

**○ أكدتم في كتابكم ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) الصادر في عام ( ١٩٧٥م ) أن عددًا كبيرًا من عروض القرآن التاريخية، وإن جاءت تسميتها أحيانًا بالقصص، أي الحديث عن الماضي، تخرج عن الإطار الفني للقصة وبهذا تكتسب بعدها التاريخي المجرد... لماذا تحمل الأخبار الواردة في القرآن تسمية القصة على الرغم من صحتها ووقوعها فعلًا؟**

* لأن فعل ( القصّ ) الذي اشتقت منه مفردة ( القصة ) يعني الإخبار عن الماضي بالمفهوم التاريخي الواقعي الصرف... ويجب أن أشير هنا إلى أن التعميم ينطوي على خطأ لا يمكن التسليم به... بمعنى أن النّصّ القرآني انطوى على نمطين من القصّ: **أحدهما**: خارج نطاق القصة بمفهومها الفني، **والآخر**: استكمل سائر الأسباب الفنية لها... وهنالك العديد من الدراسات أنجزت حول الموضوع، وقد أتيح لي قبل سنوات أن أناقش رسالة ماجستير في كلية آداب جامعة الموصل تتناول قصة يوسف من زاوية فنية صرفة، وقد حصل صاحبها على درجة الامتياز.

**○ كتبتم في مقدمة كتابكم ( دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية ) أن الأحاديث النبوية الشريفة تنطوي على « منظومة خصبة من مفردات المعرفة التاريخية، وتقدم الإجابة على العديد من التساؤلات التي يثيرها هذا الفرع الهام في دائرة العلوم الإنسانية، وهي بهذا تؤكد معطيات القرآن الكريم في هذا المجال، وتوضحها وتضيف عليها »... كيف تساعد السنة النبوية على كتابة تاريخ ما قبل الإسلام؟**

* يجب أن نعترف - أولًا - أن محمدًا ﷺ لم يكن مؤرّخًا، وأن استدعاءه للتاريخ بين الحين والحين، إنما هو لتلقّي التعاليم ومنحها لأصحابه... وبالتالي فهو لم يقم بتغطية شاملة لتاريخ ما قبل الإسلام، بالمفهوم الأكاديمي، وإنما قدم إضاءات موجزة عن هذه الواقعة أو تلك، وعن هذا النبي أو ذاك... وبالنظر لكون العديد من هذه الإضاءات تحمل مصداقيتها بإحالتها على ضوابط علم الحديث، وبالنظر لكونها تمثل تفسيرًا للمعطيات القرآنية بهذا الخصوص، فإنها ستقدّم للبحث في تاريخ ما قبل الإسلام خدمة بالغة بملء بعض الفجوات بأخبار يقينية لا يخترقها الشك...

**○ دعوتم في بعض مؤلفاتكم: ( في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل ) ( في النقد الإسلامي المعاصر ) إلى تضييق القيود الأكاديمية في كتابة وتدريس التاريخ، وأكدتم على أن ذلك لا يمثل « رغبة شخصية في الحصول على مزيد من المتعة الروحية في مجالات النشاط التاريخي المعروض بهذا الأسلوب الحي، وإنما هو أمر واقع حتمي تفرضه طبيعة الوجود التاريخي نفسه »... فهل يعني ذلك أنكم تريدون تحرير التاريخ من ( سجن ) العلوم الاجتماعية، وإعادته إلى حقل الآداب؟**

* أبدًا... خاصة إذا تذكرنا أن التاريخ وعلم الاجتماع صنوان يجمع بينهما همٌّ واحد هو دراسة وتحليل حركة المجتمعات عبر الزمن... وإذا تذكرنا أن التاريخ سيفقد الكثير من ( علميته ) إذا سحبناه إلى حقل الآداب... وإنما كان القصد من دعوتي تلك هو أن يتحقق المؤرخ بما سبق وأن سماه ( سيد قطب ): ( المعايشة التاريخية )، وهذه بالنسبة لتاريخنا الإسلامي بالذات، ولفتراته المبكرة على وجه الخصوص، ضرورة من الضرورات المنهجية إذا أردنا - فعلًا - أن نحقق مقاربة أكثر للخبرة التاريخية... وهذا ما فعلته في كتابي المبكر ( ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ) الذي صدر عام ( ١٩٧٠م )، وما فعله العقاد في ( عبقرياته )، وما فعله خالد محمد خالد في ( رجال حول الرسول ) ورباعيته عن الخلفاء الراشدين ﷺ... بل هذا ما فعله ( سيد قطب ) نفسه في مقدماته الخصبة التي كان يمهد بها في ( الظلال ) لتفسير السور المتعلقة بالوقائع الكبرى لعصر الرسالة؛ من مثل سورة الأنفال التي تحدثت عن معركة بدر، وسورة آل عمران التي تحدثت عن معركة أحد، وسورة الأحزاب التي تحدثت عن معركة الخندق... وغيرها...

إن المعايشة التاريخية بالنسبة للمؤرخ المسلم تستدعي جملة أمور، ولعل أبرزها استحضار البعد الروحي في الواقعة التاريخية، والخبرة الروحية في حياة القادة والعظماء... وهي مسألة يكاد المؤرخ الغربي، والعلماني عمومًا، لا يمسها أو يقترب منها كما هو معروف.

**○ احتفل العالم الإسلامي في الشرق والغرب بمرور ستة قرون على وفاة العلامة ابن خلدون ( ١٣٢٣ - ١٤٠٦هـ ) مؤسس علم العمران البشري، وقد خصّصتم له كتابًا بعنوان ( ابن خلدون إسلاميًا )... ما هي أبرز السمات الإسلامية لفكر ابن خلدون؟**

* أنه جعل الدين عنصرًا أساسيًا في قيام الدولة، جنبًا إلى جنب مع ما سماه

( بالعصبية )، كما أنه جعله عنصرًا أساسيًّا في معطياته الخاصة عن نظرية المعرفة والعملية التربوية في الباب السادس من مقدمته، هذا إلى أن تأثير النصّ القرآني واضح تمامًا في العديد من مبادئه التي استخلصها وهو يتحدث عن قوانين الحركة التاريخية... ولن يتسع المجال لاستعراض هذه المبادئ، كما لا يتّسع للوقوف عند دور الدين في مقدمته في صيرورة الواقعة التاريخية... وهو حتى عندما يتعامل مع العديد من وقائع التاريخ الإسلامي ينطلق من زاوية رؤية إسلامية واضحة تمامًا.

ولقد أنجزتُ كتابي المذكور ( ابن خلدون إسلاميًّا ) لتأكيد هذه الحقائق، وللردّ على كل أولئك الباحثين والمؤرّخين، سواء من الغربيين أو من أبناء جلدتنا من العلمانيين والماركسيين الذين أرادوا انتزاع ابن خلدون من بيئته الإسلامية، وتهجينه بالحكم على مقدمته بأنها لم تتأثر بالبعد الديني، وهو أمرٌ لم يخطر لابن خلدون نفسه على بال.

**○ انشغلتم في الأعوام الأخيرة بتطوير مشروعكم الفكري المتميز ( الفقه الحضاري ) فقدّمتم منهجًا جديدًا لدراسة الحضارة الإسلامية، متجاوزًا في ذلك المنهج التفكيكي في قراءة تلك الحضارة... ما هي أبرز معالم هذا المنهج؟**

* لحسن الحظ فإن جانبًا من هذا المشروع قد برز إلى النور في كتابي ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) الذي صدر هو وصنوه ( مدخل إلى التاريخ الإسلامي ) عن المركز الثقافي العربي في الرباط وبيروت قبل سنة واحدة. وقد أريد للكتاب أن يكون مقررًا منهجيًّا معتمدًا للتدريس في الجامعات العربية والإسلامية، وقد اعتمد فعلًا في عدد من هذه الجامعات من مثل ( الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا والكلية الأوربية للدراسات الإسلامية في فرنسا وكليتي الآداب والتربية بجامعة الموصل في العراق وجامعة الزرقاء الأهلية في الأردن والتي قامت بترجمته إلى الإنكليزية... ) وربما غير هذه وتلك من الجامعات.

بُني الكتاب على منهج جديد في التعامل مع الحضارة الإسلامية يقوم على تجاوز المنهج التفكيكي المعتمد في المعاهد والجامعات العربية والإسلامية، والذي يقطع شخصية الحضارة فتضيع ملامحها الأساسية باسم الضرورات الزمنية أو التخصُّصية أو المنهجية؛ حيث يُدرس تاريخ العلوم والفكر في سنة، أو مرحلة، والنشاط الاقتصادي والعمراني في سنة أُخرى، والنظم الإدارية في سنة أو مرحلة ثالثة... إلى

آخره... وهكذا تصير الحضارة الإسلامية لهاثًا وراء مبررات الجزية، وركضًا وراء قوائم الضرائب، ومتابعة للمحتسب وهو يتجول في الأسواق، واستعراضًا وصفيًا لمنظومة الدواوين، وعرضًا للصراع على المناصب الكبرى، وتصنيفًا فجًا للعلوم ما بين نقلية وعقلية... إلى آخره...

وبذلك يتخرج الطالب وهو لا يملك معرفة معمقة بشخصية حضارته الإسلامية، وعناصر تميّزها، ولا الاعتزاز بها، رغم البعد التربوي للنشاط الأكاديمي، وقد يتمخض عن ذلك كله نتائج معاكسة؛ حيث يصير تدريس الحضارة سلاحًا نشهره ضد أنفسنا. هذا إلى ما يترتب على المنهج التفكيكي من فك الارتباط بين العقيدة الإسلامية وبين معطيات الحضارة الإسلامية نفسها، كما أنه يقود إلى نتائج مضلّلة كتلك التي قال بها فيليب حتي في ( تاريخ العرب المطول )، وعدد من الباحثين والمستشرقين، من أن الحضارة الإسلامية لا تعدو أن تكون ( قطع غيار ) لُملِمَت من الحضارات الأخرى اليونانية والهيلينية والرومانية والبيزنطية والفارسية والهندية، ووضع عليها رداء خارجي يحمل شعار ( الحضارة الإسلامية ).

وتجاوزًا لذلك كله سعى ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) إلى اعتماد منهج شمولي يستهدف متابعة الخصائص الأساسية للحضارة الإسلامية كشخصية مستقلة، ويضع اليد على شبكة التأسيسات التي وضعها كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ للفاعلية الحضارية، ويتابع معطيات هذه الحضارة ووظائفها الأساسية وملامحها المتميزة عبر مراحل نموّها وتألّقها... ويستقصي - بالمقابل - العوامل التي قادتها إلى التدهور وفقدان الفاعلية، والشروط التي تمكنها من الانبعاث كَرَّة أخرى، واحتمالات المشاركة العالمية في المصير.

ينقسم ( المدخل... ) إلى أربعة فصول ويؤكد على ضرورة إعطاء الحضارة الإسلامية على مدى سنوات أو مراحل الدراسة الجامعية الأربع، وفق الترتيب التالي:

**السنة أو المرحلة الأولى:** أصول الحضارة الإسلامية: شبكة الشروط التأسيسية في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ومعطيات عصر الرسالة.

**السنة أو المرحلة الثانية:** نموّ الحضارة الإسلامية: المعطيات، الوظائف، الخصائص.

**السنة أو المرحلة الثالثة**: تدهور الحضارة الإسلامية: تحليل للعوامل الداخلية والخارجية.

**السنة أو المرحلة الرابعة**: واقع الحضارة الإسلامية ومستقبلها، واحتمالات المشاركة العالمية في المصير، وتحديات التكنولوجيا والمعلوماتية، والنظريات الأكثر حداثة حول ( نهاية التاريخ ) و ( صراع الحضارات ) وصيغ التعامل مع تحديات ( العولمة ) و ( النظام الدولي الجديد ) وشروط ( المشروع الحضاري البديل ).

**○ ما هي مشاريعكم القادمة؟**

* صدرت لي قبل أسابيع قلائل، وأيضًا عن ( المركز الثقافي العربي ) في الرباط وبيروت، رواية بعنوان ( السيف والكلمة ) توظِّف روائيًّا واقعة الغزو المغولي لبغداد، وقد عملت فيها على فترات متقطعة ما يزيد عن السنوات العشر، وأعتبرها أكثر أعمالي الأدبية قربًا إلى نفسي؛ لأنني سعيت إلى أن أُنفِّذ فيها تقنيات جديدة على مستوى اللغة وضمائر المتحدثين والحوار وبناء الشخصيات والترميز الذي يتجاوز التجريد ويتشكل بقوى الحياة ودوافعها...

وهنالك قيد النشر في ( دار ابن كثير ) بدمشق وبيروت مسرحيتان جديدتان لي من ذوات الفصول الأربعة، **إحداهما**: بعنوان ( التحقيق ) وتتناول واقعة مأساة المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة، **والأخرى**: بعنوان ( الهمّ الكبير ) تتحدث دراميًّا عن شخصية الناصر صلاح الدين.

وعن ( دار وائل ) في عمان بالأردن سيصدر لي قريبًا أعمال كنت قد تعاقدت حولها منذ سنتين؛ وهي ( مذكرات جندي في جيش الرسول ) و ( الطريق إلى فلسطين ) و ( كتابات معاصرة في السيرة النبوية ).

مشاريعي القادمة قد تكون إصدار أكثر من كتاب ينطوي كل منها على جملة من المقالات المركزة الموجزة التي تُتَابع وترصد وتحلّل ما يجري في حياتنا الراهنة عبر سياقاتها كافة، أسوة بما فعلتُه في ( آفاق قرآنية ) و ( مؤشرات إسلامية في زمن السرعة ) و ( في الرؤية الإسلامية ) و ( الرؤية الآن ) والتي صدرت عبر الثلاثين سنة الماضية.

ولكن همّي الأساس سينصب على البدء في كتابة ( سيرتي الذاتية ) برؤية انطباعية تتجاوز المباشرة والعمل التسجيلي، فيما سأحشد له جهدي عبر السنوات القادمة بمعونة من اللّه ﷻ...

* * *
* *
*

# اللقاء السابع والثلاثون(*)

○ كيف ترى وضع الصحافة المكتوبة إزاء تحديات الإعلام المرئي؟

* الإنترنت، والفضائيات بشكل عام، تقدِّمُ ثقافة عامة، وتضع العالم كلّه قبالة المشاهد، وتمارس دورًا إعلاميًا خطيرًا، والأهم من هذا كله أنها تعين الباحثين والكُتَّاب على الوصول إلى المعلومة المطلوبة في دقائق ولحظات، بعد أن كانت تتطلب الأيام والأسابيع، وربما الشهور الطوال. لكن هذه التقنيات الإعلامية والمعلوماتية المدهشة - إذا أردنا الحق - لا تخرِّج أو تصنع مبدعين أو كتابًا أو مفكرين أو باحثين متألّقين.

الذي يفعل ذلك هو الكتاب ( المقروء )، فهو المدرسة الأم التي تخرّج هؤلاء، وإلّا فإن عشرين سنة من الجلوس قبالة الشاشة لا تمنحنا المطلوب، والمطلوب هو تواصل أجيال المبدعين والمفكرين والأدباء والكتاب!! وتجيء الصحافة الجادة والمقروءة في سياق الكتاب.

ثقافة الشاشة ثقافة استهلاكية، وثقافة الكتاب ثقافة منتجة... وشتّان... وإذا ما حدث - لا سمح اللّه - وإن غابت نهائيًا تقاليد المطالعة الأصيلة والتعامل الجادّ مع الكتاب، فنحن سنكون مقبلين - بالضرورة - على عصر التضحّل الفكري، أو التصحّر الإبداعي... وذلك أمرٌ محزن بكل تأكيد. ومن ثم فإن على الصحافة المكتوبة أن تمارس جهدًا إضافيًا من خلال الإغراء بالكتاب، والدعوة المتواصلة للعودة إليه.

فإذا تذكرنا أن الصحيفة نفسها، باعتبارها صفحات مقروءة، معرضة لتضاؤل الحضور، وربما الغياب بسبب تحديات الشاشة، أدركنا كم أن من الضروري أن تطوّر نفسها شكلًا ومضمونًا لكي تستطيع مواصلة البقاء.

بالنسبة ( لفتى العراق ) يمكن أن تؤكد وجودها بالمزيد من تقديم ومعالجة

---

(*) جوابًا على جملة من الأسئلة توجه بها الأخ الأستاذ أحمد سامي الجلبي رئيس تحرير جريدة ( فتى العراق ) إلى عدد من المعنيين بالهمّ الفكري في الموصل... ونشر في عدة أعداد من الجريدة المذكورة في عامي ( ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م ).

الخصوصيات ( الموصلية )، على مستوى الخبر والمقال والصورة والتعليق، وحواريات الأخذ والردّ، بما أنها صحيفة موصلية على وجه التحديد.

هذا إلى ضرورة متابعة الهموم الأكثر التصاقًا بالناس... وهي تفعل - بالتأكيد - هذا وذاك، ولكن المطلوب هو المزيد.

ويفضل التقليل من الاقتباس عن الإنترنت باعتبار معلوماته مشاعة، وتوظيف المساحات التي تشغلها هذه الاقتباسات، في إغناء السياقات المشار إليها.

لقد كافحت ( فتى العراق ) عشرات السنين، وكان لها جمهورها الذي يقرأها بشغف، ولا يزال. ومن أجل أن تواصل الطريق، وتحتفظ بجمهورها، وتجابه تحديات الشاشة، لا بدّ لها من جهد مزدوج يقوم على التأصيل والتطوير معًا، وفق إمكانياتها المتاحة بطبيعة الحال.

**○ كيف السبيل لبناء مجتمع متحضّر؟**

* نقطة الارتكاز في بناء أيّ مجتمع متحضّر على مدى التاريخ، هي منظومة القيم الخلقية التي سهرت الأديان والنظم الوضعية على غرسها في نفوس المواطنين وسلوكهم، والعمل على تنميتها وحمايتها من التآكل والانهيار. فبقوة الإنسان ( المتحضر ) تنهض الحضارات، وبغيابه تتفكك المجتمعات وتضيع. ومن أجل ذلك أكّد القرآن الكريم على عملية التغيير الذاتي التي هي أساس كل تغيير فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [ الرعد: ١١ ]، ودعا في عشرات المقاطع والآيات إلى إعادة بناء الإنسان الذي تنهض بنهوضه الجماعات والشعوب والأمم.

إن الصدق والإخلاص في العمل، والأمانة والاستقامة، ويقظة الضمير، والإحساس بالمسؤولية والنظافة، والذوق، والإيثار، والشجاعة، والتضحية، وغيرها من القيم الخلقية هي التي تبني المجتمعات المتحضّرة، وكلنا يذكر بيت ( شوقي ) المعروف:

**وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت     فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

واليوم، وبسبب من مضاعفات السوء التي ترتبت على الاحتلال البغيض، يشهد المجتمع العراقي حالة من التدهور الخلقي، والحضاري بالتالي، لم يشهد لها التاريخ مثيلًا.

إنها أشبه بلعبة ( الدومينو ) التي يتسلسل فيها تساقط القطع المرصوفة، الواحدة تلو الأخرى، حتى القطعة الأخيرة.

ولن تتوقف اللعبة، أو تكف تدحرجها السريع المنذر بالويل، إلّا بزوال السبب الرئيسي، ومعه وبعده جهد مثابر تبذله العائلة، والمدرسة، والمسجد، والإعلام، وكل قوى مؤسسات الدولة والمجتمع المدني على السواء من أجل غرس القيم الخلقية وإعادة بناء المواطن العراقي بما يمكنه من الإعانة على إقامة المجتمع المتحضر الذي نحلم به جميعًا.

**○ بإيجاز شديد، ما هي مرئياتكم حول « فتى العراق »؟**

* أنتظرها كل أسبوع وأقرؤها بشغف، وهكذا حال الكثيرين من ( الموصليين )، وأعتقد أن هذا وحده يكفي للحكم على صحيفة ما من الصحف: أن ينتظرها الناس، وأن يقرؤوها بشغف.

يومًا بعد يوم، وعددًا بعد آخر، تزداد حميمية، بقدر كونها تصدر في مدينة الموصل، فتعكس بصدق هموم المدينة، وأنشطتها المتنوعة، ومطالبها الملحّة، وعمقها التراثي الخصب.

وبدءًا من كلماتها الافتتاحية على صفحاتها الأولى، وانتهاءً باسبوعياتها على صفحاتها الأخيرة، يلمس المرء في رئيس تحريرها، الأخ والصديق الأستاذ ( أحمد سامي الجلبي ) حرصًا مكافحًا، وجهدًا موصولًا، في أن تكون ( فتى العراق ) صوت الموصل الأصيل، في زمن اختلطت فيه الأصوات، والتحم الذهب بالتراب.

الصور التراثية التي تتصدر صفحاتها، وقبلها أبيات الشعر التي تحمل حكمة العدد، والمعطيات الإخبارية المنتقاة بعناية، والتي تهم الناس العاديين والموظفين جنبًا إلى جنب مع الأدباء والمفكرين والمؤرخين والمثقفين... والشخصيات الموصلية والعراقية التي يعرف الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل العلاف - مستشار التحرير - كيف يقدمها للقراء... وعلماء الموصل الذين يعيدهم الأستاذ ( عبد الجبار جرجيس ) إلى الذاكرة كيلا يطويهم النسيان... وحتى الصفحة الأخيرة التي طالما قلت للأخ ( أبي صميم ) كم أنها ضرورية للقرّاء، ليعرفوا ما يخدم سويّتهم الصحية من ألوان الطعام والشراب.

وبين هذا وذاك جهود مثابرة للأخوين صميم الجلبي ويسار الدرزي، ومجموعة من الكتاب والأدباء الذين لا يتسع المجال لذكرهم.

وبين الحين والحين يعود بنا ( أبو صميم )، رئيس التحرير، إلى ماضي مدينتنا الحبيبة في تراثها، في أنشطتها الاجتماعية، في ملاعبها ورياضتها، وفي تقاليدها الجميلة التي كادت تغيب من ذاكرة الأجيال الناشئة، ولكنها ستظل في تاريخ الموصل شاهدًا عدلًا على ما كان يموج ويضطرب في شرايينها، مما يعرفه جيلنا جيدًا، ويحن إليه، حنين الطائر إلى وكره الضائع، في زمن ييس فيه كل شيء، ولم يبق لنا إلّا أن نرجع إلى الماضي، بين الحين والحين، لكي نمنح بذكرياته طعمًا لحياة كادت أن تفقد عمقها ولونها ورائحتها.

وأخيرًا، فليس ثمة ما أقوله للأخوة القائمين على ( فتى العراق ) سوى دعوتهم إلى المزيد من الالتحام بهموم المدينة، والدعاء لهم بأن يوفقهم اللّه سبحانه في خدمة وطنهم الغالي.

○ **لماذا تأخّرنا وتقدّم غيرنا؟!**

* منذ سنوات وأنا أعالج هذا الموضوع مع طلبة الدراسات العليا عبر تدريس مادة ( الفقه الحضاري ).

بؤرة الموضوع تتمحور عند الكشف على القوى الفاعلة التي توحّد الجماعات وتشكل الحضارات، وعلى شبكة الشروط الضرورية للفعل الحضاري الذي يتجاوز بالأمة حالة ( التخلّف )، ويتقدم بها إلى الأمام... على المستويات كافة.

لقد دُرّس الإسلام كحركة من أكثر من زاوية، ودُرّست مادة حضارة الإسلام في كل معاهدنا وجامعاتنا، لكن قلة منها هي التي حاولت التأكيد على كون الإسلام مشروع حضاري، وأضاءت القوى الدافعة في هذا الدين لنقل الأمة من الجاهلية إلى الحضارة... توحيدها والتقدم بها خطوات هائلة إلى الأمام.

إن النقلات الثلاث التي حققها الإسلام زمن انبعاثه: العقدية والمعرفية والمنهجية، وتأكيده المتواصل على السببية، والسننية التاريخية؛ اعتماد منهج البحث الحسّي التجريبي، وعلى أن العلم هو حجر الزاوية ونقطة الانطلاق، ودعوته للنزوع إلى الأمام،

وتحذيره من هدر الطاقة، وتأكيده على مبدأيْ ( الاستخلاف ) و ( التسخير )، وإصراره على ضرورة الإمساك بفيزياء الكتلة، وتوظيف الزمن، والتحصّن بالقوة، والتحقق بروح العمل والإبداع، ومجابهة التحزيب والإفساد، ورؤيته المدهشة للتوازن بين الثنائيات: ( الدنيا والآخرة، الأرض والسماء، الروح والجسد، الفرد والجماعة، الوحدة والتنوع، العدل والحرية... إلى آخره... )... والتناغم والوفاق مع الطبيعة والعالم والكون... ونبضه التحريري من كل صيغ الاستلاب والصنمية والطاغوتية... هذه كلها وضعت الشروط المناسبة والضرورية لتقدم الأمة حضاريًا، وتجاوز كل صيغ التخلف.

ومن وراء هذا كله منظومة من القيم الخلقية والسلوكية؛ كيقظة الضمير، والإحساس بالمسؤولية، والرقابة الإلهية الدائمة، والترغيب والترهيب، والصدق، والأمانة، وإتقان العمل، والرغبة في الإحسان... إلخ، والتي بدونها لن تتحقق الدفعة الحضارية ويطاح بالتخلف.

ثم جاءت المنجزات الواقعية لعصر الرسالة لكي تمنح الأمة حلقات أخرى من المعطيات التي تمكنها من الانفلات من أسر التأخر، ومن ثم التقدم إلى الأمام: التوحيد الذي أطاح بالشرك، والوحدة التي ألغت التجزّؤ، والدولة التي أزاحت القبيلة، والتشريع الذي ألغى العرف، والمؤسسة التي حلّت محل التقاليد، والأمة التي هزمت العشيرة، والإصلاح والإعمار اللذان جابها التخريب والإفساد، والمنهج الذي أزاح الفوضى، والخرافة والأهواء والظنون، والمعرفة التي ألغتِ الأمية، ثم الإنسان المسلم الجديد الملتزم بمنظومة القيم الخلقية والسلوكية المتجذرة في العقيدة في مواجهة الجاهلي المتمرّس على الفوضى والتسيّب، وتجاوز الضوابط، وكراهية النظام.

لقد تحقّق الغربيون بالكثير من المبادئ والقيم آنفة الذكر، من خلال تراكم خبراتهم الحضارية بطبيعة الحال، فتقدّموا، أما نحن فقد جعلنا بيننا وبينها سدًّا، فتخلّفنا.

وما من شكٍّ في أن استعارة أو استجداء منهج العمل من الآخر بهدف تجاوز التخلّف والتحقّق بالتقدم، لا تقرّه قوانين الحركة التاريخية، ولقد جرّبناه على مدى عشرات السنين فما ازددنا إلّا ضياعًا... وليس ثمة غير المشروع الذي وضعنا في قلب العالم يومًا، وهو قدير – إذا أُحسن الإصغاء إلى خطابه المحكم ومطالبه الأساسية – أن يعيدنا إلى الموقع نفسه كرة أخرى.

# اللقاء الثامن والثلاثون (*)

**○ كيف يمكن صياغة نظرية نقدية إسلامية؟**

* النصّ الإبداعي هو نقطة الارتكاز الأساسية للجهد الأدبي عبر طبقاته كافة: النقد والرؤية المذهبية والدراسة والتنظير.

ولقد شهد الأدب الإسلامي عبر ربع القرن الأخير معطيات خصبة في مجال الإبداع، راحت تلاحقها، بدرجة أقل، إضاءات نقدية، تؤكد وتوضح ملامحها الرؤيوية ( المذهبية )، فضلًا عن جملة من الدراسات والتنظيرات.

ورغم ذلك فإن الحاجة لا تزال قائمة لبلورة منهج متميز في تحليل ودراسة الخطاب الأدبي، وأغلب الظن أن المسألة مسألة وقت فحسب.

**○ وكيف يمكن صياغة فكرة عن العلاقة بين الإسلام والأدب من منطلق استحضار واقعين: واقع يكون فيه الإسلام خارج المؤسسات، بمعنى أن المؤسسات تدار من قِبَل غيره، وواقع يمتلك فيه الإسلام إدارة وتسيير هذه المؤسسات؟**

* الأدب في الحالتين يرفض أن يكون خطابًا فكريًّا ( أيديولوجيًّا ) مباشرًا، وإنما هو يتشكل داخل تجربة هذا الأديب أو ذاك، في صميم معاناته وحساسيته تجاه العالم والخبرات والأشياء.

عندما يكون الإسلام خارج المؤسسة يجد الأديب المسلم نفسه إزاء حالة مزدوجة من الرفض والحلم... رفض ما هو خارج أو نقيض لطبائع الأشياء؛ حيث يستبعد منهج اللّه سبحانه عن مهمته الأساسية في إعادة صياغة الحياة... والحلم بيومٍ يتحقق فيه الوفاق المرتجى بين اللّه سبحانه والإنسان.

حينذاك قد يتحول الخطاب الأدبي إلى محاولة مكافحة لحماية وتأكيد هذا الكسب الكبير للحياة البشرية.

وأعتقد أنّنا – في الحالتين – نتفق على ضرورة تجاوز المباشرة، والمضمونية، والبحث –

(*) حوار حول الأدب الإسلامي أجراه في الموصل الأخ الأستاذ فهمي أحمد محمد في ربيع ( ٢٠٠٨م ).

بدلًا عن ذلك - عما يسميه النقاد « النسبة الذهبية » التي تتعاطى مع الأفكار والتصوّرات والخبرات بأكبر قدر من استدعاء القيم الفنية والجمالية.

وفي الحالتين - أيضًا - لا يصبح الهمّ الفكري أو السياسي، هو المساحة الوحيدة لحركة الأديب المسلم، وإنما هي حلقة في مدى ينفسح فيه الأفق، ويجد الأديب المسلم نفسه أمام فضاءات لا حدود لها، وخبرات لا حصر لها، من فرص التعبير عن تجربته الإبداعية.

إن الأديب المسلم هو من أكثر الأدباء انفتاحًا على العالم والوجود والطبيعة والمصير... إنه - إذا جاز التعبير - إنسان كوني، ينطلق من خصوصياته بكل تأكيد، ولكنه يمضي لكي يلامس كل صغيرة وكبيرة تحت سماء اللّه الواسعة...

وإذا استدعينا عبارة « رجاء جارودي » في « وعود الإسلام » وأحلناها على معطيات التيارات الأكثر حداثة في الأدب الغربي وبخاصة « السريالية » و « العبثية » و « التفكيكية » بخلفياتها الفلسفية؛ فإننا سنجد كيف أن مشكلة الإنسان المعاصر ذات بُعْدٍ كونيٍّ وكيف أن الجواب لا بدّ أن يكون كونيًا... وأعتقد أن هذا يكفي.

**○ هل يرتبط الأدب الإسلامي بالفترات الزمنية المتعاقبة بعد ظهور الإسلام، أم أنه أصبح كِيانًا يتواتر خارج الحقب؟**

* هذا ما حاولت أن أقدّم بخصوصه الإجابة في البحث الذي قدمته للملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي الذي عقده المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية في فاس بالمغرب في المدة ( ٢٠ - ١٨ آذار ٢٠٠٤م ).

ولن يتسع المجال - بطبيعة الحال - لتفصيل القول في الموضوع الذي حَمَلَ عنوان: « مفهوم الأدب الإسلامي: إشكالية العمق التراثي »؛ ولذا فإنني سأوجزه ما وسعني الجهد.

لم يتم التوصُّل - بعد - بين الأدباء الإسلاميين، على الحدّ الزّمني، أو البداية التاريخية لحركة الأدب الإسلامي بمفهومها ( المذهبي ) بمعنى: الأدب الذي يملك رؤيةً أو تصوّرًا للحياة والوجود والإنسان والمصير.

فالبعض يذهب إلى أن نقطة البداية كانت في تأشيرات الشهيد سيد قطب ومعطيات الأستاذ محمد قطب في كتابه المعروف ( منهج الفن الإسلامي ) والدكتور نجيب الكيلاني في كتابه ( الإسلامية والمذاهب الأدبية ). والبعض الآخر يرجع قليلًا في الزمن إلى الوراء... إلى ما قبل منتصف القرن الماضي؛ حيث إبداعات علي أحمد باكثير وأحمد محرم والرافعي وعلي الطنطاوي... إلخ.

بينما يذهب آخرون والأكاديميون على وجه الخصوص، إلى أن هذا الأدب بدأ مع ظهور الإسلام ( حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد اللّٰه بن رواحة... إلخ ) ثم راح يشق طريقه كمًّا ونوعًا عبر العصور التالية... وهم ينزعجون أشد الانزعاج من وضع حدّ فاصل لهذا الأدب بين « المعاصر » و « التراثي ».

سيحاول البحث متابعة هذه الإشكالية، ووضع اليد على الإجابة الصحيحة بخصوص العمق التاريخي لهذا الأدب الذي أخذ يتأكد أكثر فأكثر عبر العقود الأخيرة، ويمثل حضورًا واضحًا في العمق والاتساع، بين آداب العصر ومذهبياته المعروفة.

وهذا الحضور يتطلب بالضرورة الإجابة على السؤال الذي يفرض نفسه: متى بدأ هذا الأدب ينسج حيثياته، ويقدّم معطياته؟ وما هي طبيعة العلاقة بين المعطى التراثي والنتاج المعاصر؟ وهل ثمة ظاهرة – أية كانت – تتشكل فجأة دونما جذور أو مقدمات؟

إنها إشكالية ترتبط أشد الارتباط بالمفهوم نفسه، ولابد من تقديم الجواب.

ابتداءً، فإنه ليس ثمة حركة فكرية أو ثقافية، أو حتى أدبية، تتشكل في الفراغ، أو بشكل مفاجئ، وإنما هي حصيلة عمق زمني قد يطول وقد يقصر، ولكنه متحقق في كل الأحوال بصيغة خبرات ينضاف بعضها إلى بعض لكي ما تلبث مساحتها أن تتسع وتنداح بعيدًا عن نقطة المركز، تمامًا كما يحدث في عالم الطبيعة؛ حيث تتجمع مياه العيون والجداول، لكي ما تلبث أن تصير نهرًا ولكي يصب النهر في البحر الكبير.

ظاهرة الأدب الإسلامي تخضع هي الأخرى للقانون نفسه، ولكن بما أنها ليست حالة بسيطة أو وجهًا واحدًا، تجعل المرء يتريث قليلًا في إصدار حكمه، فلا ينزل مسطرته على المعطى الأدبي ويصدر حكمًا قاطعًا، وإنما عليه أن يبحث في طبقات المعطى وسياقاته، عن المفاصل التي تمكنه من تقديم تحليل أكثر دقة وموضوعية، يرى

في بعض الحلقات، لهذا السبب أو ذاك، مما سنؤشّر عليه، ولادة جديدة، ويرى في بعضها الآخر امتدادًا تاريخيًّا، أو تشكلًا عبر صيرورة الزمن قد ترجع بداياتها الأولى إلى ظهور الإسلام نفسه.

باختصار شديد، إن ما هو جزء أساسي في التكوين الثقافي الأدبي لهذه الأمة؛ كالإبداع الشعري مثلًا، ليس كالذي طرأ عليها أو استعير من الآخر ( الرواية أو المسرحية مثلًا... ).

في الحالة الأولى تصير حركة الشعر الإسلامي المعاصر امتدادًا للعمق التراثي بكل تأكيد، وتصير الرواية الإسلامية أو المسرحية، أو حتى القصة القصيرة، وليدة العصر الراهن، رغم ما يقالُ من أن هناك محاولات أو نويات لهذه الأجناس في تراثنا الأدبي. فالتحليل هنا ينصبّ على التيار الأوسع، على القاعدة العريضة وليس الاستثناءات المبعثرة هنا وهناك.

كذلك الحال بالنسبة للجهد النقدي والتنظيري، ففي أولهما نجد أنفسنا ملزمين بالرجوع إلى الجذور، إلى العمق التراثي الذي ينطوي على شبكة خصبة من المعطيات النقدية، أما في ثانيهما فالأمر يختلف... فما قدّمه الإسلاميون في دائرة التنظير، يكاد يكون كشفًا جديدًا، جاءت إضاءات ( الآخر ) المتدفقة كالسيل فزادته غنى واتساعًا.

وقد يكون هذا، أي التنظير المعاصر لحركة الأدب الإسلامي، هو ما أوهم الكثيرين من الإسلاميين أنفسهم، بأن حركة الأدب الإسلامي المعاصر: معاصرة في تكوينها كلّه، وأن ليس ثمة ارتباط ما بينها وبين معطيات الآباء والأجداد.

لنتذكر - مرة أخرى - أن المعطى الأدبي ليس وجهًا واحدًا، أو حالة بسيطة، وإنما هو وجوه أو حلقات يرتبط بعضها ببعض وينبني بعضها على بعض، فهناك:

١ - المعطيات الإبداعية وفق أنواعها المعروفة، والتي تشكل قاعدة البناء كله.

٢ - المنظور أو الرؤية الشمولية التي تتشكل في ضوئها هذه المعطيات فتتكون بموجبها.

٣ - مدرسة أو مذهب أدبي؛ كالكلاسيكية أو الرومانسية أو الواقعية أو الوجودية... إلخ...

٤ - الجهد أو المنهج النقدي الذي يسعى لإضاءة الأسس الجمالية للنص الإبداعي وتحليله، فيضع له المبادئ والقواعد والأصول، ثم يبدأ في تنفيذها وصولًا إلى قيمه الفنية ودلالاته المضمونية، وطبيعة ارتباطه بالمنظور وبالمذهب الذي يندرج تحته.

٥ - الطريقة أو المنهج الذي يدرس الحركة أو الظاهرة الأدبية عبر مساراتها الشاملة في الزمن والمكان، وفي ضوء قوانينها وارتباطاتها الداخلية الصميمة ( ويجيء تاريخ الأدب لكي يندرج تحت هذا المساق ).

٦ - النظرية التي تلمّ هذه المساحات وتنطوي عليها جميعًا.

فالنشاط الأدبي ليس إبداعًا فحسب، كما أنه ليس قراءة نقدية للنص الإبداعي فحسب، وإنما هو - فضلًا عن هذا وذاك - مذاهب ومدارس في الإبداع تتشكل وفق المنظور أو الإطار الشامل الذي يتخلّق الجهد الإبداعي في رحمه. كما أنه ( مناهج ) و ( طرائق ) لدراسة الأدب وتصنيفه وفق سياقاته في الزمن والمكان، وفي ضوء قوانينه وارتباطاته الداخلية، ثم هو في نهاية الأمر نظرية شاملة تلمّ هذا كلّه وتبحث عناصر الارتباط والتأثر والتأثير بين طبقاته، وتؤشر على النسب والأبعاد بين معطياته، ثم تسعى لاستخلاص التوجُّهات الشمولية التي تندرج وتصب فيها مفردات النشاط الأدبي كافة لكي تصنع أو تصوغ توجها ذا شخصية محددة وملامح متميزة.

صحيح - مرة أخرى - أن ثمة ارتباطًا من نوع ما بين هذه المساقات أو الحلقات الست، ولكنه ليس بالضرورة ارتباطًا بينها جميعًا؛ فقد يكون بين حلقتين أو ثلاث، وتظل الحلقات الأخرى أو بعض مفاصلها سائبة حرة قد تتأثر بالحلقات الأخرى، وقد تؤثر فيها، وقد لا تتأثر أو تؤثر بحال.

في ضوء هذه الحقيقة يجد دارسو حركة الأدب المعاصر أنفسهم أمام فضاء مفتوح لرؤية أكثر مرونةً واتساعًا، تمكنهم من سبر غور هذا الأدب وربط بعض حلقاته بعمقها التراثي الموغِل في الزمن، والتأشير على حلقات أخرى باعتبارها نتاجًا ( مستحدثًا ) إذا صحّ التعبير.

وفي الحالتين، فإننا سنتحرك وفق منطق الفعل الحضاري وقوانينه المعروفة في ثنائياتها كافة: التقليد والابتكار... الثابت والمتحول... الأنا والآخر... المحلي

والعالمي، الأمة والبشرية... فليس ثمة حضارة من الحضارات إلّا وتجد في تكوينها هذين النمطين من الخبرات الخاصة والعامة. بل إن الصيرورة الحضارية، أي التنامي الحضاري، لن يتحقق إلّا بالتقاء القطبين، وإلّا ساقت نفسها إلى المأزق، أو الطريق المسدود، متمثلًا حينًا بالعزلة والانغلاق الذي يقود إلى التجمّد والسكون، وحينًا آخر بالانفتاح السائب أو المنفلت الذي يقود إلى فقدان الهوية والضياع.

والأمر نفسه ينطبق على الجهد الأدبي، بما أنه أحد الأوجه المتميزة لثقافات الأمم والشعوب، ولحضاراتها في نهاية الأمر.

* * *
* *
*

# اللقاء التاسع والثلاثون (*)

**○ نود منكم إلقاء الضوء حول البعد الإسلامي في الجامعات العراقية.**

* تعاني الجامعات العراقية نقصًا ملحوظًا في العناصر الإسلامية في شتى السياقات الإدارية والتدريسية والطُّلابية ( إلى حدّ ما )، كما تعاني في الوقت نفسه من التناقض الواضح بين القيم والتصوّر الإسلامي وبين الفلسفة التي تنبثق عنها مناهج هذه الجامعات والتصوّر الذي تصدر عنه في تحقيق رسالتها، هذا فضلًا عن التناقض بين مطالب الإسلام السلوكية وبين ما يشهده المجتمع الجامعي من تحلّل أحال الجامعات إلى مراكز للتخريب والهدم أكثر مما هي مؤسسات للتربية والبناء.

ولغرض إزالة هذه التناقضات لا بدّ من إيجاد تخطيط منظم ومتكامل يستهدف على المدى القريب والبعيد إعادة صياغة وظيفة هذه المؤسسات وبلورة رسالتها بما ينسجم والمطالب الإسلامية.

ومن المعروف أن أية جامعة تشمل ثلاثة جوانب أو دوائر رئيسية هي الجانب الإداري والجانب الطلابي والجانب المهني.

**ولنبدأ بالجانب الأول:**

١ - هناك نوعان من الوظائف: تخطيطية وتنفيذية، تشرف أولاهما على رسم سياسة الجامعة واتجاهها، وتحديد معالمها الأساسية. أما ثانيتهما فلا يتجاوز عملها نطاق التنفيذ والتكييف الفني للخطط التي ترسمها الفئة الأولى.

٢ - ولا بدّ - إذن - من اختيار العناصر الكفوءة لشغل المناصب التخطيطية من أجل إعادة توجيه الجامعة وجهة إسلامية أصيلة، وهذه المناصب محددة بعدد ضئيل، أما أغلبها فيدخل ضمن الفئة التنفيذية، ولن يؤثر على سياسات الجامعة أن يُعيّن فيها موظفون غير إسلاميين ما داموا ملتزمين بتنفيذ البرامج التي ترسمها الفئة الأولى.

٣ - وفي حالة عدم توفّر العناصر المطلوبة لشغل المناصب التخطيطية فإنه يمكن أن

---

(*) جوابًا على سؤال حول تفعيل البعد الإسلامي في الجامعات العراقية... ( ٢٠٠٨م ).

تشغلها عناصر حيادية على أن يقوم رئيس الجامعة وبعض مساعديه بنوع من الإشراف غير المباشر على سير الأمور في تلك المناصب ومعرفة مدى التزام أصحابها بالخط العام لسياسات الجامعة.

٤ - تشجيع العناصر غير المتخصصة لإكمال دراستها في شتى الميادين من أجل ملء أكبر عدد ممكن من المناصب الإدارية بالعناصر التي تتميز بالكفاءة والالتزام، ويمكن تحقيق ذلك بحصر فرص التخصّص بالعناصر المذكورة، وانتقاء بعض العناصر الممتازة من العاملين في حقل التربية لكي تتخصّص، وحجب ذلك عن الآخرين، واستقدام العناصر الملتزمة من خارج الجامعة لشغل المناصب الحسّاسة لحين توفّر العناصر الملتزمة داخل الجامعة.

٥ - ولا ريب أن الإنجازات العملية وتنفيذ المزيد من مشاريع الإنماء والتوسّع في ميادين الجامعة المختلفة؛ يعتبر محكًّا عمليًّا يدلّ على مدى نجاح الإدارة أو فشلها في مهمتها؛ ولذا وجب أن يبادر المسؤولون إلى أن يضعوا نصب أعينهم تنفيذ أكبر قدرٍ ممكن من المشاريع والإنجازات لكي يثبتوا وجودهم في ميدان عملهم. ويمكن أن يتمّ التعاضد بين الجامعة وبين المؤسسات الأخرى لتحقيق هذا الهدف.

**فإذا جئنا إلى القطاع الطلابي..**

فإننا سنجده أشد الحلقات أهمية في ميدان التغيير المطلوب نظرًا لتأثيره المؤكد في مجالي السياسة والمجتمع، الأمر الذي يجعله يسهم في مستقبل الأمة. ولا بدّ هنا من ملاحظة المسائل التالية:

١ - عدم استفزاز الطلبة بإحداث تغييرات مفاجئة وهزّات عنيفة في محيطهم الطلابي، ولا بد من اعتماد الحكمة والتغيير التدريجي بعيد المدى من أجل كسبهم المضمون إلى خط الالتزام. فإن إصدار أمر مستعجل بضرورة التقيّد بالحجاب - مثلًا - قد يجلب من ردود الأفعال السلبية أكثر مما يحقق من المنافع. ويمكن - إذن - ترك أمر كهذا لحين تهيئة الأرضية الفكرية والنفسية الكفيلة بضمان نجاحه.

وإذا ما أحسّ الطلبة أن التعليمات سوف لا ترغمهم بالتزامات قد تكون صعبة للتنفيذ على بعضهم في الأقل، فإنهم قد يتحولون طواعية إلى خط الالتزام وسيفقدون أي مبرّر لإحداث المشاكل ووضع العقبات في طريق التعليمات.

٢ - في الجانب الآخر يمكن كسب الطلبة عن طريق تقديم المزيد من الإغراءات والمكاسب التي تربطهم ربطًا واقعيًا بسياسات الجامعة؛ كتوسيع أبواب القبول، والخدمات، والأقسام الداخلية والمخصّصات المالية، وكذلك إحداث بعض التيسيرات في المناهج والنظم الامتحانية لفترة من الوقت لتحقيق هذا الكسب، على ألّا يمسّ هذا سلطة الجامعة وهيبتها وكلمتها النافذة.

٣ - اعتماد أسلوب موضوعي في مجال القبول من أجل ترسيخ الثقة في نفوس الطلبة وعدم إعطائهم أية فرصة للطعن في سياسات الجامعة.

٤ - وضع برامج مدروسة لتشكيل اتحاد طلّابي يأخذ على عاتقه مهمة التنظيم والتغيير في مجال النشاط الطلابي على أن تعطاه صلاحيات واسعة، وتعهد قياداته لعناصر تتميز بالكفاءة والالتزام الخلقي ومحبة الطلبة.

٥ - إيجاد تعاون وثيق بين الرئاسة وأعضاء الهيئة التدريسية والطلبة من أجل تكوين مجتمع جامعي متماسك يسوده التعاطف والمحبة والتعاون، وتنمحي فيه كل عوامل العزلة والقطيعة، ويمكن تأكيد ذلك بمزيد من الانفتاح على المجتمع في الخارج، وإشراك الطلبة بفعاليات أكثر، ومنحهم أدوارًا لا أكاديمية؛ كالسفرات والحفلات والمسابقات والندوات... إلى آخره...

٦ - ربط النشاط السياسي الطلابي بأشد القضايا حيويةً وواقعيةً من مثل مستقبل العراق والقضية الفلسطينية ومشاكل العالم الإسلامي. ولتحقيق ذلك لا بدّ من إجراء توعية على أساس إسلامي باستخدام سائر الوسائل والفرص التثقيفية؛ كالكتاب والصحيفة والمجلة والمدرّس والمحاضرة والإذاعة والتلفزيون والسينما... إلخ.

٧ - توسيع الأنشطة اللا أكاديمية من أجل ملء فراغ الطلبة وإعدادهم لأن يكونوا أكثر إيجابيةً وتوافقًا مع المجتمع المنشود، بدلًا من أن يكونوا أدوات هدم وتخريب، فهنالك النشاطات الرياضية، والفعاليات الفنية والأدبية والاجتماعية واللقاءات والمهرجانات والسفرات.

ويمكن تشكيل لجنة مشتركة من الإداريين والمدرّسين والطلبة للإشراف على هذه الأنشطة وتوجيهها توجيهًا سليمًا.

المناهج:

مشكلة المناهج أنها في حاجة إلى تغيير شامل وإعادة صياغتها بما ينسجم والتصور الإسلامي بحيث تؤدِّي دورها في تخريج العناصر الإسلامية الكفوءة التي لا يخترقها أيّ إحساس بالازدواج بين متطلبات الدين ومعطيات العلوم المختلفة. ويمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق:

١ - تكليف الأقسام العلمية في الكليات المختلفة بدراسة المناهج المعمول بها كل حسب اختصاصه وتقديم تقارير مفصلة عن أسسها وسماتها الرئيسية والبدائل الممكنة.

٢ - تشكيل لجنة مركزية من رئيس الجامعة ومساعديه والعمداء ورؤساء الأقسام، وعدد من كبار المختصين داخل الجامعة وخارجها لدراسة هذه التقارير وتشكيل حلقات بحثية لوضع مناهج جديدة تنسجم والثوابت التصوّرية للإسلام، مع التأكيد على أهمية العلوم التطبيقية ( التكنولوجية ) من جهة، وإيلاء اهتمام أكبر بالعلوم الإنسانية نظرًا لما لها من أهمية بالغة في تكوين التصوّر السليم لدى الطلبة. هذا مع تصميم مقرّر ثقافي عام يُعطَى للطلبة كافة في مختلف الكليات؛ للاطلاع على أسس التصوّر الإسلامي ومقوماته والملامح الأساسية للتاريخ والحضارة الإسلامية، فضلًا عن المبادئ الأساسية للعلوم الإسلامية.

٣ - استقدام محاضرين وعلماء كبار من داخل القطر وخارجه في مختلف التخصصات للإعانة على تمكين الجامعة من أداء مهمتها بما يعزّز الرؤية الإسلامية للحياة في عقول الطلبة.

٤ - إصدار دوريات لتعزيز قيم المناهج الجديدة ونشر الوعي الفكري باعتباره القاعدة الأساس لتقبل معطيات تلك المناهج.

* * *
* *
*

# اللقاء الأربعون (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ولدي العزيز الدكتور شعلان عبد القادر حفظه اللّه

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، وبعد:

* اطلعت على الدراسة المقدمة من قبلكم وعدد من تدريسيي كلية أصول الدين بصدد تأسيس ( قسم الفكر الإسلامي والدراسات الاستشراقية ) فبارك اللّه في جهودكم المخلصة...

**وإليكم بعض الملاحظات:**

**أولًا:** أن تأسيس قسم للفكر الإسلامي والدراسات الاستشراقية في كلية معنية بأصول الدين؛ يعد من الضرورات القصوى من أجل جعل الخرّيج يتحرك في قلب العصر، مُلِمًّا بأكبر قدر من علومه ومعارفه ( الإنسانية ): ( علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، الاقتصاد، التيارات الفكرية المعاصرة، علم الاستغراب، الإعلام )... إلخ، ويا حبذا لو أضيف إليه ( الفقه الحضاري ) المعني بنمو الأمم والحضارات وأفولها، وقوانين الحركة التاريخية، والمعطيات الأكثر حداثة من مثل نظريتَي ( نهاية التاريخ ) و ( صراع الحضارات ) والنظام العالمي ذي القطبية الأحادية... و ( العولمة )... إلى آخره...

المهم أن تأسيس القسم المذكور سيساهم بشكل فعّال في إخراج طلبة العلوم الإسلامية من عزلة المائة وربما الخمسمائة عام التي كانوا يعانون منها ويضعهم في قلب العصر عناصر فاعلة حركيًا ودعويًا وإعلاميًا وفكريًا.

كما أن إلحاق الدراسات الاستشراقية بهذا القسم يعد هو الآخر خطوة ضرورية وعملًا رائدًا، ليس فقط على مستوى كليات العلوم الإسلامية، وإنما الإنسانية كذلك.

**ثانيًا:** بالنسبة للدراسات الاستشراقية، ومن أجل تنمية الحسّ النقدي والرؤية

---

(*) جوابًا حول مقترح بتأسيس قسم للفكر الإسلامي والدراسات الاستشراقية بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في بغداد في شتاء عام ( ٢٠٠٩م ).

المنهجية الموضوعية لدى الطالب الجامعي، يستحسن إضافة مفردة تحت عنوان ( المعطيات الاستشراقية بين السلب والإيجاب )؛ لأن المستشرقين قدّموا في الجانبين الشيء الكثير. أما السلب فأمره معروف، وأما الإيجاب فمن الضروري تسليط الضوء عليه لتعزيز الثقة بالقيمة العليا لهذا الدين قرآنًا ونبيًّا، وعقيدة وشريعة، ورجالًا وحضارة وتعاملًا مع الآخر؛ إذ إن الشهادات التي تنطلق من أفواه غير المسلمين تحمل دلالتها المهمة في هذا المجال، فضلًا عن أن جهدًا كهذا سيحقّق التوازن إزاء سلسلة من المؤلفات والبحوث التي أدانت الاستشراق.

وقد سبق وأن أنجزتُ كتابًا موسَّعًا في هذا السياق بعنوان ( قالوا عن الإسلام ) يتضمن مئات الشهادات الإيجابية التي صدرت عن عشرات المستشرقين، مع التعريف بكل واحد منهم، ومقدمة مستفيضة عن الاستشراق بين السلب والإيجاب.

**ثالثًا:** هناك نقص ملحوظ في دراستكم المقدمة حول الموضوع بخصوص الكتب المنهجية التي ستعتمد في تدريسه؛ وقد سبق وأن أعانني الله سبحانه على إنجاز ثلاثة عشر كتابًا في معالجة الظاهرة الاستشراقية يمكن الاطلاع على عناوينها في المحاضرة التي سأرفق نسخة منها لكم والتي سأشارك فيها في المؤتمر العلمي لكلية آداب جامعة الموصل في نيسان القادم بإذن الله، بعنوان ( تجربتي مع الاستشراق ) على مدى خمسين عامًا.

**رابعًا:** بالنسبة لمفردات مادة ( شخصيات فكرية معاصرة ) من الضروري إلغاء كل من الماوردي وابن خلدون فهما غير معاصرين، وإضافة كل من المودودي والندوي ومالك بن نبي لتحقيق التغطية الجغرافية لعالم الإسلام.

**خامسًا:** بالنسبة لمادة ( قضايا فكرية ) يفضل إضافة المفردات التالية: حقوق الإنسان بين الإسلام والمنظور الغربي، نظرية نهاية التاريخ، نظرية صراع الحضارات، العولمة، المسلم والآخر، حوار الحضارات، مكانة المرأة والأسرة... إلى آخره ...

**سادسًا:** بالنسبة لـ ( إسلامية المعرفة ) يمكن إضافة كتابي ( مدخل إلى إسلامية المعرفة ) الذي كلفني بإنجازه المعهد العالمي للفكر الإسلامي، إلى جانب كتاب ( الفاروقي رحمه الله ) كمراجع منهجية للمادة.

**سابعًا:** بالنسبة لمادة ( علم الاستغراب ) التي ستدرس في السنة الرابعة، لا بدّ من توفر كادر مناسب من التدريسيين الملمّين باللغات الأجنبية الأساسية كالإنكليزية والفرنسية والألمانية، لتحقيق الرصد العلمي المطلوب من منابعه الأصلية.

* * *
* *
*

## اللقاء الحادي والأربعون(*)

○ **كيف ترى حضور المسرحية الإسلامية في الأدب المعاصر؟**

* لا تزال المساحة التي تغطيها محدودة، قياسًا على المسرحية العالمية، أو حتى العربية المعاصرة، فنتاجنا الأدبي الإسلامي غزير في بعض الأجناس، وبخاصة الشعر والقصة القصيرة، شحيح في أجناس أخرى؛ كالمسرحية والرواية والسيرة الذاتية. ونحن بأمسّ الحاجة إلى تفعيل نتاجنا المسرحي نوعًا وكمًّا؛ لتحقيق التوازن المطلوب، ولتمكين المسرحية الإسلامية من الحضور في قلب الساحة الأدبية.

○ **ما رأيك بكُتَّاب المسرحية الإسلامية، ونتاجهم المسرحي؟**

* على قلة عطائهم فإنهم يَعِدُون بمستقبل طيب لهذا الجنس الأدبي، شرط أن يعطوا المطالب الفنية للمسرح اهتمامًا أكبر، وألّا يرموا بثقلهم باتجاه المضمون، وشرط أن ينكَبُّوا على قراءة الأعمال المسرحية العالمية بنهم لكي ينمّوا ويعمقوا خبرتهم في هذا المجال. فهي والحق يقال تُعلّم الكثير.

○ **لماذا كتب عماد الدين خليل المسرحية؟ وهل تحقق مراده من ذلك؟ وهل أنت راضٍ عن نتاجك المسرحي؟**

* كتبت المسرحية؛ لأنها أكثر الأجناس الأدبية توتُّرًا وتركيزًا واقتصادًا في اللغة وإيغالًا في منحنيات النفس البشرية، وتأجيجًا للصراع في مستوياته كافة... أما تحقيق المراد فهو مطلب عسير... فدائمًا تكون القدرة أقل مساحة من الطموح. ومع ذلك فأنا أحس بقدر من الرضا بعد إنجاز ثمانية أعمال مسرحية؛ هي: ( المأسورون ) و ( الشمس والدنس ) و ( المغول ) و ( الهمّ الكبير ) و ( التحقيق ) و ( معجزة في الضفة الغربية ) و ( خمس مسرحيات إسلامية ) و ( العبور ). وقد صدرت جميعًا في طبعتها الجديدة عن دار ابن كثير في بيروت ودمشق.

(*) حوار عبر الإنترنت مع مجموعة من طلاب كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كُلّفوا بإعداد ندوة أدبية تحت عنوان « الدكتور عماد الدين خليل كاتبًا مسرحيًا » في ( ١٧/ ٤/ ١٤٢٩هـ )، ( ٢٠٠٩م ).

○ **بأي الكُتَّاب المسرحيين تأثر الدكتور عماد الدين؟**

* يصعب على المرء أن يحدّد مصدر التأثير في أي جنس أدبي يتعامل معه، ولكن يبقى هناك نوع من الأفضلية والتأثير الأشد لعدد من الكتاب المسرحيين؛ أذكر منهم على سبيل المثال: تنيسي وليامز، جورج برناردشو، يوجين يونسكو، جايلزكوبر، بيرندللو، يوجين أونيل، جان آنوي، تشيخوف، اليخاندرو كاسونا، أرمان سلاكرو، البير كامي، ثورنتون وايلدر، وشكسبير بطبيعة الحال. أما المسرحيون العرب فقد قرأت كل أعمال توفيق الحكيم، ومعظم أعمال مصطفى محمود، وكل المسرحيات الشعرية لأحمد شوقي، وبعض أعمال علي أحمد باكثير، وتأثرت بالعديد مما كتبوه.

○ **أيُّ المسرحيات التي أعجب بها الدكتور عماد الدين خليل؟**

* هذا امتداد للسؤال السابق، فلقد أعجبت بالعديد من أعمال الكتاب المسرحيين الذين أشرت إليهم قبل قليل. وأذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمد الرسول وأهل الكهف، وشهرزاد، وبيجماليون لتوفيق الحكيم، ومجنون ليلى وعنترة ومصرع كليوباترا لأحمد شوقي، والإنسان والظل، والشيطان يسكن في بيتنا، والإسكندر الأكبر، وغوما لمصطفى محمود، والدودة والثعبان لباكثير، والخال فانيا، وبستان الكرز، وطائر البحر لتشيخوف، والعادلون وسوء التفاهم لألبيركامي، وبلدتنا لثورنتون وايلدر، وقطة على نار وهبوط أورفيوس لتنيسي وليامرز، وسبع مسرحيات وفاصل غريب ليوجين أونيل، والليلة نرتجل لبيرندللو، والقديسة جون وبيجماليون وأنطونيو وكليوباترا لبرناردشو، وخمس مسرحيات طليعية ليوجين يونسكو، ومركب بلا صياد والأشجار تموت واقفة لاليخاندرو كاسونا، وليالي الغضب لسلاكرو، وكل شيء في الحديقة لجايلز كوبر، وبكت وروميو وجانيت لجان آنوي، وماكبث وعطيل لشكسبير.

* * *
* *
*

# اللقاء الثاني والأربعون(*)

**○ في مقابلة شخصية مع الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، بتاريخ ( ١٤/ ٥/ ٢٠٠٩م )، أعلمني بأنه وضع اللمسات الأخيرة لروايته ( السيف والكلمة ) عام ( ٢٠٠٢م )، بعد ست سنوات من العمل المتواصل حينًا، المتقطع أحيانًا، وأنه تركها مع جملة من مؤلفاته غير المنشورة بانتظار الفرصة المواتية.**

فلما جاءت واقعة الاحتلال البغيض، في آذار عام ( ٢٠٠٣م )، وما رافقه من أحداث ومعطيات، دُهش للتطابق المذهل بين معظم مفردات الرواية، وبين ما شهده العراق زمن الاحتلال، ورأى أن يسارع في نشرها، بعد أن طلب من الناشر وضع عبارة الفيلسوف الإيطالي ( بنيديتو كروتشه ) الدالّة على صفحتها الأولى: « التاريخ كله تاريخ معاصر » والتي أوحت إلى الناشر بأن يضع على واجهة الغلاف الخلفي للرواية، تعريفًا بها يحتوي على العبارات التالية: « من خلال العراق الذي يغزوه هولاكو قاتلًا مدمّرًا صَرْح الحضارة والعلم، نرى ملامح عراق اليوم الذي يتعرض للمحنة مرة أخرى. بهذه الروح يكتب عماد الدين خليل هذه الرواية، التي في كل أجوائها تستمد من التاريخ ما يعين على قراءة حال العراق اليوم الذي يتعرض مرة أخرى للغزو، ولحرب فتنة تهدد بأبشع الخراب ».

ويضيف كاتب الرواية بأن الروائي كالشاعر تمامًا، قد يمارس التنبّؤ على طريقته الخاصة، لا سيما إذا كان عمله ينطوي على نبض شعري من بدئه حتى منتهاه... فما وضعه في ( السيف والكلمة ) أعيدت واقعته السوداء مرة أخرى في الساحة العراقية بتطابق مذهل، أثار دهشتي الشخصية قبل غيري من القرّاء والناقدين.

وكنت في اثنتين من قصائد ديوان ( ابتهالات في زمن الغربة ) ( الذي أعادت طبعه دار ابن كثير في بيروت ودمشق عام ٢٠٠٦م ) كتبتا في ثمانينيات القرن الماضي، وهما ( مشاهد من سفر الرؤيا ) ( صفحة ٢١ ) و ( المدينة والحلم ) ( صفحة ٥٧ ) قد ألمحت إلى المطر الأسود الذي سيجتاح العراق...

---

(*) مقابلة شخصية أجراها طالب الدكتوراه محمد صالح الجبوري الذي كان يكتب أطروحته للدكتوراه عن رواية ( السيف والكلمة ) لقسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة الموصل، في ( ١٤/ ٥/ ٢٠٠٩م ).

قلت في مطلع القصيدة الأولى:

« رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحار.
عاصفة تهب من مكامن الضلال.
عنيفة كموجة عاتية بحريّة.
مخيفة كنفحة كونيه.
تجتاز ألف سنة ضوئيه.
من أجل أن تمطرنا بالنار والأحجار.
من أجل أن تصفعنا بالويل والثبور والدمار.

* * *

« رأيت فيما يلحظ النائم في الأسحار
دوّامة تهب كالإعصار
مترعة بالنار
أنت على الديار
فطوّحت بالزهر والثمر
وأصبحت عيوننا من كثرة الغبار
كأنها قد نسيت إطباقه الأجفان
اعتادت السهر
وغاب في منظورها البؤبؤ والإنسان ».

وقلت في القصيدة الثانية مخاطبًا صديقًا في بلد بعيد:

« أبا صالحٍ والزمان الكئيب ... يقلّب شدًا بنا وارتخاءَ
ونشعر حينًا بأن يدًا ... تريد لتحجب عنا السماءَ
ونشعر أنا نضيع وأنّا ... نعاني من الاختناق بلاءَ

* * *

أبا صالحِ والليالي حبالى وقد طليت خدعة ورياءً
وما ثم خلف الرداء المزيـ ـف غير الهلاك أذى وابتلاءً
وإني لألمح في أفقها سحابًا سيمطر فينا الوباءَ
وإني لأسمع في رحمها فحيح الأفاعي ينزّ اشتهاءً.. »

على أية حال، يقول المؤلف، قد يعطي هذا كلُّه للناقد التَّحقّق بمساحة واسعة من التناصّ التاريخي، أو المضاهاة بين ما وقع في الغزوتين المغولية والأمريكية، وهو يرى هذا القدر الكبير المشترك الذي تتحمله الرواية.

* * *
* *
*

# اللقاء الثالث والأربعون(*)

○ **كيف يمكن تفعيل أنشطة المعهد العالمي للفكر الإسلامي؟**

سيكون الكثير من المقترحات - على الأغلب - تكرارًا لما سبق وإن تمّ التأكيد عليه في أنشطة وإصدارات المعهد، لكن ما قد يتضمنه العرض من مقترحات جديدة، أو إضافة مفردات أخرى لمقترحات سابقة، أو التأكيد على أولويات معينة وجمعها على صعيدٍ واحدٍ ذي طابع عملي، ربّما يبرّر المحاولة التي تنطوي عليها هذه الصفحات. والمهم هو أن نضع في الحسبان دائمًا تصميم خطط عملية جدًّا، واضحة جدًّا، مبرمجة زمنيًّا، وموزعة على طاقات العاملين، ومراعية للاعتبارات الجغرافية والسياسية والمالية والعلمية... إلى آخره...

**أولًا:** ترتيب مجموعات كاملة من إصدارات المعهد الخاصة بعملية الأسلمة ومبادئها وأهدافها وخطط عملها، ثم إرسال كل مجموعة إلى الجامعات والمعاهد في بلدان العالم الإسلامي كافة لغرض فحص ردود الأفعال الإيجابية والسلبية؛ حيث سيجد المعهد في الحالتين فرصة للتعاون والانتشار وإعادة التقويم وردم الثغرات وتصويب الأخطاء.

**ثانيًا:** ترتيب قوائم بسائر التدريسيين ( المختصّين ) في جامعات ومعاهد العالم ممن يملكون القناعة بالأسلمة، بدرجاتها المتفاوتة، ثم تصنيفهم وفق معياري التخصّص والموقع الجغرافي، وترتيب صيغة للتواصل المستمر معهم وتكليفهم بالمساهمة في مهمة أو أكثر من مهمات المعهد وصولًا إلى انتقاء العناصر المتفوقة والأشدّ التزامًا لكي تُلْقَى على عاتقها مسؤوليةُ تغطية المطالب المنهجية لأعمال الأسلمة، لتهيئة المواد الدراسية المناسبة للمعاهد والجامعات.

**ثالثًا:** تقويم النتائج الإيجابية للجامعات الإسلامية التي أخذت نفسها بمطالب الإسلامية وتوزيعها على سائر المعاهد والجامعات في العالم.

---

(*) جوابًا على سؤال حول تفعيل أنشطة المعهد العالمي للفكر الإسلامي... وجه على الإنترنت عام ( ٢٠٠٩م ).

**رابعًا**: تنظيم حملة إعلامية مدروسة وشاملة تسعى لإيصال صوت المعهد وإضاءة أهدافه الأساسية باستخدام سائر التقنيات والوسائل الإعلامية؛ كالصحافة والإذاعة والتلفزيون والسينما والإعلان... إلى آخره، بما في ذلك إقناع الصحف والمجلات الإسلامية، وغير الإسلامية، بفتح باب أو ملف، أو إفساح زاوية ما لمناقشة هموم الإسلامية.

**خامسًا**: تنظيم ندوات أكاديمية مشتركة بين دعاة الإسلامية ومعارضيها تقام في المعاهد والجامعات للإفادة من صيغ الجدل والحوار في تقديم المزيد من القناعات بالإسلامية للطرف الآخر.

**سادسًا**: إخراج مجلة، أو مجلات، شهرية أو موسمية منتظمة الصدور، غنية المادة، واسعة الانتشار على المستوى الجغرافي، تتولى حمل هموم الإسلامية ومتابعة أنشطتها والدعوة إلى تبنيّها ونشر معطياتها الأكثر حداثة...

**سابعًا**: الاتصال بوزارات التعليم العالي ومؤسساتها في مختلف الدول لفتح باب للحوار حول إمكان قبول هذا الجانب أو ذاك من مطالب الإسلامية والسعي إلى وضعها في حيّز التطبيق.

**ثامنًا**: ترتيب قوائم موضوعات غنية ومدروسة يتولّاها المختصّون كل في حقل تخصّصه، يمكن أن تكون بمثابة دليل للانتقاء بالنسبة لطلبة الدراسات العليا من أجل توظيف جهدهم لإغناء الإسلامية في دوائر العلوم الإنسانية والصرفة والتطبيقية.

**تاسعًا**: تنظيم خطة خمسية للنشر، مدروسة بعناية، من أجل تغطية سائر الجوانب الإنسانية والعلمية لمطالب الإسلامية، والتحقّق بتوزيع عادل للموضوعات التي يمكن أن يكلّف بها حشد من المفكرين الإسلاميين - ليس على سبيل الاختيار - وإنما على سبيل التكليف بموضوع محدّد من أجل استكمال مفردات الخطّة وتغطيتها عبر الفترة الزمنية المحدّدة، ثمّ ترجمة هذه الأعمال إلى اللغات الحية الأكثر انتشارًا.

**عاشرًا**: تنفيذ بداية تجريبية على حقل ما من حقول العلوم، وليكن التاريخ والحضارة الإسلامية، والسعي إلى إنجاز مؤلف شامل من منظور إسلامي يكلف بإنجازه حشد من المتخصصين في ضوء مبادئ وخطوط عريضة يتم الاتفاق عليها لكي ينفذ على هديها العمل في سياق التخصّصات الدقيقة.

**أحد عشر:** التنسيق والتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، لدفع الحركة الأدبية الإسلامية الناشئة وتحفيزها، ولتكوين الكوادر الأدبية القديرة، في وقت لاحق، على تنفيذ مطالب الإسلامية في مجالات الدراسة الأدبية، والنقد، والأدب المقارن، والمذاهب الأدبية والإبداع... إلى آخره...

**اثنا عشر:** دراسة سائر الإصدارات التي تولاها المعهد منذ تأسيسه وحتى اللحظات الراهنة، واستخلاص مقترحاتها الأساسية بصدد الخطط العملية لتنفيذ الأسلمة، ومحاولة جمعها واختزالها وترتيبها في سياق واحد لا يتضمن أي قدر من التكرار.

**ثلاثة عشر:** إحصاء وتصنيف سائر الأعمال الحديثة والمعاصرة التي أصدرها المفكرون الإسلاميون عبر القرنين الأخيرين، وتنظيم خطة زمنية للإفادة من معطياتها لتغذية الإسلامية، سواء بالتبنّي الكامل لبعضها وإعادة نشره، وترجمته، أو بانتقاءٍ مدروس لفصول بعضها الآخر، أو بنقد وتقويم بعضها الثالث، فيما يحذّر من أخطائه ويمنح المثقف المعاصر قدرة أكثر على رفض الاستسلام لكل ما يطلع به المفكرون الإسلاميون على الناس.

**أربعة عشر:** تكليف عدد من المختصّين القيام بمحاولات تجريبية في توظيف جوانب من التراث لأغراض الإسلامية، كلٌّ في مجال تخصصه وفي ضوء خارطة عمل شاملة لنسيج المعطيات التراثية.

**خمسة عشر:** بصدد تشخيص أزمة الأمة وتخلّفها الحضاري والقيادي يمكن الاتفاق - مبدئيًا - على عدد من الأسباب الرئيسية والتأشير على عدد من الخطوط العريضة، بعيدًا عن الجدل والتكلّف ووضع الخلفيات الفلسفية من أجل أن تكون هذه الأسباب والخطوط العريضة أشبه بمفاتيح أساسية تنطلق منها سائر المحاولات التنظيرية والتطبيقية، وتكون باستمرار وبأكبر قدر من الوضوح والتحديد والنزعة العملية، تحت أنظار وفي أيدي سائر المؤمنين بجدوى إسلامية المعرفة كحركة فاعلة يقودها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سواء أكان هؤلاء المؤمنون في قمة التخصُّص والتمكّن الثقافي، أم في القاعدة العريضة للدارسين، وحتى للطلبة في مراحل الدراسة المبكرة.

إن هذه مسألة في غاية الأهمية، وهي تذكرنا - مع الفارق طبعًا - بالمانفستو

الشيوعي الذي أصدره ماركس وإنكلز في منتصف القرن الماضي والذي كان بمثابة إثارة انقلابية ودليل عمل في الوقت نفسه، لكافة المنضوين إلى الماركسية وأولئك الذين يتعاملون معها من خارج الدائرة كذلك.

صحيح أن المعهد عاد فاختصر كتابه الأساسي ( إسلامية المعرفة ) فأصدر ( الوجيز في إسلامية المعرفة ) إلّا أن هذا نفسه يمكن بقدر آخر من التركيز أن يتحول إلى ما يشبه ورقة عمل تضع مشروع الإسلامية بمبرّراته وأهدافه الأساسية ومصطلحاته وطرائق عمله بين أيدي المعنيين كافة، وتمارس - في الوقت نفسه - مهمة إعلامية قد تحقّق انتشارًا أوسع وقناعة أعمق بالمحاولة، لا سيّما إذا تم التأكيد على فشل المحاولات الغربية خارج دائرة الإيمان ( كالماركسية والوجودية والعديد من فلسفات العلوم ) وتوق الإنسان في العالم - فردًا وجماعة - للعودة إلى ساحة الإيمان والتحقق باليقين الديني الضائع.

* * *

# اللقاء الرابع والأربعون(*)

**○ في تمهيدكم لكتابكم ( مدخل إلى التاريخ الإسلامي )، وفي النقطة السادسة تحديدًا، ذكرت أن تحال الرواية التاريخية، قبل التسليم النهائي بها، إلى مجال ( النقد الخارجي )، وأنت تقصد به علمي ( مصطلح الحديث ) والجرح والتعديل، لكنك لم تبين الحدّ الفاصل بين التاريخ وعلم الحديث، أو آليات استفادة الأول من الأخير. أقول ذلك؛ لأنه – للأسف – انتشرت بين المحدثين عقلية دراسة السند دون إعمال العقل فيما وراء السند. ستستدرك عليَّ وتقول هذا كتاب « مدخل » وليس كتاب « تفصيل وبيان »، وأنا أدرك ذلك، وما قصدت إلّا أن تدلنا على المفاتيح وكيف نتعامل مع هذه المفاتيح بشيء يسير من التفصيل.**

* عالجت هذه المسألة بالتفصيل في كتابي ( حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ) و ( المدخل ) إلى هذا التاريخ لا يحتمل التفاصيل. ثم إن علماء الحديث يسمون علمهم بعلم الرواية والدراية، والثانية هذه تعني إعمال العقل في مضمون المرويّات وتحقق التوازن المطلوب الذي تقصد إليه.

**○ في مبحث « الفتنة الكبرى » شعرت أنك كنت أقرب إلى التحليل السياسي من التحليل التاريخي، وقد كنت أطمح إلى التحليل التاريخي وأنا أقرأ أسطر الفتنة الكبرى. وبالمناسبة هناك كتابان يتعلقان بهذه المسألة، أودّ سماع رأيك بشأنهما وهما: ( الخلافات السياسية بين الصحابة/ قراءة في مكانة الأشخاص وقدسية المبادئ ) لمحمد ابن المختار الشنقيطي، وكتاب منير الغضبان عن ( معاوية بن أبي سفيان ).**

* التحليل التاريخي ينطوي على التحليل السياسي، وقد تمّ تجاوز الحديث المفصل عن الأسباب التقليدية للفتنة، والوقوف قليلًا عند ظاهرة الصراع بين الإسلامية والقبلية في تاريخ صدر الإسلام، والتي تفسّر ظاهرة النفاق في عصر النبوة، والردّة في عصر الصدّيق، والفتنة في عصر عثمان، والخوارج في عصر علي، والصراع بين القيسية واليمنية في عصر الأمويين. وهي ظاهرة يلتقي فيها السياسي بالتاريخي في أبعاده كافة.

---

(*) حوار أجراه على الإنترنت الأخ حمزة هشام – من بيروت – حول كتابي (مدخل الى التاريخ الإسلامي ) في نوفمبر ( ٢٠٠٩م ).

أما كتابا الشنقيطي والغضبان فلم أقرأهما للأسف، ولعل إشارتك إليهما تغريني بقراءتهما إن شاء اللّه...

**○ عطفًا على النقطة السابقة، استوقفني هذا السؤال: مدى صحة مقولة أن الشخصيات التي يطبعها التاريخ بنوع من الكارزما - الصحابة عند أهل السنة، الأئمة عند الشيعة - تفقد الباحث والمؤرخ، وخصوصًا الباحث عن قوانين الحركة التاريخية وفق النظرة الإسلامية، القدرةَ على التحرك والبحث والنقد. مع الإقرار بوجود التحيّزات، وأنه أمرٌ لا يسلم منه أحد، وأنا هنا أفرّق بين الباحث الذي يسلك سبل البحث العلمي، متجرّدًا للحق وطالبًا له، ثم تؤثر فيه تحيّزاته من حيث يدري أو لا يدري، وبين ذلك الباحث، الذي تسبق تحيّزاته عملية البحث والتفكير والنقد، فيوظف كل إمكاناته لتخدم تحيزاته؟**

* في بحثي الذي يحمل عنوان ( نحو تاريخ جديد ) والذي صدر ضمن كتابي ( الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين ) ( دار الفكر، دمشق - ٢٠٠٢م ) عالجت هذه المسألة بالتفصيل.

**○ في مبحث « تيار التغيير ومحاولات الالتزام » وددت لو فصَّلتَ القول في مسوّغات الثورة - من ناحية فلسفة التاريخ فقط - على المنحرفين من الحكام عن جادّة الصواب، خصوصًا أنه استقرّ لدى أهل السنة التسليم للمتغلب حتى وإن كان فاسقًا في نفسه وحكمه، ولست من السذاجة بأن أتبنى فكر الخوارج، وإنما أنا بصدد محاولة فهم ما الذي استدعى نصوص طاعة ولاة الأمور، وأغفل تلك النصوص التي تأخذ على يده. خصوصًا وأن الأصل لدى أهل السنة هو الشورى والبيعة الحرّة، ولكنا نفاجأ بأن فقه أهل السنة أصبح أقرب إلى الواقعية والرضا بها، دون محاولة فهم قوانين الواقع ليكون التحرك من خلال هذه القوانين، كي يتحول الأمر تدريجيًا إلى الشورى والانتخاب الحرّ، وهنا بدل أن يشهر المتغلب سيف الواقع وحماية البيضة والجماعة في وجوهنا، يفاجأ بأخذ الجماعة على يده من خلال تجريده من شرعيته شيئًا فشيئًا، ليعود الأمر إلى أصله « شورى وبيعة حرّة ».**

* هذه المسألة هي الأخرى عالجتها بالتفصيل في جلّ فصول كتاب سيصدر لاحقًا بعنوان ( اللّه... أو الطاغوت ) وهو عنوان يحمل دلالته المؤكدة حول الموضوع.

**○ في مبحث ( عوامل السقوط ) ذكرني بما سمعته منك حول فلسفة السقوط والصمود في التاريخ، ومع ذلك - وليس هذا من باب العناد - لا تزال تعاودني حالات عدم التسليم بهذه النظرية وكأنها حتمية تاريخية، خصوصًا وأن العلوم الإنسانية تجد في بعض معارفها ونظرياتها نوعًا من المرونة والزئبقية. هذا من جانب ومن جانب آخر أشعر أن تفسيرك التاريخي - إن صحّت التسمية للآية القرآنية: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾** [ آل عمران: ١٤٠ ] **بحاجة إلى غرس إقناعي أكثر، فليتك فصّلت وشرحت.**

* ظاهرة السقوط مسألة مؤكدة بالنسبة لكل الدول والإمبراطوريات، بل وحتى الحضارات، بشهادة التاريخ البشري نفسه، لكن الفارق بين الرؤية المقفلة لاشبنكلر وغيره من فلاسفة التاريخ وبين الرؤية القرآنية، أن الأخيرة تؤكد السقوط لكنها تفتح الطريق مرة أخرى للتشكل من جديد، فهي لا تقودنا إلى ( التشاؤمية ) التي تصبغ أعمال العديد من مفسري التاريخ. وقد عالجت هذه المسألة في الفصل الأخير من كتابي ( التفسير الإسلامي للتاريخ ) ( دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٧٥م ) وعدت لمعالجتها ثانية في بحث يحمل عنوان ( رؤية تاريخية للآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [ الرعد: ٤١ ]. نشرت في مجلة ( البيان ) التي تصدر في لندن و ( الفرقان ) التي تصدر في عمّان. هذا إلى أن أطروحة دكتوراه تحمل عنوان ( المداولة في أعمال عماد الدين خليل ) أنجزها الأخ الدكتور سعيد الغزاوي لإحدى الجامعات المغربية في بداية هذا العقد، تفصّل القول في الموضوع، وتعتبر مفهوم ( المداولة ) مفتاحًا لتفسير معظم أعمالي. ( وقد تولى المعهد العالمي للفكر الإسلامي في فيرجينيا بالولايات المتحدة نشر هذه الأطروحة ).

**○ في المباحث التالية: ( الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي ) و ( العصر الأموي والموجة الثانية ) و ( العثمانيون والموجة الثالثة ) شدّني أني لازلت إلى الآن متعجّبًا من قدرة حركة الفتوح على التوسع الشاسع المدهش، فما أسباب ذلك - بعيدًا عن الأسباب العقدية الصرفة على أهميتها - بعضهم يقول « الصدف التاريخية، أو الظروف التاريخية » ويا حبذا لو كتبت أو أرشدتني إلى من بحث في هذا الموضوع وأثراه.**

* في نهاية حديثي عن الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي، سردت بإيجاز مجمل العوامل التي قادت حركة الفتح إلى تحقيق إنجازها المدهش، بدءًا من القيادة

العليا وانتهاءً بالجندي المقاتل، مرورًا بالعقيدة في أبعادها المختلفة، وبالظروف التاريخية للدولتين البيزنطية والساسانية... والمهم أن التفسير الأحادي للفتح أو لأية ظاهرة تاريخية إنما هو تفسير غير علمي، ولا بدّ إذن من وضع كل العوامل في الحساب إذا أردنا أن نخلص إلى نتائج أكثر دقة.

**○ في مبحث ( الفتنة الكبرى ) وعند تعرضك لسمات التيارات التي كانت على يدها فتنة مقتل عثمان، وخصوصًا سمة ( العصبية القبلية ) وكيف لم يستطع الإسلام القضاء عليها بالكلية. أوحى لي كلامك هذا بأنك تقصد أن الإسلام لم يغيّر من لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، وكذلك الخلفاء الراشدون لم ينجحوا في تفتيت العصبية القبلية والقضاء عليها تمامًا. وبالتالي أستنتج من كلامك هذا استحالة تطبيق الإسلام كاملًا غير ناقص؛ لأن الإسلام قمة المثالية، والإنسان معروف بعجزه وضعفه ونقصه، ومع ذلك فلا مندوحة من السعي لتطبيقه ما وسع الإنسان من قدرة.**

* هذا يقودنا ثانية إلى ظاهرة الصراع المتطاول بين الإسلامية ( التقدمية ) والقبلية ( الرجعية )، بين المؤسسة والأعراف المرتجلة، بين الالتزام والتسيّب، وبين الدولة والانفلات... ولا بدّ من الاعتراف بأن ظاهرة القبلية التي تمتد إلى قرون متطاولة، لا يمكن إلغاؤها بعشر سنوات أو عشرين، لقد تطلب الأمر زمنًا متطاولًا لتضييق الخناق على الظاهرة. ورغم ذلك فهي لا تزال تطل برأسها بين الحين والحين حتى اللحظات الراهنة.

وإذا قلنا بأن القرآن الكريم طالما ردّد عبارة ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [ المؤمنون: ٧٠ ] والزخرف: الآية ٧٨ فهل يعني هذا عجز الإيمان في العالم عن كسب الأنصار؟

لقد قالها القرآن الكريم بالحسم الذي لا يحتمل جدلًا ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [ هود: ١١٨، ١١٩ ]. أي خلقهم للتغاير والاختلاف.

والمهم أن الإسلام رغم كل عوامل الشدّ القبلي، قَدِرَ على أن يبني ( الدولة ) وأن ( يحميها )، وأن يجعلها دولة عالمية، وأن ينشئ حضارة قدّر لها أن تكون سيدة العالم على مدى قرون عديدة... وهذه المعطيات كانت تقف على الطرف النقيض للقبلية.

باختصار - وإذا وسعنا المنظور - فليس ثمة حسم نهائي للمعركة بين الحق والباطل، وليس ثمة نهاية للتاريخ، لصالح هذا الطرف أو ذاك، وفق منطوق ماركس وانغلز على الجبهة الشيوعية، وفوكو ياما على الجبهة الرأسمالية.

**○ في مبحث ( العباسيون ) وعند الحديث عن الخلافتين الأموية في الأندلس والفاطمية في مصر أوحى لي كلامك هذا أن تفرّق المسلمين ووجود أكثر من خليفة كان أحد العوامل في انهيار هذه الدول ( العباسية، الأموية، الفاطمية ) وإن مرّ وقت طويل حتى نبصر ذلك عيانًا...**

* هذه مسألة مؤكَّدة، ففضلًا عن بعثرة طاقاتهم في الاصطراع الداخلي، فإن كلًّا منهم ترك الآخر لمصيره دون أن يحرِّك يدًا، فضاعت الكيانات الثلاثة الواحدة تلو الأخرى.

**○ في مبحث ( الكيانات الإقليمية ) أوحى لي هذا المبحث بسؤال: ما الفرق بين عصرنا هذا، عصر الدولة القطرية ودول ( سايكس بيكو )؟ لا أتحدَّث عن العامل السياسي الصرف، بل عن العامل التاريخي بما يحويه من تفسير تحليلي مقارن بين حالنا وحال عصر الكيانات الإقليمية.**

* على العكس تمامًا، فلقد كان حكام الكيانات الإقليمية في أغلبهم مخلصين لقضايا الأمة، مستقلين في اتخاذ القرار.

**○ في مبحث ( الوثنية ) وعند قولك في صفحة ( ١٦٠ ): « وفي السنة الثانية للهجرة أخذت الأسباب التاريخية تتجمع لكي تقود إلى معركة بدر ».**

**أتساءل: ما الفرق بين الظروف والأسباب التاريخية، وبين الظروف والأسباب السياسية والاستراتيجية؟ وقل مثل ذلك عن الأسباب والظروف الحضارية. سواء أكانت على الصعيد السياسي أم الاجتماعي أم الثقافي؟**

* التاريخي ينطوي على السياسي والاستراتيجي والحضاري. وكان القصد أن معركة فاصلة كان مقدّرًا لها أن تشتعل بين الطرفين لجملة من الأسباب، أوردتها مفصلة في كتابي ( دراسة في السيرة ) ( مؤسسة الرسالة ودار النفائس، ط١٧، بيروت ٢٠٠٢م ).

○ في مبحث ( اليهودية ) وفي صفحة: ( ١٧٩ )؛ حيث تقول: « إن المجتمع الإسلامي مجتمع مفتوح على كل المستويات، وكان بمقدور أي يهودي أن ينتمي لعقيدة هذا المجتمع دون أن يندمج فيه اندماجًا كاملًا، وكان بمقدوره - كذلك - أن يبقى على يهوديته ويظهر الإسلام؛ لم يكن هناك تحقيق هوية أو أي مقياس للتثبت من مدى الولاء، ولم تكن هناك مؤسسات أمن أو شرطة تلاحق أو تكشف أصحاب الولاءات المزدوجة كما يحدث في القرنين الأخيرين ».

أقول: لست أدري أتريد بقولك هذا مدحًا أم ذمًّا أم كليهما معًا؟ أقول ذلك وأنا أبتسم!!

* أمران كلاهما مُرٌّ!!

○ في مبحث ( الغرب والصليبية ) وفي صفحة ( ١٩٥ )؛ حيث تقول: « صحيح أن رجلًا كنور الدين محمود، أو الناصر صلاح الدين أديا دورهما كاملًا، ومارسا حضورًا تاريخيًّا مؤكَّدًا، ولكن ماذا لو أن نور الدين نفسه أو صلاح الدين نفسه كان خليفة للمسلمين؟ ».

أرى أنك هنا لا تسقط في المعادلة التراجيدية التي ينكب عليها الماضويون من البكاء على أطلال الأمجاد التاريخية وهي ( بدلًا من فلان + لو كان فلان خليفة = النصر وقوة الحضارة ولكان وضعنا أفضل ). وقد سمعت من الدكتور عبد العزيز الدوري أن التاريخ ليس فيه ( لو ). ومن هنا أتساءل عن موقفك من ( لو ) في تحليل التاريخ أو دراسته على السواء؟

* ( لو ) ليست من مهمة المؤرخ ولكنها من مهمة الفيلسوف أو مفسّر التاريخ. وهناك بالتأكيد متغيّرات لو حدث وأن تحققت لتغيّرت المصائر التاريخية في هذا الاتجاه أو ذاك.

كان القصد من عبارتي المذكورة إدانة لضعف الخليفة، وغياب فاعليته، وعندما قلت ( ماذا لو أن نور الدين نفسه أو صلاح الدين نفسه كان خليفة للمسلمين ) كنت أخمّن أن لو كان الخليفة العباسي بمستوى ( عبد الملك بن مروان ) أو ( أبي جعفر المنصور )، لكان الحال غير الحال بكل تأكيد، بقدر تعلّق الأمر بمجريات الغزو الصليبي.

**○ في مبحث ( الرجل والمرأة ) بقيت على الحياد، فلم تتعرض بنقد إلى آثار دخول وتدخل المرأة في الحكم. فرّق بين قبول المبدأ وبين نقد - وليس نقض - ودراسة آثار هذا المبدأ على أرض الواقع.**

* كتابي يحمل عنوان ( مدخل ) فهو لا يحتمل الكثير مما يمكن أن يقال، وهذا ينسحب على كل المساحات التي عرضت لها في الكتاب بأكبر قدر من الإيجاز.

**○ الآن وفي ختام حوارنا هذا أريد منك ( إضاءات ) عن خبرتك مع الحياة؟!**

* يصعب على الإنسان أن يوجز خبرة حياته في صفحة أو صفحتين؛ ولذا يضطر للانتقاء...

بمرور الوقت تأكدت لدي جملة من القناعات بخصوص الكتابة تحديدًا، ومن بينها أن المدرسة والمعهد والجامعة لن تخرّج كاتبًا ولا باحثًا ولا مؤلفًا ولا مفكرًا، ولا مؤرخًا أو أديبًا أو مبدعًا، حتى لو قضى فيها الإنسان عشرات السنين، وأن عشرات أخرى من الجلوس أمام الشاشة الصغيرة لن تخرّج هؤلاء. وأن الذي يكوّنهم هو ( الكتاب ) بشرط أن نتعامل معه بعشق، وأن تكون المطالعة خبزنا اليومي، وألّا تكون قراءة استهلاكية وإنما متابعة منتجة، توغل في أفكار الكاتب الذي تتعامل معه... تعجب... ترفض... تناقش... تقارن .. تنقل النصوص المثيرة للاهتمام. ومن أجل ذلك قال العقاد: ( إن قراءة كتاب واحد خمس مرات أفضل من قراءة خمسة كتب ). ففي الأولى تتشكل الحصيلة المعرفية المنتجة، وفي الثانية لا يترسب في العقل سوى الفتات.

ليس هذا فحسب، بل إن القراءة يجب أن تكون متنوعة، يتجول فيها القارئ عبر فروع المعرفة كافة، إذا أراد فعلًا أن يملك عقلًا ابتكاريًّا خصبًا ومتوقّدًا... وإلّا فهو التيبّس العقلي والعزلة الذهنية على دائرة محدّدة.

ثمة قناعة أخرى، وهي أن الكتابة ليست انتظارًا مسترخيًا للحظة الإلهام المواتية، بل هي جهد يومي موصول، وساعات طوال يلزم فيها المفكر نفسه بالكتابة، وألّا يسلم نفسه للكسل لحظة واحدة، وأن يبذل في الوقت نفسه جهدًا صعبًا لتحسين أدائه، وأن يكون ما يقدمه اليوم أفضل مما قدمه بالأمس، وما سيقدمه غدًا أفضل مما قدمه اليوم.

هنالك أيضًا الخبرة، أو الرصيد الذاتي من المعاناة والألم والحساسية المرهفة في التعامل مع الظواهر والأشياء... والكاتب الذي لا يملك هذا الرصيد لن يكون بمقدوره أن يقدّم عملًا متألّقًا حتى ولو قرأ مئات الكتب.

لا أندم سوى على شيء واحد... أنني اندفعت بأكثر مما يجب في اتجاه الكتابة التي كادت أن تستنزف وقتي كلّه، ولم تعطني الفرصة لأن أمنح علاقاتي الأسرية المساحة التي تستحقها... ودائمًا كانوا يقولون لي أنني لم أعش الحياة العائلية كما يجب أن تكون...

* * *
* *
*

## اللقاء الخامس والأربعون (*)

○ بمن تأثرتم من العلماء؟

* ليس ثمة تأثّر بمفكر أو كاتب واحد بطبيعة الحال، وإنما هي مجموعة من المفكرين والكتاب، من الشرق والغرب، وفي سياقات معرفية شتى، وهو تأثر يمتزج بقدر كبير من الإعجاب، وربّما الانبهار، في المضامين والأسلوبيات.

والحق أن رحلة ستين عامًا مع حشود كبيرة من المفكرين والكتاب، تأثرت وأعجبت بالعديد منهم، تجعل من الصعوبة بمكان حصرهم بعدد معين!!

○ ما هي وصيتكم ونصيحتكم لطلبة العلم والدعاة إلى اللّٰه تعالى؟

* أن يقرأوا... ويقرأوا... ويقرأوا حتى تكل أعينهم ويغيّبوا في التراب... فبدون القراءة، المتواصلة، الدارسة، الناقدة، لن يكون هناك عالم أو داعية إلى اللّٰه بالأسلوب المؤثّر والعلم العميق الذي يتجاوز المكرور ويقدم تصاميم فكرية تتميز دائمًا بالجدة والابتكار والقدرة على التأثير...

لقد بدأ كتاب اللّٰه بكلمة ( اقرأ ) فأحرى بعلمائنا ودعاتنا أن يتلقوا الإشارة ويواصلوا المسير...

○ ما مفهوم الحضارة؟ وما أثر الحضارة الإسلامية في النهضة الإنسانية؟

* أجبت عن هذين السؤالين باستفاضة في كتابي ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) الذي صدر عن الدار العربية للعلوم في بيروت والمركز الثقافي العربي في الدار البيضاء عام ( ٢٠٠٥م ).

○ ما المشروع الحضاري لأمة الإسلام؟

* في كتابي المذكور إجابة مفصَّلة عن هذا السؤال.

---

(*) أجرى الحوار على الإنترنت الأخ السوري فياض علي عبسو الذي يعمل مدرّسًا في الإمارات، لغرض نشره في إحدى المجلات، في كانون الأول ( ٢٠٠٩م ).

**○ ما سبب عداء الغرب للإسلام؟ وما جذور هذا الخلاف والعداء؟**

* التغاير الديني، والتغاير القاري متمثلًا بالمركزية الأوربية، فضلًا عن المصالح الاستعمارية... هذا إلى ذكريات الأوربيين عن اختراق المسلمين للقارة غربًا في إسبانيا وجنوبي فرنسا، وشرقًا في بلدان أوربا الشرقية على أيدي العثمانيين.

**○ ما خطر العولمة والعلمانية على شخصية الأمة وثقافتها ولغتها وهويتها الحضارية؟**

* يمكن أن تجد الجواب المفصل عن هذه الأسئلة في كتابي المذكور ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية )، فضلًا عن كتاب آخر صدر لي في منتصف السبعينيات يحمل عنوان ( تهافت العلمانية ).

**○ ما أهم أولويات الأمة في هذه المرحلة، والمرحلة القادمة؟**

* صياغة المشروع الحضاري الإسلامي، والتبشير به على مستوى العالم، فنحن الأمة الوسط التي أريد لها أن تشهد على البشرية وأن يكون الرسول ﷺ شاهدًا عليها.

**○ ما أخطر المؤامرات والمكائد التي تحاك ضد المرأة والأسرة المسلمة؟**

* ليست المرأة والأسرة المسلمة وحدها، وإنما المرأة والأسرة في العالم كله، فيما تنفذ وتروّج له أجهزة الإعلام، ومؤتمرات المرأة العالمية من المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، ومن تغيير التكوين الأنثوي للمرأة، وتحويلها إلى رجل مسخ، ومن تفكيك مقومات الأسرة، ونشر للرذيلة والشذوذ. وصدق اللّٰه العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء: ٢٧ ].

**○ كيف نصلح المرأة؟ وما دورها في إصلاح المجتمع؟**

* باستدعاء وتنفيذ البرنامج الإسلامي في التعامل مع المرأة، في كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ وتراثنا الفقهي العظيم... أما دورها فيجب أن نتذكر كيف أنها في المراحل المتألقة من تاريخنا، كانت حاضرة في قلب الحياة: عالمة ومتعلمة، ومُدرّسة، ومُحدّثة، وفقيهة، وطبيبة، ومقاتلة... لكنها في عصور انكسارنا الحضاري، آثرت الانسحاب الذي هو الاستثناء وليس القاعدة.

○ **ما المراد بهذه التسميات:**

○ **التاريخ؟**

* هو علم تدوين التاريخ وقراءته.

○ **التأريخ؟**

* هو التقويم الزمني للأحداث.

○ **فقه التاريخ وفلسفة التاريخ؟**

* تعنيان بالكشف عن قوانين الحركة التاريخية التي تشكل الدول والحضارات، أو تقودها إلى التدهور والسقوط.

○ **إسلامية المعرفة؟**

* التعامل مع المعرفة الإنسانية من خلال الثوابت الإسلامية المستمدة من الوحي والتي لا يطالها التبدل أو التحريف، بينما نجد هذه المعرفة لدى الغربيين الذين اعتمدوا العقل وحده، قد تمخضت عن جملة من الكشوف والنتائج الخاطئة التي لم تصمد للنقد العلمي. وقد عالجت هذه المسألة باستفاضة في كتابي ( العلم في مواجهة المادية ).

○ **ألا ترون أن التاريخ بحاجة إلى صياغة جديدة، فعلى من تقع مسؤولية تنقية كتب التاريخ مما شابها من افتراءات وأباطيل؟**

* أجبت عن هذه الأسئلة بالتفصيل في كتابي ( حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ) الذي أعيد طبعه من قِبَل دار ابن كثير في دمشق وبيروت عام ( ٢٠٠٥م ).

○ **من أهم الشخصيات التي ظُلمت في التاريخ؟ ومتى ننصفها؟**

* كثيرة جدًّا، ولعلّ آخرها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله... أما إنصافها فيكون بالبحث العلمي الدقيق الذي يعرف كيف ينقد الروايات ويميز بين صادقها ومغشوشها.

○ **ما رأيكم في تاريخ الطبري؟**

* يلمّ الروايات غثها وسمينها، ولكنه يسبقها بسلسلة الإسناد التي نقلتها، ويترك العهدة على اثنين: الرواة والمؤرخين المحدثين الذين يجب أن يتعاملوا بمنهج نقدي مع

روايات الطبري في كتابه المعروف ( تاريخ الرسل والملوك ).

**○ ابن الأثير؟**

* في القرون الثلاثة الأولى للهجرة نقل الكثير عن الطبري، ولكنه في القرون التالية اعتمد مصادر عديدة، بما فيها خبرته الشخصية، وكتابه ( الكامل في التاريخ ) كما يدل عليه اسمه مصدر لا يستغني عنه باحث.

**○ ابن كثير؟**

* من أكثر المؤرّخين إخلاصًا للحقيقة التاريخية، ومع ذلك فإن بعض رواياته بحاجة إلى إعمال المشْرَط النقدي بها.

**○ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني؟**

* مترع بالكذب والروايات الضعيفة التي لا يمكن التسليم بها، وعلى المؤرّخ الجادّ ألّا يستسلم لما يقوله...

* * *
* *
*

# اللقاء السادس والأربعون (*)

**○ تكرر مبحث ( خصائص الحضارة الإسلامية ) في كتابك مدخل إلى الحضارة الإسلامية مرّتين. أعلم أنه ليس خطأك. المرة الأولى في صفحة ( ٦٧ – ٧٨ )، والثانية في صفحة ( ١٣٧ – ١٤٨ ).**

* كنت بانتظار إعادة طبع الكتاب لكي أُعلمَ الناشر بذلك.

**○ هل الحضارة نتاج التاريخ؟ أم أن التاريخ نتاج الحضارة؟ أم أن كلا الاثنين نتاج الآخر؟ وفي ذات الوقت يعمل كل منهما في تكوين الآخر؟ ولماذا؟**

* التاريخ هو الإطار الشامل الذي ينطوي على السياسي والحضاري معًا، وكل منهما يشارك – بالتأكيد – في تشكيل الآخر.

**○ أطلب منك – بإلحاح وإصرار – أن تطَّلع على كتابَي الأستاذ منير شفيق « في نظريات التغيير والتجزئة والدولة القطرية »؛ لأنه يكشف عن جوانب مهمة أودّ سماع تعقيبك عليها.**

* سبق وأن قرأت كتاب منير شفيق « التجزئة والدولة القُطْرية »، وها هو واقع العالم العربي عبر العقدين الأخيرين، يؤكد ما ذهب إليه.

**○ مقدمة الكتاب كانت كافية، ولكنني أشعر – وقد أكون مخطئًا – أنها بحاجة لبعض الإطناب كما فعلت في كتابك الرائع والعميق حقًّا « مدخل إلى التاريخ الإسلامي »؛ لأنك في مقدّمة ذلك الكتاب قمت بغرس إقناعي بمحتويات فصوله ومباحثه. فلم لم تصنع صنيعك هنا كما صنعت هناك؟**

* لأن المقدمة تلتحم بفصول الكتاب التي عرضت لتفاصيل كثيرة لم أشأ وضعها في المقدمة خشية التكرار.

**○ في صفحة ( ١٨، ١٩ )؛ حيث تقول: « إن العقيدة الجديدة جاءت لكي تنقل**

---

(*) حوار أجراه على الإنترنت الأخ حمزة هشام – من بيروت – حول كتابي ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) في فبراير ( ٢٠١٠م ).

**الإنسان إلى السعة والعدل والتوحيد... هنالك حيث يجد العقل نفسه، وقد أعيد تشكيله بهذه القيم، قديرًا على الحركة والفعل عبر هذا المدى الواسع الذي منحه إياه الإسلام، غير محكوم عليه بظلم من سلطة فكرية قاهرة ترغمه على قبول ما لا يمكن قبوله باسم الدين، متحققًا بالتقابل الباهر بين الإنسان والله؛ حيث يملك وحده حق التوجّه، والتعبّد، والمصير ».**

* أعلم ما ترمي إليه، وأتفق معك فيه، لكن أصحاب ( مدرسة تتبع السقطات ) لن يتركوك. بمعنى أنك لم تشر إلى الفرق – ولو باقتصار واقتضاب – بين عقلية قساوسة الكنيسة التي تحاكم الأنفاس، وبين العقيدة الإسلامية التي وضعت الضوابط، وأطلقت العقل أن يبدع في ظل هذه الضوابط. وكذلك حتى لا يفهم أنصار ( العلمانية ) أنك ترخي لهم العنان في إلباس ما ليس من الإسلام في لبوس الإسلام، وما شطحات محمد شحرور ونصر حامد أبو زيد عنا ببعيدة.

**○ أعلم أن هذه الفكرة تبدو من « المعلوم بالبداهة » لدى البعض، لكن ما حيلتنا تجاه عقلية طلاب الجامعات وأبنائنا – الذين نعقد عليهم الآمال –؟ أقول: ما الحيلة إذا كنا نعيش في زمن لا يعرف القراءة، ويحتاج أهله إلى « تبسيط المبسط » بشكل أقرب ما يكون إلى السذاجة منه إلى التبسيط غير المُخلّ؟**

* معك في هذا، والفكرة بحاجة إلى مزيد من الإيضاح رغم بداهتها بالنسبة للكثيرين.

**○ في صفحة ( ٢٥ )؛ حيث تقول: « لقد كان القرآن الكريم يتعامل مع خامة لم تكن قد حظيت من ( المعرفة ) إلّا بالقسط اليسير... مع جيل من الناس لم يبعد – بعد – عن تقاليد الجاهلية، وقيمها، وطفولتها الفكرية... لكنه قدر بقوة الإيمان المعجون بالدعوة الجديدة، على أن يعلمهم فعلًا؛ وذلك بأن يعيد تشكيل عقولهم لكي تكون قديرة على استيعاب المضامين الجديدة، مدركة للأبعاد الشاسعة التي جاء هذا الدين لكي يتحرك الإنسان صوب آفاقها الرحبة... وما كان ذلك ليتحقق لولا إشعال فتيلة التشوّق المعرفي للمسلم، ودفعه إلى البحث والتساؤل والجدل... لقد انتهى عهد الاستسلام والسكون والرضا بأوساط الأشياء، وجاء عهد القلق والحركة بحثًا عن الكمال الذي يليق بمعطيات الدين الجديد »... ما الذي تقصده بالجدل هنا؟**

* الجدل الذي بذله الرسول ﷺ مع الكون بحثًا عن اليقين، فعلّم أصحابه منهج الوصول إلى الحقيقة... فيما بعد اعتمدت الفلسفة، وتشكل المنطق وعلم الكلام لكي

يواصلا الطريق... بل إن الفقه وأصوله ينطويان على مساحة واسعة من الجدل مع الظواهر الاجتماعية.

**○ في صفحة: ( ٤٤ )؛ حيث تقول: « إن الرؤية الإسلامية ترفض، في موقفها من الحضارة، أشد ما ترفض، صيغ التجزئة والفصل وإقامة الجدران بين مساحات التجربة البشرية، وترى فيها وحدة حيوية تسري فيها روح واحدة، وتغذيها دماء واحدة، وإن تجزئتها وعزل بعض جوانبها خلال العمل، عن بعضها، ليس خطأ فحسب، لكنه مسألة تكاد تكون مستحيلة، إذا أردنا - مسبقًا - أن نصل إلى نتائج صحيحة ».**

**أتساءل هنا: أين الخصوصية الثقافية؟ وما الذي تريده بقولك هنا في هذا المقطع؟**

* المقصود ليس ( التجربة البشرية ) على إطلاقها، وإنما في نطاق الحضارة الواحدة ذات الخصوصية.

**○ في صفحة: ( ١٣٦ )، وفي معرض حديثك عن صيغ التعامل المعرفي الإسلامي مع الثقافات الأخرى؛ حيث تقول في الفقرة الثانية من الصيغة الخامسة « المستوى الكمي الذي نقلت بموجبه أكداس من معطيات الفلسفة اليونانية ( وبصيغ نقل حرفي فج أحيانًا ) إزاء تضاؤل ملحوظ في نقل الجوانب المعرفية الأخرى ( كالأدب مثلًا ). وقد يبرر هذا وذاك أن المسلمين رأوا في الفلسفة أداة جيدة في الجدل القائم بينهم وبين خصومهم، بينما نظروا إلى الأدب بقدر من التوجس، وهذا صحيح إلى حد كبير؛ لأنه أكثر التصاقًا بالذات وأكثر استعصاءً على التوظيف. هذا إلى أن الأعمال الأدبية الكبرى، المبكرة في الزمن، كانت تتضمن نزوعًا وثنيًا صريحًا، يمثل ارتطامًا بالمنظور الإسلامي التوحيدي منذ اللحظة الأولى ».**

**أشعر أنك بحاجة لاستفاضة في شرح هذه النقطة، وأصدقك القول أنك لم تصرح برأيك هذا بشكل جلي. وأعود فأقول أن هذه النقطة بحاجة لشرح وتحليل أعمق. لا لشيء إلا لخطورتها.**

* ترجمت الأعمال الفلسفية اليونانية لغرض توظيفها في تأكيد الإيمان، ولم تترجم الأعمال الأدبية اليونانية؛ لأنها محملة بالميثولوجيا الوثنية القائمة على تعدّد الآلهة، فيما يتناقض - ابتداءً - مع مفاهيم التوحيد الإسلامي.

**○ في صفحة: ( ١٣٧ )؛ حيث تقول في الصيغة السابعة: « وأما ثانيتهما فتتمثل في تضاؤل الإحساس بعقدة النقص إزاء ثقافات الغير، والاستسلام لمفرداتها في نهاية الأمر، بل إن العقل المسلم في معظم الحالات تجاوز هذا الإحساس، بالتعالي على معطيات الخصم وضغوطه المعرفية، وفق صيغ توظيف لهذه المعطيات دون اعتبارها هدفًا معرفيًا من جهة، ونقدها وتفنيدها من جهة أخرى، والإضافة عليها ثالثًا ».**

**أشكرك جدًا على هذه النقطة التي كأنها تصف حال واقعنا الثقافي والمعرفي الآن.**

* واقعنا الثقافي والمعرفي الآن يتشكل في اتجاه معاكس تمامًا لممارسات الأجداد زمن تألُّقهم الحضاري... اليابانيون - مثلًا - تنطبق عليهم الحالة المذكورة.

**○ في الخاصية السابعة من مبحث ( الخصائص ) من الفصل الثاني؛ حيث تقول في صفحة ( ١٤٧ ): « ربما يكون في هذا الإسراف في أخلاقية العطاء ما يثير نقدًا أو اعتراضًا؛ إذ كيف تسلم خصمك السلاح الذي سيقتلك به، وفي المعرفة جوانب مما قد يتحول إلى سلاح يقتل فعلًا »؟**

**أعتب عليك هنا إذ كنتُ في لهفة وشوق لكي تستفيض في الإجابة عن هذا السؤال الذي طرحته. غير أني فوجئت أن جوابك من صفحة ( ١٤٧، ١٤٨ ) لم يكن بثقل وخطورة السؤال الذي طرحته.**

* معك في هذا، ولا بّد من الاستفاضة في الإجابة على السؤال المذكور.

**○ في الفصل الثالث، وفي المبحث الأوّل منه الخاص بالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استوقد في ذهني هذا السؤال: من خلال اطّلاعي على كتابك « مدخل إلى التاريخ الإسلامي » ذكرتَ أن الجهاد من عوامل قوة الإسلام، ثم ذكرت في موقف آخر من نفس الكتاب أن من أسباب تدهور السلطة السياسية الإسلامية « اتساع نطاق الدولة الإسلامية »، وحيث إن الأخيرة هي أحد نتائج الأولى فكيف نوفق بين هاتين النتيجتين؟**

* إذا اتسع نطاق الدولة مقترنًا بتوقف الحركة الجهادية، كان ذلك بداية التدهور، رغم أن الاتساع هو من نتاج الجهاد.

○ في الفصل الثالث كذلك، وفي مبحث ( الفصام بين القيادتين الفكرية والسياسية ) تطرق لي هذا السؤال بعد الفراغ من قراءة هذا المبحث: مدى مسؤولية العصر العباسي – خصوصًا عصر الانحطاط منه وضعف السلطة السياسية فيه – عن التخلف الحضاري والديني لدى الأمة؛ إذ هو بمثابة بداية الانحطاط – وإن كان يشاركه في هذا الانحطاط باقي العصور الإسلامية وإن بدرجات مختلفة – لدى الأمة، خصوصًا على صعيد الأفكار والأيديولوجيات الدينية.

أيضًا تمنيت لو استفضت في شرح هذا المبحث المهم ( الفصام بين القيادتين الفكرية والسياسية )، وذلك لخطورته وأهميته. يتجلى ذلك في أثر كل من السياسي على الديني وأثر الديني على السياسي. بحيث نرد على هذا السؤال – القديم الجديد – الذي تطرحه بعض الفرق الإسلامية، أو بعض العلمانيين من هنا وهناك.

* أَصبتَ معظم الشواهد التاريخية بخصوص انهيارنا الحضاري على العصر العباسي. أما التوسع في ظاهرة ( الفصام بين القيادتين الفكرية والسياسية ) فلم أشأ أن أكرِّر ما استفاض في شرحه الدكتور عبد الحميد أبو سليمان في ( أزمة العقل المسلم ) الذي سبق وأن أصدره المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

○ في الفصل الثالث كذلك وفي مبحث ( طغيان القبلية والإقليمية والعرقية على مفهوم الأمة )؛ حيث تقول في صفحة: ( ١٦٤ ): « ولنتصوّر كما لو أن الدولة والأمة مضيا عبر القرون دون أن تعصف بهما فتن الانتماءات القبلية أو العرقية أو البيئية المحدودة، كيف سيكون المردود الحضاري؟ ».

كيف نوازن هنا بين قولك هذا وبين قولك في كتابك ( مدخل إلى التاريخ الإسلامي ) حينما فرغت من ذكر عوامل ضعف الدول الإسلامية: « وأية أمة لا تتناوشها سهام الضعف »؟ فقولك هنا ينفي حتمية السقوط لدى الأمم، بينما قولك في كتابك ( مدخل إلى التاريخ الإسلامي ) يفيد حتمية السقوط مع إمكانية النهوض.

* السقوط محتوم بدليل جملة من الآيات: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [ آل عمران: ١٤٠ ]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ الرعد: ٤١ ] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [ الأعراف: ٣٤ ].

وإمكانية النهوض مؤكدة هي الأخرى بما تنطوي عليه كلمة ( المداولة ) من دلالة.

و ( لو ) في العبارة آنفة الذكر حرف امتناع لامتناع، أي استحالة المضي إلى الأبد، وإنما كان القصد أن الاحتمال المذكور يشير إلى إمكان منح مساحة زمنية أكثر امتدادًا للفعل الحضاري.

**○ في الفصل الرابع، وفي تمهيدك لمباحث هذا الفصل؛ حيث تقول في صفحة: ( ٢٠١ ): « وعندما أطلَّ ما يسمى خطأً بعصر النهضة، بسبب من ارتباطه بالغزو الفرنسي لمصر في أواخر القرن الثامن عشر، كان الفارق في المدنية، وبخاصة تكنولوجيا القوة، قد ازدادت هوته اتساعًا بيننا وبين الغرب، الأمر الذي يفسّر، إلى جانب عوامل عديدة أخرى، فشل معظم محاولات الإصلاح والحركات الجهادية، التي صفيت الواحدة تلو الأخرى. لم يكن يعوزها الفكر ولا الإيمان ولا الفدائية، ولكن وببساطة تامة كان يعوزها السلاح »!**

**أرى أنك تركز كثيرًا على هذا الموضوع - موضوع التفوق العسكري والتقني - رأيت ذلك في مقابلاتك التلفزيونية، برنامج ( الشريعة والحياة ) على قناة الجزيرة مثلًا، أو في محاضراتك الفكرية؛ مثل محاضرتك في معهد الدراسات الإسلامية، أو حتى في مقالاتك؛ مثل مقالاتك المتفرقة في مجلة المجتمع الكويتية، وأكثر مثال تستشهد به هو مثال حال انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق، ثم هزيمة العثمانيين أمام الأوربيين لذات السبب الذي هزم فيه المماليك أمامهم.**

**أقول، أعلم مركزية وأهمية هذا العامل، لكن كيف تنظر إلى قوله تعالى في سورة الأنفال في الآية رقم ( ٦٠ )؛ حيث تقول: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ... ﴿٦٠﴾ ﴾ وكيف تنظر إلى انتصار المسلمين على أعدائهم في معارك وفتوحات كان أعداؤهم فيها ضِعفَ أعدادهم؟**

* الآية ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ تعني بذل الوسع على مداه في إعداد القوة، فيما يقودنا إلى سورة الحديد والآية ( ٢٥ ) التي ترد فيها: ﴿ ... وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾. بمعنى أن حماية الإيمان في هذا العالم، والتحقق بالقوة والعزة للأمة الشاهدة، لن يكون بدون توظيف مصادر القوة.

ثم إننا يجب أن نلاحظ الفارق النوعي بين المعارك التاريخية، قبل تصنيع الأسلحة الحديثة، وبين معارك القرنين الأخيرين. في الأولى لم يكن التكافؤ العددي ضروريًّا، وكانت قوة الإيمان، والخبرة القتالية، وغيرهما من العوامل تعوّض عنه. أما الحروب الحديثة فأمرها يختلف بدليل اندحار كل الحركات الجهادية ضد الفرنسيين والإنكليز والإسبان في القرنين السابقين... والكلام هنا عن الحروب النظامية وليس عن حروب المقاومة والعصابات، فهذه أمرها يختلف تمامًا...

لقد دعانا القرآن إلى ضرورة التحقّق بالقوة، فبدونها لن يكون بمقدور الإيمان في هذا العالم أن يحمي نفسه... وآخر شاهد على ذلك احتلال العراق عام ( ٢٠٠٣م ).

**○ في ذات الفصل والتمهيد، وفي صفحة ( ٢٠٢ )؛ حيث تقول: « ثم إن أية حركة في التاريخ لا تتشكل – ابتداء – وفق شروط موضوعية، وإنما تجيء كرد فعل على حالة تاريخية، ستعاني من كثير من عناصر الخلل ونقاط الضعف، التي ستكون بمثابة المقتل الذي تغوص فيه سكين الغالب ».**

**هذه الفقرة رغم وضوحها أشعر أنها بحاجة لمزيد من الإيضاح، لا لشيء إلّا لأهميتها وخطورتها.**

**وفي ذات الفصل، وفي مبحث ( السياق الفكري )، وفي صفحة: ( ٢٠٦ ): حيث تقول: « حتى مدننا وشوارعنا ودورنا وأماكن ترفيهنا، يتحتم أن ( نجتهد ) في أن تكون امتدادًا لرؤيتنا الإسلامية، لفكرنا ووجداننا الإيماني، وذوقنا الذي يميل دائمًا إلى أن يربط الوحي بالوجود، والغيب بالمنظور، والسماء بالأرض ».**

**أتفق معك في هذه النقطة قلبًا وقالبًا، لدرجة أني لا زلت تحت سحر كلماتك هذه وأنا أسطِّر تعقيبي هذا، وأن أصدق تعبير عن مراد الإسلام لما سطرته هنا هو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ الأنعام: ١٦٢ ]. لكن كم تمنيت، بعد أن سطرت هذه الكلمات الرائعة أن تبيّن – خصوصًا لمن يصطادون في الماء العكر – أن في ذلك دعوة متأصلة ومتجدّدة للإبداع والتميز، دون الانغلاق والتشدّد.**

* معك تمامًا في هاتين الملاحظتين الدقيقتين.

**○ في ذات الفصل، وفي مبحث ( السياق الحضاري ) وفي صفحة: ( ٢٣٨ )؛**

**حيث تقول: « والمشروع والحالة هذه يتطلب فقهاء مفكرين أو مفكرين متفقهين... إذ لا يكفي أن يكون هناك مفكرون لا يملكون آليات الاجتهاد، ولا مجتهدون لا يملكون خبرات العصر المعرفية ».**

**أقول: ولِمَ لا يتعاون الطرفان – في حالة ثالثة – المفكر ينطلق من الأُسس التي يحددها له الفقيه، والفقيه يسترشد بالمفكر في معرفة الواقع وخباياه، وحيل الحياة المعاصرة، وكذلك مجاهل الأمور الفكرية المستجدة؟**

* عالجت هذه المسألة بالتفصيل، وفق اقتراحك تمامًا في بحث ( علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والطموح ) قدّم لمؤتمر حول الموضوع عُقِدَ في عمان عام ( ١٩٩٤م )، ونشر في كتابي ( متابعات إسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة ) ( دار الحكمة، لندن ٢٠٠٢م ).

**○ في ذات الفصل والمبحث، وفي صفحة: ( ٢٤١ )؛ حيث تقول: « شرط أن تتهيأ لها قيادات ذات كفاءة تعرف كيف توظِّف الفرص جميعًا بأكبر قدر من التناغم والانسجام بين مقاصد الشريعة ومطالب اللحظة التاريخية ».**

**هل مشكلتنا في القيادات بصورة أخص، أم أنها خليط من القيادات وأمور أخرى؟**

* بالتأكيد، فهناك شروط أخرى وردت في سياق الكتاب وفي أعمالي الأخرى؛ حيث كنت أؤكد دائمًا على رفض فكرة ( التفسير الأحادي ) للتاريخ.

**○ للغرابة فإن شعوري عندما فرغت من قراءة هذا المبحث ( السياق الإنساني ) هو ذات الشعور الذي اعتراني عندما فرغت من كتاب محمد أسد** رحمه الله **( الإسلام على مفترق الطرق )!**

* في خمسينيات القرن الماضي أَسَرَني – مثلك – كتاب ( الإسلام على مفترق الطرق ) فقرأته أكثر من مرّة!

* * *
* *
*

# اللقاء السابع والأربعون (*)

○ **هل من الضروري للباحث المعاصر أن يصمّم قائمة مصادره بالمخطوطات؟**

* هذا سؤال ينطوي على جوابه فإن اعتماد أكبر قدر من المخطوطات يغني البحث، ويقدم للباحث إضاءات جديدة ذات قيمة بالغة فيما قد لا يتوفر في المصادر المنشورة، كما أن كثرة ما حقق من المخطوطات يضيق الخناق يومًا بعد يوم على المساحة المعطاة للمخطوطات في البحوث التاريخية، هذا إلى أن طبيعة الموضوع تمارس دورها بالتأكيد في حجم الاستفادة من المخطوط والمنشور. ورغم ذلك كله، ورغم الجهود المتواصلة التي بذلت في تحقيق المخطوطات وإخراجها إلى النور، فإن كمًّا كبيرًا منها لا يزال ينتظر التحقيق، وبخاصة تلك التي أخرجت بطبعات تجارية رديئة.

○ **هل ثمة تواصل في أجيال المحققين؟**

* تواصلُ أجيال المحققين مستمر، وتلك سنة اللَّه سبحانه في الخلق. ولا يمنع غياب فطاحل المحققين من ظهور آخرين لا يقلون عنهم مقدرة، كما حدث ويحدث عبر العقود الأخيرة، هذا إلى أن ظهور نشرات تجارية للكتب تفتقد إلى العلمية يشكل محفزًا على ضرورة التشمير عن ساعد الجد، وتضييق الخناق على الظاهرة، وبذل جهود متواصلة للتحقيق العلمي في أقصى وتائره دقة واكتمالًا.

○ **وهل تمّ - في رأيكم - تحقيق أكبر قدر من المخطوطات؟**

* إذا كانت المخطوطات المنشورة على شبكة الإنترنت غير محققة، فسيظل التميز رديفًا للاعتماد على المخطوط المحقق. أما إن الباحثين اليوم استطاعوا أن يحققوا أكبر ما يمكن أن ينتظر تحقيقه من هذه المخطوطات، فليس بمقدور أحد أن يصدر حكمًا قاطعًا كهذا؛ لأن ما وصلنا من المصادر والوثائق أقل بكثير مما لم يصلنا. وقد يكون من بين هذا الأخير كم كبير من المخطوطات التي لم تحقق، ويكفي أن نرجع إلى فهارس ابن النديم والبغدادي وحاجي خليفة وطاش كبرى زاده وبروكلمان وفؤاد سزكين

---

(*) أجرى الحوار على الإنترنت الأخ نبيل فتحي في شتاء (٢٠١٠م) لغرض نشره في مجلة (آفاق) الأربيلية.

وغيرهم لكي يتأكد لنا ذلك. ثم من يجرؤ على القول بأن هؤلاء الذين ذكرناهم وغيرهم من المفهرسين أحصوا مصنفات القدماء عددًا، وقدموا لنا قوائم تتسم بالكمال؟

**○ وما هي تجربتكم مع المخطوطات؟**

* لي تجربة خصبة مع المخطوطات بدأت على استحياء في مرحلة الماجستير يوم تعاملت مع مخطوطتي الفارقي ( تاريخ آمد وميافارقين ) وابن شداد ( الأعلاق الخطيرة ) قبل أن تحقَّقا وتخرُجا إلى النور. وقد أعياني الحظ السيئ في أولاهما واستغرق مني حل رموزها وقتًا وجهدًا كبيرين لكنهما أضافتا إلى رسالتي للماجستير عن ( عماد الدين زنكي ) روايات ذات غناء كبير.

ثم ما لبثت في مرحلة الدكتوراه، وأنا طالب في جامعة عين شمس بالقاهرة، أن وجدت نفسي قريبًا من دار الكتب، فرحت أقضي فيها يوميًّا الساعات الطوال وعلى مدى أشهر عديدة، لكي أتم استلال النصوص من عشرات المخطوطات التي أغنت أطروحتي للدكتوراه عن ( الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام )، وكما هو واضح في قائمة المصادر التي ألحقتها بالأطروحة ثم نشرتها في كتاب عام ( ١٩٨٠م ).

ولا زلت أذكر كيف كنت أقتطع من وقتي بين الحين والحين دقائق معدودات للتحدث إلى المحقق الكبير عبد السلام هارون رحمه الله الذي كان يشرف يومها ( ١٩٦٨م ) على قسم المخطوطات في دار الكتب.

**○ وما هي نصيحتكم للمؤرخين الشباب؟**

* ألّا يلجأوا - توفيرًا للجهد والوقت - إلى الطبعات التجارية غير المحققة، وإلى شاشة التلفاز. وأن يشمّروا عن ساعد الجد لتطوير بحوثهم التاريخية التي تعالج موضوعات بكرًا غير مستهلكة، والتي تتطلب اعتمادًا على المخطوط والمنشور معًا، لا سيما وأن سبل التواصل المعرفي مع شتى أقطار العالم أصبحت سهلة ميسورة. ودائمًا يكون الجزاء على قدر الجهد المبذول، فلتحاذر أجيالنا الناشئة من الباحثين أن تلجأ إلى الطريق السهل فإنه قد لا يأتي بنتائج علمية ذات غناء.

* * *

# اللقاء الثامن والأربعون (*)

**○ شيء عن السيرة الذاتية والعلمية؟**

* من مواليد الموصل عام ( ١٩٤١م )... تعلّمت في مدارسها الأولية ثم غادرتها إلى بغداد للحصول على البكالوريوس في التاريخ عام ( ١٩٦٢م ) من كلية تربية جامعة بغداد، والماجستير عام ( ١٩٦٥م ) من الجامعة نفسها، وأما الدكتوراه فقد حصلت عليها من كلية آداب جامعة عين شمس في القاهرة عام ( ١٩٦٨م ).

عملت مشرفًا على المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام ( ١٩٦٦م )، ثم عضوًا في الهيئة التدريسية لعدد من الكليات طيلة الفترة ( ١٩٦٦ - ٢٠٠٩م )؛ حيث أُحِلْتُ على التقاعد، ولكن ظللت مرتبطًا بكليتي العزيزة ( الآداب ) بصفة أستاذ متمرّس.

**○ إلى أين وصلت الدراسات التاريخية والأدبية في العراق خاصة، والعالم الإسلامي عامة؟ وما تقييمكم لذلك؟**

* قطعت شوطًا كبيرًا، وخاصة بعد أن غذّاها دفق رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه في التخصّصين... ولكن المشكلة أن ليس كل ما يكتب أو يصدر إلى السوق ينطوي على قيمته العلمية البالغة؛ فما لم يتشكل في ديارنا العالِم ذو العقل الإبداعي، والقدرات المنهجية المتألقة في ميدان البحث، فإن الكثير من هذا الذي تقذف به المطابع لا يرقى إلى المستوى المطلوب، ولا يساوي الورق الذي أنفق فيه...

**○ ما تقييمكم للفكر الإسلامي في وقتنا الحاضر؟ وهل هو بمستوى الواقع أم لا؟**

* مكتبة الفكر الإسلامي المعاصر تعد من أغنى المكتبات في عالمنا المعاصر خصبًا وعطاءً... والكثير من معطياتها تألّق في الجدل مع تحديات العصر، والإجابة على العديد من الأسئلة المعلقة في مجال الفكر والحياة. وهذا لا يمنع من وجود بعض الحلقات الضعيفة والهشّة التي يستعجل أصحابها في تقديم أعمالهم للقراء.

---

(*) أجرى الحوار في الموصل مندوب مجلة ( الرشاد ) التي تصدرها كلية الإمام الأعظم في نيسان ( ٢٠١٠م )، ونشر في عددها الصادر في ذلك العام.

**○ ما وسائلنا الضرورية، وأساليبنا السليمة والناجحة في مواجهة العولمة الثقافية والفكرية اليوم؟**

* المزيد من التحصّن في خصوصياتنا العقدية والثقافية، وعدم السماح بالتفريط بها بحجة اللحاق بالخصم... فإن الخصم نفسه لا يحترم من لا يحترم نفسه وخصوصياته، هذا مع التذكير بأن العولمة ليست شرًّا كلها، فهي - إذا أردنا الحق - تنطوي على بعض الحلقات الإيجابية. ولكن لكونها تشكلت في عصر النظام العالمي الجديد ذي القطبية الأحادية، غدت غزوًا فكريًّا أشد ضراوة من سابقه بما ينطوي عليه من استلاب للشخصية الإسلامية.

**○ هل كتب التاريخ على وفق منهج الحديث النبوي الشريف باعتماد الرواية التاريخية الصحيحة وترك الضعيفة والموضوعة؟**

* رغم اعتماد الرواية التاريخية على ( الإسناد ) في عصورها المبكرة، فإنها ظلت تجمع بين دفتيها القوي والضعيف. ولنا أن ننظر في مقدمة كتاب الطبري، شيخ المؤرخين ( تاريخ الرسل والملوك )، والذي يشير فيه بالحرف الواحد إلى هذا الذي نذهب إليه. ويبقى على المؤرخ المعاصر ألّا يستسلم للروايات القديمة على إطلاقها وأن يعتمد معها منهجًا علميًّا صارمًا. ولقد أفضت في الحديث عن شروط هذا المنهج في كتابي ( حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ) الذي صدر في ثمانينيات القرن الماضي. ويجب أن نشير ها هنا إلى محاولتي الدكتور أكرم ضياء العمري في ( السيرة النبوية الصحيحة ) والدكتور محمد البرزنجي ( صحيح تاريخ الطبري ) اللتين نفذت فيهما شروط منهج الحديث النبوي.

**○ ما تقييمكم للكليات والمؤسسات الشرعية في العراق عامة، وكلية الإمام الأعظم خاصة؟**

* على مستوى الهيئات التدريسية والمناهج المعتمدة يمكن القول بأنها تعد بخير كبير، لكن المشكلة في السواد الأعظم من الطلبة الذي لا يملكون - إلا من رحم ربك - فضاءً معرفيًّا واسعًا، وقدرات منهجية متألقة، وعقولًا ابتكارية، قديرة على إغناء حياتنا الإسلامية المعاصرة. والسبب في رأيي أن معظمهم فكّوا ارتباطهم بالكتاب، فيما نسميه ( المطالعة الخارجية )؛ فالذي يخرّج المفكر والمبدع والباحث

المتألّق والتدريسي اللامع هو الكتاب، وليس عشرات السنين من الدراسة الجامعية. وهذه الظاهرة تنسحب على سائر الكليات المعنية بالمعارف الإنسانية كذلك.

**○ ما علاقة الدراسات التاريخية والأدبية بالعلوم الشرعية؟ وبماذا توصون طلبة العلم الشرعي في ذلك عامة، والأئمة والخطباء والدعاة خاصة؟**

* ما لم يملك طلبة العلوم الشرعية ثقافة تاريخية وأدبية، وإذا أصرّوا على اعتقال أنفسهم في دائرة العلوم الشرعية، فإنهم سيفقدون القدرة على أن يكونوا عناصر فاعلة ذات كفاءة عالية في إعادة صياغة الحياة المعاصرة.

إن التكامل المعرفي ضرورة من ضرورات التعامل مع العلوم الإسلامية والإنسانية، فيما تعقد من أجله اليوم الندوات والمؤتمرات.

**○ أهم ما يلتزم به طلبة العلم الشرعي والأئمة والخطباء والدعاة، هو التحلّي بأخلاق العلم والعلماء، والالتزام بأخلاق السلف الصالح، ماذا يضيف جنابكم الكريم إلى ذلك؟**

* الفضاء المعرفي الواسع، والإلمام بمعطيات العصر وتحدياته، هذا إلى أن خطيب الجمعة بالذات يجب أن يكون أكثر وعيًا بمهمته الإعلامية التي لم تعط لأمة من الأمم كما أعطيت لهذه الأمة، بكل ما تنطوي عليه من شروط الإعلام الناجح: التغطية الزمنية والمكانية، بمعنى أنها فرصة أسبوعية في جوامع الأرض كلها؛ الحشد الجماهيري، الالتزام بالحضور وبالصمت والانتباه... والتقسيم الفني للخطبة إلى طويلة وقصيرة... ولكن معظم خطبائنا لا يحسنون توظيف هذه الفرصة الذهبية للأسف الشديد... فنحن أمة تعرف كيف تفرّط بالفرص والطاقات، وهذا هو أحد أسباب تخلّفنا... نريد خطبًا أسبوعية تلتصق بهموم الناس وقضايا الساعة، لا أن تهرب فينا بعيدًا إلى التاريخ، أو الكلام الرتيب المتثائب الممل، البعيد عن الصدق والأمانة والوفاء!!

**○ هلا أخبرتنا - بصورة موجزة - بأهم وآخر نتاجاتك العلمية والثقافية، المطبوعة وغير المطبوعة؟**

* ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) و ( مدخل إلى التاريخ الإسلامي ) وقد صدرا عن المركز الثقافي العربي في الرباط/ المغرب والدار العربية للعلوم في بيروت، عام ( ٢٠٠٥م )، وتلتهما رواية ( السيف والكلمة ) عن ذات المؤسستين،

ومسرحيتا ( الهمّ الكبير )، و ( التحقيق ) عن دار ابن كثير في دمشق وبيروت عام ( ٢٠٠٨م ). وأمامي الآن جملة من المشاريع التي تنتظر الإنجاز: ( آيات قرآنية تطل على العصر ) ( أحاديث نبوية تطل على العصر ) ( محاضرات إسلامية )... فضلاً عن التفكير بوضع اللمسات التأسيسية الأولى للسيرة الذاتية التي أريدها أن تكون رؤية انطباعية، وليست سردًا تاريخيًا أو تحقيقًا صحفيًا...

الطموح كبير، كما يقول توفيق الحكيم في ( سجن العمر ) ولكن القدرات محدودة، وهي تتعرض للتآكل يومًا بعد يوم... والله سبحانه المستعان...

**○ كلمة أخيرة يوجهها جنابكم الكريم إلى طلبة كلية الإمام الأعظم؟**

* ليس فقط طلبة كلية الإمام الأعظم، ولكن الطلبة في جامعاتنا كافة... إن عليهم – إذا أرادوا أن يكونوا عناصر فاعلة في الحياة الإسلامية – أن يقرأوا... ويقرأوا... ويقرأوا حتى تكل أعينهم وتغيّب أجسادهم في التراب... فبالقراءة وحدها يتحقق للإنسان الوقود الذي يقوده صوب أهدافه العليا... إنها الكلمة الأولى التي تنزلت على رسول الله ﷺ في غار حراء لكي تنسج هذا الكتاب العظيم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [ العلق: ١ ] أفلا نتعلم من كتاب الله؟!

* * *

# اللقاء التاسع والأربعون (*)

**○ ما منشأ أو جذور سوء التفاهم بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟ لماذا يفتعلون فوبيا الإسلام؟ لماذا يؤصلون الصراع بدل الحوار؟ كيف نحقّق ونوطّد أواصر التعاون والتعايش؟ وكيف نبني الجسور والحوار البناء؟ وكيف يمكن تصحيح المسار وإرجاع هذه الاختلالات إلى التوازن؟**

* هناك المركزية الأوربية التي ترى القارة الأوربية بؤرة التحضر في العالم وتنظر إلى الحضارات الشرقية بما فيها الإسلامية نظرة فوقية... وهنالك تحسَّسَ أكثرُ الأوربيين بما يعتبرونه خطرًا إسلاميًا تَمَثّل سابقًا بالمحاولات الأندلسية والعثمانية، ومن قبلها السلجوقية لاكتساح أوربا، ويتمثل حاليًا فيما يتصوّرنه هم إرهابًا... فمن أجل ما يخيل إليهم أنه الدفاع عن أنفسهم يفتعلون الفُوبيا الإسلامية ويؤصّلون للصراع الحضاري بدلًا من الحوار. وقد جاءت تنظيرات الربع الأخير من القرن الماضي من مثل نظرية ( صراع الحضارات ) لصموئيل هنتنجتن و ( نهاية التاريخ ) لفرنسيس فوكو ياما و ( الإنجيلية الجديدة ) لكي تؤكد هذا التوجُّه... ولكن إذا أردنا الحق فإن هناك أصواتًا وكتابات تسعى إلى إقامة الجسور بين الحضارتين، يمكن أن تساهم في تصحيح المسار، جنبًا إلى جنب مع ما يتحتم أن يقوم به المسلمون أنفسهم من جهد ثقافي وفكري وإعلامي، لتحقيق المطلوب، وأعتقد أن الجاليات الإسلامية الكبرى في ديار الغرب لم تأل جهدًا في هذا السبيل، تعاونها في هذا بعض الفضائيات العربية والإسلامية.

**○ كيف السبيل إلى استعادة الأمة لمكانتها الحضارية، وكيف نخرج من هذا التيه ( التخلف الحضاري )؟ الغرب يتقدم ونحن نتقدم إلى الوراء وإلى الخلف إن صح التعبير، هنا نكرر نفس السؤال الذي طرحه الأمير شكيب أرسلان مفاده لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟**

* أجبت عن هذا السؤال بالتفصيل في الفصل الرابع من كتابي ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) الذي نشر قبل سنوات قلائل.

---

(*) أجرى الحوار على الإنترنت الأخ الأستاذ حسام الدين جودت حافظ، مندوب مجلة ( الإيمان ) الأربيلية ونشر في عددها ( ٤٤ ) الصادر في ربيع ( ٢٠١١م ).

**○ منذ أن قدّم ابن خلدون مقدمته المشهورة، كيف تصف هذا الإنتاج المبدع الذي شخص أدواء المجتمع، هل ما زالت هذه المقدمة باستطاعتها توصيف أدواء المجتمع وأخذ الحلول من طروحاتها؟ أم أنها استنفدت معطياتها؟**

* هذا وذاك... فهناك في ( المقدمة ) معطيات في غاية الأهمية حول توصيف أدواء المجتمع وتقديم الحلول المناسبة لها... وهناك معطيات عفى عليها الزمن؛ لأنها وليدة عصرها. وقد سبق وأن عالجت الحالتين في كتابي ( ابن خلدون إسلاميًا ).

**○ يرى كثير من الخبراء في العالم أننا هامشيون أو مهمّشون في مجال الأثر العلمي والحضاري، فهل قيمنا الحضارية ضعيفة بشكل جعلها تنصهر مع العولمة أو تنهار أمامها؟ كيف نتجاوز هذه الهامشية إلى التأثير الحضاري؟**

**وما هي المجالات والأبنية الاجتماعية الأكثر تأثُّرًا وتغيُّرًا في عصر العولمة؟ أي المخاطر التي تواجهنا من جرّاء ذلك؟ وما هي الإجراءات العملية لذلك؟ وكيف نتعامل معها تعاملاً سليمًا؟ هل نتوجس منها ونتحصن؟**

**وهل العولمة وجه آخر للتبشير والاستشراق؟ يقول الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون ( إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري وإننا نستشعر أن علينا التزامًا مقدّسًا لتحويل العالم إلى صورتنا ). ما توضيحك وتعليقك على ذلك؟**

* نعم... فإن العولمة هي حصيلة كل الجهود العلمية والثقافية الغربية لتأكيد المركزية الأوربية في مواجهة الثقافات الأخرى ومحاولة احتوائها. ويجيء « التبشير » والاستشراق في هذا السياق، وما قاله الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون صحيح من حيث إن العولمة التي تسعى لجعل العالم كله قرية صغيرة إنما تسعى في الأساس إلى فرض الثقافة والمنفعة الأمريكيتين على مختلف شعوب العالم.

أما أننا هامشيون في مجال الأثر العلمي والحضاري فهي مقولة لا تستند إلى أي قدر من العلم الصحيح. فلقد قدمنا أيام تألُّقنا الحضاري الكثير الكثير من الكشوف العلمية لتقاليد البحث الحسي المختبري التجريبي الذي تدين له الحضارة الغربية باعتراف كبار مؤرخي العلم من أمثال الدومييلي الفرنسي وجورج سارتون الأمريكي. على أية حال كنت قد عالجت هذه المسائل جميعًا وبالتفصيل في الفصلين الثاني والثالث من كتابي

( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) وبإيجاز شديد فإن التحصن إزاء خطر العولمة لن يتحقق بدون التحصن باثنتين: خصوصيتنا العقدية « الإيمانية » وعمقنا التاريخي.

**○ بما أنك كتبت عدة دراسات في السيرة ودحضت شبهات المستشرقين، أود أن تعلق على كتاب ظهر في الأسواق منسوب للشاعر العراقي معروف الرصافي بعنوان ( الشخصية المحمدية ) هل قرأته؟ وما هو ردك أو تقويمك للكتاب فقد أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية؟**

* لم يتح لي أن أقرأ هذا الكتاب، وبدلًا من استنفاد الجهد بالرد على توجهات خصوم هذا الدين فإن علينا أن نقدم حقائق السيرة وغيرها من الحلقات الإسلامية والتاريخية لكي ترد بنفسها على مقولات الخصوم.

**○ ماذا تقول عن رحيل رؤوس الحداثة من محمد أركون، وحامد أبو زيد، والجابري؟، كيف تقيم مشاريعهم الفكرية من تحديث الفكر الإسلامي وبناء العقل والخطاب؟ هل ذهبت آراءهم معهم إلى القبور أم ما زال لها بريق؟ وكيف نتعامل مع هذا التوجه النقدي المحسوب أحيانًا للفكر الإسلامي؟**

* هؤلاء الذين رحلوا ليسوا سواء في معطياتهم إزاء الإسلام... محمد أركون ونصر حامد أبو زيد بلغا حدًّا بعيدًا في استنتاجاتهما المضادة لثوابت الفكر الإسلامي؛ أما الجابري فقد أجرى في المراحل الأخيرة من حياته بعض اللمسات التعديلية على قناعاته السابقة... وآراؤهم لم تذهب معهم إلى القبور، بل هي منتشرة لدى أوساط واسعة من الشباب المفتونين بالعلمانية... ومرة أخرى، وبدلًا من استنفاد الجهد في مناقشة هؤلاء يمكن أن نقدم الحقائق الإسلامية ونجلوها ونجعلها ترد بنفسها على مقولات الخصوم.

**○ هل العالم الإسلامي مريض حضاريًا؟ أطلق الأوربيون وصف ( الرجل المريض ) على الدولة العثمانية والتي كانت قلعة جمع اللّٰه في ربوعها جميع المسلمين بكافة شرائحهم وتنوعاتهم انتهى بها المطاف بأن رضخت للاستسلام وتشكلت تركيا الحديثة والتي قطعت صلتها إلى حدّ بعيد بالحضارة الإسلامية، لكن كيف يمكن إعادة الحياة إلى جسمها بأن يدحرج الحجر ويصحو الغافل من رقدته.**

* في الفصل الثالث من كتابي ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) قمت باستقصاء

بضع وعشرين عاملًا ساق حضارتنا إلى التآكل والأفول، وما لم نسع لتدارك هذا الخلل الكبير في جسدنا الحضاري فلن يكون لنا مكان في العالم المعاصر.

**○ وصف حالة العالم الإسلامي أحد المفكرين وأظن أنه د. يوسف العظم وشبهه بشخص مريض مطروح أمام مخدر وجراح ما تعليقك على هذا الوصف؟**

* تشبيه يوسف العظم رحمه الله في محله تمامًا... ولا بد من الجراحين الخبراء لتمكينه من استعادة صحته وعافيته.

**○ ما هو السبيل الأمثل إلى الوصول إلى التوحد والتعاون المثمر ما بين شعوب العالم الإسلامي وحكوماته؟ وكيف يمكننا نفض غبار الاستعمار حتى نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؟**

**في السنوات الأخيرة اتجهت أوربا إلى التوحد في عدة مجالات كيف تقرأ هذا التوحد الغربي والتفوق والتشتت في الهلال الإسلامي؟ ألا ترى أن هذا التوحد ضمن هذه التحالفات العملاقة تكمن في داخلها أطماع السيطرة على العالم الإسلامي وكيف السبيل لمواجهتها؟**

* ليست أوربا وحدها التي توجهت إلى التوحد بدءًا من السوق الأوربية المشتركة وانتهاءً بالاتحاد الأوربي الذي يزداد اتساعًا يومًا بعد يوم، بل إننا نجد دولة متخلفة كفيتنام بمجرد أن تنتصر على الاستعمار الأمريكي تعلن وحدة قسميها، ونحن منذ أكثر من قرن نتخبط في وحل التقسيم والتشرذم ومستنقعاته، ولم يفكر كثير من قادتنا يومًا بإنشاء ولو سوق عربية أو إسلامية مشتركة، ناهيك عن التوحد السياسي الذي أصبح بحكم المستحيل... لا بل إننا ماضون إلى ما هو أشد وأنكى، فيما يسميه المحلِّلون السياسيون بـ ( تجزئة المجزَّأ ) أي تفتيت الأقطار العربية والإسلامية المبعثرة إلى كيانات أصغر حجمًا، والهدف واضح لكل عينين.

أما كيف يتم تجاوز المحنة فبإرادة الشعوب الإسلامية وعزمها على المضي في طريق مقاومة المشاريع الاستعمارية، وبنشر وتعزيز الوعي الفكري بحقيقة وحدة هذه الأمة، وأنها لن يكون لها مكان في هذا العالم بدون لَمِّ طاقاتها وتحويلها إلى بؤرة قديرة على الإضاءة...

**○ شهد العالَم الإسلامي عبر تاريخه الزاخر مواقف للعلماء الربانيين وذلك في تغيير المنكر وتغيير الواقع المزري؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وسلطان العلماء العزّ بن عبد السلام في صد التتار وكذلك دور العالِم عبد الحميد بن باديس في مواجهة المستعمر الفرنسي والشيخ عز الدين القسام... إلخ... ماذا ننتظر الآن؟**

* وغير هؤلاء العلماء الكبار الذين بذلوا في تغيير المنكر وإصلاح الواقع المزري ومجابهة الغزاة والمستعمرين، خط طويل من العلماء الذين كانوا أوفياء لعقيدتهم وأمتهم حتى اللحظات الراهنة ولكن للأسف الشديد ثمة في مقابل هؤلاء خط آخر ممن يطلق عليهم ( وعّاظ السلاطين ) قبلوا مقابل فتات من إغراءات الحياة الدنيا أن يسيروا في الاتجاه المضاد ويلتصقوا بالسلطات الظالمة فأعطوا مَثَلَ السوء لتندر المتندرين.

**○ ما هو الدور المطلوب للعلماء في القيام بالتغيير الشرعي وكيف تقيم دور العلامة د. يوسف القرضاوي؟ ألا تستحق جهوده العملاقة في الترشيح لنيل جائزة نوبل العالمية؟**

**شخصيات من التاريخ الإسلامي أحببتَها وتأثرتَ بها تركت بصمات على صفحات التاريخ نرجو توصيف بعض الشخصيات الإسلامية؛ مثل الشيخ محمد محمود الصواف، الشيخ عبد العزيز البدري والكاتب الصيدلاني د. عمر محمود، والكاتب الألمعي رعد الحيالي رحمهم اللّٰه تعالى.**

* دور العلّامة الدكتور يوسف القرضاوي كبير كبير... على كل المستويات الفكرية والدعوية والقيادية... ثم إنه يملك عقلية مؤسسية مارست دورها الخطير في تشكيل العديد من المؤسسات كان أهمها ولا ريب الاتحاد العام لعلماء المسلمين، أما ترشيحه لجائزة نوبل وهو الذي جاوز عدد مؤلفاته المائة فهو أمر مستحيل لسبب واحد هو وقوفه ضد الصهيونية وإسرائيل المغتصبة، وبما أن الجائزة المذكورة قد مال بها الميزان باتجاه هاتين فإن ترشيحه لها أمر مستحيل.

أما الشخصيات التي ذكرتها والتي أحببتها؛ وكانت لي علاقة وثيقة بهم فهي بإيجاز شديد نماذج للدعاة الكبار الذين قدموا الكثير لهذه الأمة فكرًا ودعوة وذهبوا شهداء في سبيل اللّٰه وربحوا البيع عليهم رحمة اللّٰه...

**○ لم تحظ الدراسات المستقبلية في العالَم الإسلامي بأي اهتمام واضح، مع العلم أن العالم الغربي قد اهتمّ بها وخصَّص لها ميزانية محترمة، بل وفتح كليات تُعنى بالدراسات المستقبلية ومن خلالها وضع مشاريع مستقبلية للإصلاح والتقدم، تُرى لماذا تخلف العالم الإسلامي عن هذا المضمار؟ فهل يمكن صياغة علم مستقبلي إسلامي النزعة والتطلع والتأصيل؟**

* بكل تأكيد... هذا ممكن بمجرد أن يتجرد العمل وتخلص النيات... ولكننا لا نزال أمة متعبة حتى النخاع، لا تدري كيف تداري جراحها الراهنة، فكيف لها أن تهتم بمستقبلها وتخطط له؟! ولحسن الحظ فإن ما شهدته الساحتان التونسية والمصرية أخيرًا من اقتلاع الطاغوتيات القاهرة يؤذن بتحول هذه الأمة إلى الفاعلية التي أرادها لها هذا الدين... وحينذاك سيكون لكل حادث حديث.

**○ الابتعاث إلى الغرب أو هجرة الأدمغة إلى الغرب ما هي شروطها وما هي خطورتها؟.**

* أجبت عن هذا السؤال بالتفصيل في بحث لي يحمل عنوان ( البعثات التعليمية بين السلب والإيجاب ) صدر ضمن كتابي ( حوار في المعمار الكوني ) الذي تولت دار ابن كثير إعادة طباعته، فليس ثمة مبرر لإعادة القول فيه كرة أخرى.

**○ لماذا كان الآخر حريصًا على تغيير مناهج التعليم في البلاد المحتلة، ولماذا تتمثل محور أساسياتهم ( المرأة )؟ وما قصة مصطلح ( الجندر )؟**

* لأن التربية والتعليم هي البوابة الكبرى لتغيير عقلية الأمة وسلوكها... إنها كما يقول ليوبولد فايس ( محمد أسد ) في كتابه القيم ( الإسلام على مفترق الطرق ) « السم الذي جرعه الغربيون المستعمرون لأبناء عالم الإسلام »... فما لم نتداع لإعادة بناء مناهجنا وفق منظورنا الإسلامي الأصيل فسوف نظل ندور في حلقة التيه التي وضعتنا فيها المناهج الغربية التي لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر. وإن نقطة الخلاف الجوهرية في النظامين أو المنهاجين تكمن ها هنا بالذات: إنا نتلقى عن الوحي ما يُمكِّنُنا من تخطيط الوجود بما يليق بكرامة الإنسان ومهمته الاستخلافية العمرانية في العالم، أما هم فإنهم يرفضون الوحي ويلتصقون بالمادة التصاقًا براغماتيًا يحيل

الحياة الدنيا إلى سعي متكالب للامتلاك والسيطرة، بعيدًا عن منظومتنا الدينية والخلقية والإنسانية... إن المسألة باختصار وكما يقول المفكر المعروف أريك فروم نتملك أو نكون، وليس ثمة طريق وسط بين الاثنتين.

**○ كيف تقيم دور الخطباء؟ لماذا لم تحظ الخطابة بدراسات المفكرين؟ كيف نرتقي بالخطبة؟ وكيف يكون الخطاب الإسلامي الآن؟**

* دور الخطباء في عالمنا الإسلامي سيئ جدًّا في معظمه... وأنا أتحدث عن خطباء الجمعة تحديدًا، فنحن أمة منحنا اللَّه سبحانه فرصة ذهبية في شتى المجالات لكنها لم تعرف كيف توظِّفها... فها هي خطبة الجمعة على سبيل المثال حلقة إعلامية رائعة ومستكملة الأسباب: الحضور الجماهيري الملزِم... التغطية الزمنية والمكانية... ثم الإنصات التام، فضلًا عن تقسيمها قسمين يمكن أن يعالج كل منهما مسألة راهنة و « أؤكد على الكلمة » في مجال السياسة والصراع الفكري وإشكاليات السلوك اليومي للمسلم... ومع ذلك فإن معظم خطبائنا لم يحسنوا توظيف هذه الفرصة التي لم تمنح لأمة غيرهم، وراحوا يعيدون القول في مواضيع تاريخية مطروقة تدفع جموع المصلين إلى الملل والنوم، وهي ترى هؤلاء الخطباء يهربون من معالجة القضايا الراهنة كأنما كتب عليهم الخوف من الخوض فيها، فكيف ندفع أمة إلى الإنصات إليهم وهم لا يحاولون ربطها بواقعها وهمومها اليومية... كيف؟!

**○ نرجو إيضاح وتعريف هذه الأسماء والمصطلحات برؤيتك الثاقبة ولو بشكل موجز:**

اللَّه ﷻ ، الرسول ﷺ، القرآن الكريم، الداعية، الإيمان، الموت، الحياة، الأدب، الفكر، العولمة، المؤرخ، الحب، المشاعر، القراءة، الأصالة، المعاصرة، التجديد، التحديث، الوسطية؟

* **اللَّه جل جلاله:** هو المعبود والحكم والإله الذي يشرّع لنا لا إله إلا هو.

**محمد ﷺ:** هو النبي والقائد والمربي والمعلم الكبير والإنسان... وبدون التشبث بأذياله فلن يكون لنا مكان في الدنيا والآخرة.

**الإيمان:** هو الذي يعطي الروح لحياتنا الدنيا، وبدونه لن يكون لها طعم على الإطلاق؛ كالملح في الطعام.

**الموت**: ليس سوى نقلة من دائرة المعاناة والعذاب إلى رحاب اللَّه.

**الحياة**: فرصة للعمل والاختبار والبناء والإعمار والعطاء الموصول... والذين لا يدركون مغزاها العميق ليسوا سوى حشرات تحيا وتموت دون أن يعرف الناس أسماءها وملامحها.

**الأدب**: التعبير المؤثر الجميل عن خبرة الإنسان إزاء الكون والحياة والوجود والمصير.

**الفكر**: إعمال العقل في مشكلات الحياة الدنيا وسعي جاد لفك رموزها وألغازها.

**العولمة**: تحويل العالم إلى قرية صغيرة تهيمن على مقدراتها الدولة الأقوى.

**المؤرخ**: ذلك الذي يبحث عن الحقيقة ويجعلها تتكلم دون أن يسقط عليها شيئًا من قناعاته.

**الحب**: طبقات شتى يقف في قمتها حب اللَّه ورسوله عليه الصلاة والسلام.

**القراءة**: هي التي تمنح الحياة طعمها العذب، وهي التي تؤمن زاد العطاء المتدفق للباحثين والمفكرين والأدباء.

**الأصالة**: التشبث بثوابت هذه الأمة عقيدةً وشريعةً وسلوكًا.

**المعاصرة**: المتابعة الجادة لمتغيرات العصر الحديث من أجل إيجاد الحلول الملائمة لها.

**○ هل صحيح مقولة: المسلمون لا يقرؤون، وإذا قرؤوا لم يفهموا ما قرؤوه؟ في الغرب تطبع الكتب آلاف النسخ لكن في العالم الإسلامي لا تصل إلى أكثر من (٥٠٠٠)؟**

* نعم... إن المسلمين لا يكادون يقرؤون، والفارق بينهم وبين نتاج الغربي المتفوق كبير كبير... هم يضعون في حقائبهم وجيوبهم ما يسمونه كتاب الجيب لكي يلتهموا صفحاته، حتى وهم يتنقلون من مكان إلى مكان بالقطار أو الطائرة... ونحن نجلس في المقاهي والكازينوات، بل في دورنا الساعات الطوال دون أن تمس أيدينا مجلة أو كتاب... ولطالما حذرت طلبتي، عبر عملي الجامعي، من أن القراءة في كتاب هي المعلم الكبير الذي يخرج الباحثين والمفكرين والأدباء، وإلّا فإن عشرين سنة من الدراسة الجامعية الملتصقة بالمقرر، ومثلها الجلوس أمام التلفاز لن تخرج هؤلاء...

إن أمة لا يواصل أبناؤها القراءة ليل نهار، ويجعلون منها خبزهم اليومي، لن يكون لها مكان في خرائط العالم... ولسوف تظل مدارسنا وجامعاتنا تخرّج الأميين وأرباع المثقفين، ما لم يتداع الجميع إلى تحفيز الأجيال على القراءة التي كانت الكلمة الأولى التي نزلت على الرسول - عليه الصلاة والسلام - في غار حراء لحكمة يريدها اللَّه جل في علاه.

**○ اسمح لي أن أسألك عن رحلة حياتك... كتبت قرات طوفت، أي مرحلة من مراحل حياتك كانت أخصب وأغنّى؟ هل يمكن أن تخبرنا وتستخلص لنا بعض الدروس من حياتك ماذا أخذت وماذا أعطيت؟**

**لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها**

* في نيتي بإذن اللَّه سبحانه ومعونته أن أعبر الزمن القادم بكتابة سيرتي الذاتية برؤية انطباعية عما شهدته وعشته ومارسته واكتويت بناره عبر سبعين عامًا من حياتي المتواضعة... ولا يتسع مجال ضيق كهذا للخوض في الموضوع، ولكن أكتفي بالتأشير على واحدة من خبراتي مع الحياة: العمل... العمل... العمل... فذلك وحده الذي يبرر وجودنا في هذا العالم، ويمنحنا القدرة في الوقت نفسه على تحمل ضغوطه وهمومه وأحزانه... وما أكثرها.

* * *
* *
*

# اللقاء الخمسون (*)

○ **السلام عليكم ومرحبًا بكم ضيفًا كريمًا في مجلة الرباط...**

* وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته...

○ **هلّا حدثتمونا في البدء عن الأدب الإسلامي، وكيفية تحقّقه؟**

* ابتداءً... يتحتّم التأكيد على أن أي حديث عن المضمون الفكري للأدب الإسلامي المعاصر يجب ألّا يغفل - لحظة - عن التقنيات الفنية الملتحمة بالمضمون، والحاملة لهمومه، والقديرة - وظيفيًا - على توصيله إلى المتلقي بأكبر قدر من « التأثير ».

تلك هي مهمة الأدب على إطلاقه وعبر أجناسه كافة، وأي اختلال في التناسب بين الشكل والمضمون سيميل بالميزان صوب المضمونية التي تضعف العمل الإبداعي، وربما تخرج به عن أن يكون أدبًا.

فإذا ما عرّفنا الأدب الإسلامي ( بمفاهيمه المعاصرة ) بأنه « تعبير جمالي مؤثّر بالكلمة عن التصوّر الإسلامي للوجود »، وجدنا أنفسنا أمام العنصرين الأساسيين للعمل الأدبي؛ وهما « التصوّر » و « الجمال ».

هذه المسألة لا يكاد يختلف فيها اثنان في العالم كله، وإن كان بعض أدبائنا ونقادنا الإسلاميين لا يزالون يرمون بثقلهم صوب المضمونية، ويمارسون نوعًا من التهميش، بدرجة أو أخرى، للقيم الجمالية التي يتحتم أن تلتحم بالمضمون.

فإذا ما جئنا إلى المضمون الفكري وجدنا المذاهب الأدبية كافة ( فيما عدا البرناسية بطبيعة الحال ) تحمل وتبشّر بمنظومة من القيم التصوّرية كل وفق الشبكة التي تؤسس لذلك المذهب. وإذا كان الأمر غائمًا بعض الشيء في الكلاسيكية والكلاسيكية الجديدة، وربما الرومانسية، فإنه واضح تمامًا في الواقعية والواقعية الاشتراكية والرمزية والوجودية، والمذاهب التالية؛ كالسريالية والعبثية ( الطليعية )، وتيارات الحداثة المتدفقة التي يعقب بعضها بعضًا ولا يزال.

---

(*) أجرى الحوار في الموصل الأخ الدكتور محمد إسماعيل المشهداني عضو هيئة التحرير مجلة ( الرباط ) ونشر في عددها ( ٥١ ) الصادر في خريف عام ( ٢٠١١م ).

في حالة كهذه ألا يحق للأدب الإسلامي أن ينطوي على مضمونه الفكري بما أنه ينبثق عن العقيدة الأوسع فضاءً، والأغنى خبرات، والأغزر مفردات وعطاءً؟ باعتبارها إضاءة متفردة يلتقي فيها الوحي بالوجود، وتتلقى تعاليمها من الله سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وتفتح جناحيها على الإنسان والعالم والكون والمصير؟

إن الخبرة الإسلامية في أعمق مجاريها الإيمانية خفاءً، وأكثر تجلياتها الفكرية إشراقًا؛ تضع بين يدي الأديب والفنان ثروة هائلة من المفردات، وشبكة عريضة من التجارب والرؤى والتأسيسات التي يمكن للأديب أن يستمد منها مدماكه في هذا الجنس الأدبي أو ذاك.

في ضوء ذلك كله يبدو ( التأصيل الإسلامي للأدب ) التزامًا مبدعًا بمنظومة الخبرات والقيم الفكرية للإسلام، وتقديمها للناس بأشد وتائر القدرة على التأثير، يوازيها سعي مرسوم لنقد القيم الوضعية المضادة في الفكر والأدب والحياة.

ولكن، مرة ثانية وثالثة، بما أن الإبداع الأدبي في أجناسه كافة ينطوي على بعد آخر يلتحم بالبعد الفكري، ويمكِّنه من التأثير في المتلقي، وذلك هو منظومة القيم الجمالية؛ فإن التأصيل الإسلامي للأدب يتحتم ألّا يغفل عن إيلاء الاهتمام البالغ بهذا الجانب، وأن يبحث ما وسعه الجهد عن بدائل إسلامية للقيم الفنية الشائعة في الآداب العالمية، رغم إقرارنا - مسبقًا - بأن معظم هذه القيم يحمل وجهًا محايدًا يمكن توظيفه في هذا المذهب أو ذاك.

ومع المضمون الفكري والقيم الجمالية، لا بدّ للأدب الإسلامي - وهو يسعى إلى المزيد من التأصيل - من أن يشكل منهجه المتميز في النقد والدراسة الأدبية، أسوة بما فعلته وتفعله جل المذاهب والمدارس النقدية في العالم.

**○ يعترض بعض الأدباء على مصطلح الأدب الإسلامي بقوله: إننا بهذه التسمية نلغي الأدب العربي، ويرى أن هذا جناية على الأدب العربي الذي أعطى على مدى قرون طويلة وما يزال... فكيف نجيبهم؟**

* ليس ثمة مشكلة على الإطلاق، فالأدب العربي، وبخاصة المعاصر، ليس سواء... هنالك الأدب العربي الأصيل الذي يتوافق مع الأدب الإسلامي، ويرفده،

ويصبح جزءًا منه، وهنالك الأدب العربي الذي اندفع وراء إغواء ( الآخر ) الذي تختلف رؤيته عن رؤيتنا، ربما بزاوية مائة وثمانين درجة... وقد يصل به الأمر إلى حافات العبثية والإباحية والفجور...

هذه البقع المرضية الهجينة في خارطة الأدب العربي المعاصر، هي التي يرفضها الأدب الإسلامي... أما الأدب العربي في عمقه التراثي فهو في معظمه أدب الإسلام نفسه هذا فضلًا عن مساحات واسعة من الأدب العربي المعاصر.

**○ ألا يحول الأدب الإسلامي بين الأديب وبين الإبداع الفنّي الذي يحقق المتعة للقارئ؟**

* هذا يعتمد على قدرة الأديب نفسه، وخبرته، ومهارته، وفضائه المعرفي، وقوة خياله، وثقافته الأدبية تنظيرًا ونقدًا وإبداعًا، بغض النظر عن المذهب الأدبي الذي ينتمي إليه... فهنالك عبر المذاهب الأدبية كافة نتاج ضعيف لا يستحق أن يقرأ؛ لأنه لا ينطوي على الحدّ الأدنى من الشروط الإبداعية، ولا يحقق المتعة للقارئ.

هل قرأت أعمال الأديبيِن الإسلامييِن الكبيريِن: علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني؟ إن روايتي ( وا إسلاماه ) و ( الثائر الأحمر ) لأوّلهما - على سبيل المثال - و ( عمالقة الشمال ) و ( ليالي تركستان ) لثانيهما على سبيل المثال أيضًا؛ تمثل قممًا روائية على المستويين الإبداعي والإمتاعي، ولقد أدهشت الآلاف من القرّاء... وهناك غير هذين جيل من الروائيين الإسلاميين المعاصرين الذين قدموا الكثير في السياق نفسه.

وقد سبق وأن قلت في مقدمة مجموعتي القصصية ( كلمة اللّه ) ما نصّه « في رأيي أن احترام مطالب القصة القصيرة كما صممها المهندسون الكبار في الغرب والشرق، وعلى رأسها العقدة؛ يعد ضرورة من الضرورات، ليس فقط لتجاوز النزعة الهدمية التي تنطوي عليها بعض تيارات الحداثة الإبداعية، في سعيها المحموم لتدمير الثوابت الموضوعية والجمالية معًا؛ حيث يصير التغيير هدفًا بحدّ ذاته، وإنما لاحترام وتقدير حاجة القارئ الذهنية والنفسية إلى المتعة، والمشاركة، والتوقّ إلى الاكتشاف، والتوقع، والعثور في نهاية الأمر على الجواب. وأخشى ما يخشاه المرء وهو يبحر في تيار الحداثة بمستوياتها الثلاثة؛ التنظير والنقد والإبداع، أن يجد نفسه قبالة حالات لا يمكن التسليم بها بسهولة: إلغاء مبدأ المتعة الفنية في العمل الإبداعي، وتحويل

النشاط النقدي إلى جهد مختبري قد يضع الأسلاك الشائكة بين المبدع والمتلقي، أو بين النصّ والقارئ، ويصرف الأخير عن استدعاء الناقد لكي يعينه على التعامل مع النص، ليس كمعادلة رياضية، أو كشف كيمياوي، وإنما كجهد إبداعي يستعصي على الجدولة والترقيم ».

فكيف إذا جئنا إلى الشعر الذي قدم فيه الإسلاميون سيلًا من القصائد القمم بكل المعايير النقدية؟

○ **يقول المعارضون لمصطلح الأدب الإسلامي: إن هذا المصطلح يجعل الأدب واضحًا ومباشرًا في خطابه، والوضوح والمباشرة عدوّان لدودان لفنية النصّ الإبداعي، فكيف نتجاوز ذلك؟**

* يمكن أن تجد بغيتك في جوابي على السؤال الأول، فالوضوح والمباشرة عدوّان لفنية النّص الأدبي، ليس في دائرة الأدب الإسلامي وحده، وإنما في المذاهب كافة. فها هنا أيضًا تجد هذا الداء - إذا صحّت التسمية - يخترق الكثير من الأعمال... إذ لا بدّ من أجل التحقق بالشروط الفنية للأداء، من الانزياح بدرجة أو أخرى عن الدلالات المباشرة للكلمات وإلّا فهي المعاني المطروحة على قارعة الطريق، كما يقول الجاحظ.

ولكني أحب أن أسأل هؤلاء المعترضين: هل أتيح لهم أن يقرؤوا جلّ الأعمال الأدبية الإسلامية المعاصرة، في أجناسها كافة، إن لم أقل كلّها، لكي يكون حكمهم عليها حكمًا صائبًا؟!

إنها مقولة لا تقوم على استقراء شامل، وتطلق تعميمًا خاطئًا، والتعميم - كما نعرف جميعًا - خطأ علمي.

إنهم يتناقلون المقولة الخاطئة بعضهم عن بعض، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء قراءة هذا الذي تفيض به مكتبة الأدب الإسلامي المعاصر في أجناسه كافة، والذي ينطوي بالتأكيد - وأسوة بغيره من الآداب - على المباشر والواضح، ولكنه يتضمن - في الوقت نفسه - الكثير الكثير من الأعمال التي استكملت شروطها الفنية بكل المعايير النقدية.

**○ عندما نقول – في ظل التصوّر الإسلامي للأدب – ( هذا أديب غير إسلامي )، ألا يجرنا هذا إلى تكفير الأديب المسلم الذي لا يدخل في دائرة هذا التصوّر؟**

* ثمة فارق كبير بين عبارة ( أديب غير إسلامي ) و ( أديب غير مسلم )... لم يقل أحد بالثانية، أما الأولى فتعني أنه يصدر في معطياته الأدبية تنظيرًا ودراسة ونقدًا وإبداعًا عن منطلقات غير إسلامية، ولكنه يظل مع ذلك مسلمًا على الأقل بالمفهوم الجغرافي...

**○ يثير بعض معارضي مصطلح ( الأدب الإسلامي ) شبهة البدعة في هذا المصطلح، فيقولون: إنه بدعة معاصرة لم يقل بها أحد من سلف هذه الأمة، فهل نحن أحرص على الإسلام من أولئك؟**

* لسنا في حلبة مصارعة، لكي يكون أحدنا أحرص من الآخر، فالكل أجداد وآباء وأبناء، هم تلامذة المدرسة الإسلامية التي خرّجت كعب بن زهير وحسان بن ثابت وجلال الدين الرومي وحافظ وسعدي وعلي أحمد باكثير والرافعي والكيلاني والأميري... التواصل قائم أيها الأخ الكريم، فما دامت الكلمة المبدعة تحمل همًّا إسلاميًا، وتبشر بخلاص إسلامي، فإنها تندرج في سياق الأدب الإسلامي، معاصرًا كان أم تراثيًا، فليس ثمة انقطاع بين الأجيال، ولقد عالجت هذه المسألة بتفصيل واستفاضة في بحث يحمل عنوان ( الأدب الإسلامي وإشكالية العمق التراثي ) نشر قبل سنوات في مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

إذا كانت خدمة هذا الدين بقوّة الكلمة (بدعة) فهي – إذن – البدعة الحسنة التي نرجو أن يكون لها أجرها عند الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [ إبراهيم: ٢٤، ٢٥ ].

فإذا أردنا أن يكون لهذه ( الكلمة ) قدرتها على التأثير، فإن علينا أن نستدعي كل الخبرات التنظيرية والنقدية والإبداعية في ساحات العالَم المعاصر، لكي ننتقي منها ما يمنح أدبنا سويته المطلوبة وينقله إلى مستوى العالمية... إن العزلة عما يطلع في الغرب عمل انتحاري، كما أن تقبّله على عواهنه انتحار هو الآخر... ولا بدّ أن نكون حذرين من الاثنتين.

**○ يدعى أن النظام العالمي الجديد ينادي بثقافة عالمية موحدة، لا فواصل بين العقول والأفكار فيها، فالناس جميعًا ينتمون إلى ثقافة واحدةٍ تقوم على فكرة الإنسانية التي لا تعرف الحدود... ماذا تقول في ذلك؟**

* لا أقول إلا ما قاله كتاب اللَّه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [ هود: ١١٨، ١١٩ ]، أي خلقهم للتغاير والتدافع والاختلاف: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [ البقرة: ٢٥١ ].

لقد حاولت الشيوعية يومًا الوصول إلى حالة « الثقافة الواحدة » وإلغاء التغاير، والإجهاز على خصوصيات الأمم والشعوب، فأخفقت وخرجت من التاريخ. وفي الطرف الآخر... الطرف الغربي الرأسمالي، حاول الفيلسوف الأمريكي ( فرنسيس فوكوياما ) في ( نهاية التاريخ ) أن يلعب الدور نفسه، وأن يصبح عرّاب الثقافة الليبيرالية الموحدة التي تمضي لكي تغطّي العالم كله، ولكنه ما لبث أن رجع عن فكرته بعد سنوات فحسب من إصداره كتابه المذكور. عاد لكي يؤكد مبدأ التغاير ويعترف بالخصوصيات.

ولكن هذا كله لا يمنع من حوار الإنسان مع الإنسان، ومن لقاء الإنسان بالإنسان على مدى العالم كله، ومن إيجاد جزر مشتركة لتعايش مشترك... ولو رجعت إلى تاريخنا وألقيت عليه نظرة طائر، فإنك سترى تنفيذًا مدهشًا لفكرة أُخوّة الإنسان للإنسان هذه... وما أحرى الأدب الإسلامي، بنزعته العالمية، الموازية لتشبثه بخصوصياته، أن تعكس هذا الهمّ الكبير. هذا اللقاء المشترك تحت سماء اللَّه الكبيرة... جلَّ في علاه.

* * *
* *
*

بسم الله الرحمن الرحيم

# اللقاء الحادي والخمسون(*)

**الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل عمر الطالب.**

**تاريخ الميلاد:** ( ١٩٤١م ).

**مكان الميلاد:** الموصل.

**المهنة الآن:** أستاذ متمرّس في قسم التاريخ بكلية آداب جامعة الموصل.

**المناصب التي تقلّدها:**

١ - الإشراف على المكتبة المركزية لجامعة الموصل ( ١٩٦٦م ).

٢ - رئاسة قسم التراث في المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية ( الموصل ) ( ١٩٨٠ - ١٩٨٧م ).

٣ - رئاسة وعضوية عدد من لجان الترقية العلمية.

٤ - عضوية مجلس جامعة الموصل ممثلًا للتدريسيين ( ٢٠٠٣ - ٢٠٠٥م ).

أحيل على التقاعد في ( ١/ ٧/ ٢٠٠٩م ).

**مدرسته الابتدائية:** ( ٦ سنوات ) ( ١٩٤٧ - ١٩٥٣م )، الوطن وتقوم في مكانها الآن مديرية بلديات الموصل في شارع الجمهورية.

- **مديرها:** بشير الدليمي.

- **أهم معلميها:** عبد اللَّه عبيد أغا، عبد اللَّه الحاج خطاب، عزيز النجم، جميل الحاج أحمد، رؤوف زين العابدين، طه الحمطاني، نعمة اللَّه النعمة، فيصل الأرحيم، عبد الباقي العمري، يحيى الصباغ، عبودي قصيرة، إبراهيم الشماع، مصطفى أفندي، حنّا أفندي، بهنام أفندي، مسعود أفندي، توفيق أفندي، شيت أفندي، إبراهيم أفندي.

(*) جوابًا على جملة من الأسئلة وجّهها الأخ الدكتور علي نجم عيسى إلى عدد من المعنيين بالهم التربوي في الموصل، ونشرها في المجلة التي تصدرها مديرية تربية الموصل عام ( ٢٠١٠م ).

**مدرسته المتوسطة:** ( ٣ سنوات ) ( ١٩٥٣ - ١٩٥٦م )، المثنى، وتقوم في مكانها الآن بناية فندق برج بغداد وجزء من شارع الكورنيش.

- **مديرها:** توفيق الدباغ.

- **أهم مدرّسيها:** عبد الرحمن صالح، محيي الدين العشائري، أحمد الصوفي، عبد العظيم المصري، إدريس التلعفري، غانم مطلوب، نجيب لازار، عوني سليم، شاكر محمود، حسين الحبيطي، مهدي السامرائي، سالم الدباغ، سمير التكريتي، عبد اللّٰه مخلص، فخري الحاج أحمد، أحمد الصوفي، إدريس الحاج خطاب، زكي الحاج يونس، رمّو أفندي، عطية المصري.

**مدرسته الإعدادية:** ( سنتان ) ( ١٩٥٦ - ١٩٥٨م ). لا تزال قائمة في مكانها مقابل جامع الخضر، نهاية شارع الكورنيش.

- **مديرها:** محمود الجومرد.

- **أهم مدرّسيها:** سعيد الملاح، ذنون الشهاب، عباس بلال، نجيب الخفاف، عمر الطالب، أحمد الكبيسي، بشير حسن، يونس عزيز، يوئيل عزيز، محمود ( أبو ليلى )، محمد الأطرقجي، مستر بيتر ( إنكليزي )، إبراهيم غزالة، محمد نوري.

**○ تطوير التعليم في المحافظة:**

* إن نقطة الانطلاق في تطوير التعليم في المحافظة هي تكوين جيل من المعلمين الذين يتميزون بقوة الشخصية، والفضاء الثقافي الواسع، والأخلاق العالية، وعشق المهنة التي عهدت إليهم. والأمر نفسه يشمل مدرّسي المتوسطات والإعداديات.

وبدون ذلك فإن الابتدائيات والمتوسطات والإعداديات ستظل تقذف إلى الجامعات بأجيال ممن يعانون من الكساح الثقافي والعلمي، ومن التدنّي السلوكي والتربوي، وستقوم هذه بدورها بتخريج أجيال من حملة الشهادات من الأميين أو أنصاف المتعلمين، لا يملكون القدرة الفاعلة على الإسهام الجاد في خدمة مجتمعهم، وهم حيثما توجهوا لا يأتون بخير.

والشرط الآخر الذي لا يقل أهمية، هو إعادة الأجيال الشاردة من الطلبة إلى عشق الكتاب والمطالعة الخارجية... ليس الطلبة وحدهم، وإنما المعلمون والمدرّسون

والأساتذة الذين لم يعودوا يقرأون، ولعلهم أخذوا يفضلون الجلوس أمام ( التلفاز ) الساعات الطوال بدلًا من القراءة.

والحق أن خمسين سنةً من الدراسة في المدارس والجامعات لن تخرّج باحثًا ولا مفكرًا ولا مؤلفًا ولا أديبًا ولا مبدعًا، ولا معلمًا أو مدرّسًا متألّقًا... والذي يخرّج هؤلاء هو ( الكتاب ). ونحن أمة أريد لها منذ البدء أن ( تقرأ )، وكانت الكلمة الأولى التي تنزّلت على رسول الله ﷺ في غار حراء هي ( اقرأ )... فبدونها ستظل أجيالنا تتخبط في الحلقة المفرغة، وليس ثمة من يخرجها من الورطة سوى ( الكتاب ).

* * *
* *
*

# اللقاء الثاني والخمسون(*)

○ **بطاقة شخصية... من هو الدكتور عماد الدين خليل؟**

* من مواليد الموصل عام ( ١٩٤١م ) لأب تاجر وأم ربّة بيت... اجتزتُ مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في الموصل ( ١٩٤٦ - ١٩٥٨م )، ثم رحلت إلى بغداد للالتحاق بكلية التربية، قسم التاريخ؛ حيث حصلت على البكالوريوس بدرجة الشرف عام ( ١٩٦٢م ). ولم أشأ أن ألتحق بالوظيفة مؤثرًا عليها مواصلة دراستي للماجستير، والتي كانت في معهد الدراسات العليا/ كلية آداب جامعة بغداد ( ١٩٦٢ - ١٩٦٥م ). وبمجرد حصولي على الماجستير التحقت بجامعة الموصل التي كانت يومذاك تابعة لجامعة بغداد، ولم تكن قد أسست فيها كلية للآداب، فعملت في المكتبة المركزية مشرفًا عليها لحين إنشاء كلية الآداب في خريف ( ١٩٦٦م )؛ حيث التحقت بها لممارسة العمل التدريسي منتظرًا أقرب فرصة لمواصلة دراستي للدكتوراه التي حصلت عليها بعون الله، وبمرتبة الشرف الأولى من جامعة عين شمس بالقاهرة، في ربيع عام ( ١٩٦٨م ). ولا زلت أعمل في كلية آداب جامعة الموصل بصفة ( أستاذ متمرّس ) بعد أن أحلت على التقاعد في تموز ( ٢٠٠٩م ).

○ **هلّا حدثتنا عن الطفولة وكيف كانت في أزقة وحواري مدينة الموصل؟**

* ليست الأزقة والحواري وحدها، ولكن حافات النهر والبراري البعيدة؛ فقد كنت وعدد من أقربائي في مرحلة الطفولة « أشقياء » بمعنى الكلمة، لا يقرّ لنا قرار... نمارس كل أنواع اللعب... نجتاز المسافات الطويلة لاكتشاف البقاع الجديدة في أطراف المدينة... يكفي أن أذكر لك واحدة منها فحسب، عندما كنا نتسلّق ظهر المركبات التي تجرّها الخيول، فتقطع بنا شوارع المدينة من أقصاها إلى أقصاها دون أن يحسّ بنا سائق العربة... ولنا الويل عندما يكتشف أمرنا؛ حيث كان السوط يلسع ظهورنا بقسوة لا ترحم... حينذاك فقط نغادر خلفية العربة لكي نتسلق خلفية عربة

---

(*) أجرى الحوار في الموصل الأخ عماد مصطفى النقشبندي، مندوب مجلة الحوار الأربيلية ونشر في العددين ( ٩٣، ٩٤ تموز وآب ٢٠١٠م ).

أخرى ونواصل المشوار... قد تقول لي لماذا؟ فأقول لك ( البلاش ) طعمه لذيذ!

○ **إلى من يعود الفضل في تميّز عماد الدين؟**

* الأب والأم وأخي الأكبر... كانوا يملكون إحساسًا مرهفًا تجاه العالم والأشياء... فنقلوه إليّ... هذا إلى أن جدّي لأمي ( الملّا حسن أفندي البزاز ) كان شاعرًا مبدعًا يكاد يذوب وجدًا في عشق رسول الله ﷺ... وكنت أسمع عنه كثيرًا، وكم تمنيت أن أكون شاعرًا مثله... لا تنس أيضًا عددًا من معلمي الابتدائية ومدرّسي المتوسطة والإعدادية المتألّقين بقوة شخصياتهم، وبفضائهم المعرفي الواسع، وتأثيرهم التربوي... ولكن سيبقى الأثر الأكبر « للكتاب »... مطالعاتي النهمة ليل نهار، هي التي شكلتني... لقد كانت خبزي اليومي ولحظات سعادتي القصوى... ولم أكن أقرأ الكتاب في ساعة أو ساعتين، بل هو يستغرق مني الأسبوع والأسبوعين... لأني كنت أرتشفه ارتشافًا... أتشرّبه حتى النخاع، فيعرّش في خزيني الفكري والوجداني لا يغادره أبدًا... زوجتي التي صبرت علي طويلًا وضحّت بالكثير من أجل أن أتفرّغ لزمن الكتابة...

○ **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية... ما هو عنصر الجمع بينهما؟**

* التاريخ هو وعاء الحضارة... الزمن والمكان اللذان تتشكل في مساحاتهما المعطيات الحضارية في اتجاهاتها كافة... ليس ثمة تاريخ بدون إنجاز حضاري، والعكس صحيح... إنهما متعاشقان؛ ولذا كانت مفرداتهما في المدارس والجامعات متعاشقة هي الأخرى.

○ **ما هو سبب تخصّصكم في البحث في الحضارة والتاريخ الإسلاميين؟**

* الرغبة المتأصلة في التعرّف على تاريخ الآباء والأجداد، وعلى معطياتهم الحضارية المتألقة... وطالما تساءلت: ما الذي جعلهم يبلغون يومًا القمة ويتموضعون في سقف العالم، ويقدمون هذا العطاء المتدفق الذي أعان أوربا نفسها على النهوض من سباتها العميق؟ ثم... ما الذي جعلهم ينحدرون عبر العصور التالية إلى القرار، ويفقدون القدرة على الإنجاز والتجدد والإبداع... وهل بمقدورهم أن ينهضوا من جديد إذا عرفوا كيف يأخذوا بالأسباب التي صنعت مجدهم أول مرة، وجعلتهم خير أمة أخرجت للناس؟... كنت أتحرّق شوقًا لتلقي الأجوبة التي تمنحني القناعة؛ ولهذا

اخترت أن أدخل قسم التاريخ، وأواصل دراستي إلى مرحلة الدكتوراه... ولكني أصارحك القول بأن ما قدّمته لي الجامعة عبر مراحلها الثلاث... لم يبلغ عشر معشار ما قدمه لي الكتاب... المطالعة الخارجية التي سكنتني منذ أيام الطفولة... ولا تزال...

**○ كيف تقيّمون مدينة الموصل من خلال دخولها في التاريخ، وكيف يمكننا الحفاظ على مكانة المدينة في ذاكرة التاريخ؟**

* لحسن الحظ، فإن آخر كتاب صدر لي قبل أشهر يجيبك على هذه الأسئلة... إنه ( خطوات في تراث الموصل ) الذي صدر عن مركز دراسات الموصل التابع لجامعة الموصل، والذي ينطوي على الكثير مما يمكن أن يقال عن الموصل في عمقها التاريخي، وواقعها، وشخصيتها التراثية.

لقد تقلبت الموصل عبر تاريخها الطويل في عصور وأوضاع شتى، انحسر في بعضها الدور حتى أنه لم يكد يتجاوز حافات المدينة، وامتد في بعضها الآخر ليهيمن على مساحات واسعة من الأرض، وخلال هذا وذاك، تمكنت من الصمود لبعض التحديات وكسر شوكتها، واستسلمت لبعضها الآخر بسبب عدم التكافؤ في القدرات. وإزاء هذا أتيح للموصل أن تتولى في بعض مراحل التاريخ قيادة الأمة قبالة تحديات الخصوم، وأن تحقق مكاسب سياسية وعسكرية كبرى كان لها أبلغ الأثر في مجرى التاريخ الإسلامي والعالمي على السواء.

ولا بد من الإشارة للدور التاريخي الكبير الذي مارسته الموصل عبر مراحل تاريخية شتى في مواجهة الخصوم التاريخيين للأمة، متمثلين بالصليبيين حينًا، وبالمغول حينًا آخر، وبالقوى الفارسية حينًا ثالثًا.

من هنا، ومن أجل كل ما ذكرنا ناديت مرارًا لبذل الجهد المتواصل لحماية ما تبقى من شخصية الموصل التراثية. وأن على كل الدوائر المعنية، وليست دائرة الآثار وحسب، أن تنهض قائمة وتتحمل جانبًا من المسؤولية في الحفاظ على بقايا الملامح التراثية لمدينة متميزة، قبل أن تفقد خصائصها وتصبح رقمًا مضافًا إلى قائمة المدن المستحدثة والمنبثة في خرائط العالم، ولكن ليس قبل التعويض المالي والعادل والسخي لأصحاب الأملاك ذات الطابع التراثي، كي يبقوا على أملاكهم فلا تتعرض للضياع.

**○ ما هي المجالات التي تحبّذون الكتابة فيها؟**

* الفكر والتاريخ والأدب، تلك هي الثلاثية التي أمسكت بقلمي منذ ستينيات القرن الماضي وحتى اللحظات الراهنة... ولقد جاءت مؤلفاتي موزعة بالعدل والقسطاس على هذه السياقات الثلاثة... وكنت في كل الأحوال أنطلق من زاوية رؤية – أو منهج إسلامي بعبارة أدق – لنسج فصول مؤلفاتي، فليس كهذا الدين من يملك قدرة متميزة على منح المفكر والباحث المعايير الموضوعية العادلة في التعامل مع الظواهر والوقائع والأشياء، والوصول إلى نتائج أكثر دقةً وإحكامًا... إن الفضاء المعرفي، وأدوات العمل التي يمنحها هذا الدين للباحثين، يندر أن نجدها في أي دين أو عقيدة أو مذهب آخر.

**○ أين أنتم الآن؟!**

* في طريقي إلى السبعين من العمر... محال على التقاعد... متفرغ للبحث والكتابة... ويومًا بعد يوم أجدني في قلب معادلة قد تبدو متناقضة في ظاهرها، ولكنها في عمقها الحقيقي تنطوي على أقصى درجات الوِفَاق.

تضاؤل الحياة الدنيا، وانحسارها، وربما تفاهتها التي لا تستحق كل هذا الذي يبذل من أجلها تطاحنًا ولهاثًا واقتتالًا... ما الذي تعنيه رحلة سبعين عامًا سوى أنها لحظات من عمر الزمن؟! وعلينا – بالتالي – أن نوظِّفها بأقصى ما نستطيع... أن نعتصر أيامها ولياليها عطاءً موصولًا، نتقدم به أمام اللَّه – جلّ في علاه – كشف حساب عما صنعته أيدينا لليوم الآخر... للحياة الحقيقية الدائمة... فلعله يمنحنا جواز السفر إلى الجنة... وهكذا يتضح الوجه الآخر للصورة... إن انصرام الحياة الدنيا، وتفلتها، وزوالها، تجيء بمثابة تحدٍّ لنا جميعًا... ألّا نقعد ونستسلم، بل أن نشمّر عن ساعد الجدّ لتقديم أكبر قدر من الإنجاز... وبهذا فقط تتبينّ الحكمة المدهشة من معادلة الموت والحياة، تلك التي تختصرها الآية الكريمة بكلمات قلائل: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ ﴾ [ الملك: ٢ ].

وبهذا يصير الانتماء الجاد لهذا الدين، والالتزام بمطالبه « مشروعًا حضاريًّا » على المبدعين من أبناء الأمة كافة أن يشاركوا فيه إذا أرادوا أن يكونوا مسلمين بحق!!

○ **بأيِّ المفكرين والكُتَّاب تأثّر دكتور عماد الدين؟**

* ليس ثمة تأثّر بمفكر أو كاتب واحد بطبيعة الحال... وإنما هي مجموعة من المفكرين والكتاب... من الشرق والغرب... وفي سياقات معرفية شتى... وهو تأثر يمتزج بقدر كبير من الإعجاب، وربما الانبهار، في المضامين أو الأسلوبيات.

والحق أن رحلة ستين عامًا مع حشود كبيرة من المفكرين والكتاب، تأثرتُ وأعجبتُ بالعديد منهم، تجعل من الصعوبة بمكان حصرهم بعدد معيّن... ففي مجالات الفكر والأدب والتاريخ والحضارة قرأت الكثير، وتأثرت بالكثير، وأعجبت بالكثير. وإذا كان لا بدّ من التأشير على بعضهم، فهناك - مع التحفظ على الاختلاف في الآراء - أرنولد توينبي، وغارسيا ماركيز، وغوته، وكامو، ولامارتين، وغارودي، وليوبولد فايس ( محمد أسد )، ومارسيل بوازار، وديستوفسكي، وتولستوي، كما أن هناك مالك بن نبي، ومحمد إقبال، وسيد قطب، ومصطفى محمود، ومحمد جلال كشك، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس... وغيرهم كثيرون، مع التحفظ - مرة أخرى - على الاختلاف في الآراء... وأرجو المعذرة عن إيراد الأسماء كي لا أتحول إلى وضع قائمة مطولة بأسماء المفكرين والأدباء والكتاب. أما على مستوى العمق التراثي فهناك ابن حزم وابن خلدون والغزالي وابن الجوزي وابن تيمية والمتنبي... وغيرهم كثيرون.

○ **من غير الثلاثية: الأدب - الفكر - التاريخ، من المعروف أنكم كتبتم أو تكتبون في النقد، فأيُّ مجالات النقد تثير قلمكم للكتابة؟**

* الجهد النقدي يجيء في سياق الهمّ الأدبي الذي ينطوي على التنظير والدراسة والنقد التطبيقي والإبداع في أجناسه كافة، ولقد انصبت محاولاتي النقدية التطبيقية التي أثمرت أربعة كتب أو خمسة، على الأجناس كافة، وبخاصة الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية، في مسعى يستهدف اعتماد « رؤية إسلامية » في التعامل النقدي مع النص شكلًا ومضمونًا... وسيصدر لي قريبًا في السياق المذكور كتاب « محاولات إسلامية في النقد التطبيقي ».

**○ كيف ترون تأثير الكتاب الغربيين والمستشرقين في التاريخ العربي والإسلامي؟**

* كان رأيي دائمًا ألّا نعتمد مبدأ « إمّا هذا أو ذاك »، وأن نستبدله بمبدأ « هذا وذاك ». بمعنى ألّا نكتفي بصبّ اللعنات على الموروث الاستشراقي ونلغيه من الحساب، من جهة، وألّا نتقبله على عواهنه من جهة أخرى... فهو إذا أردنا الحق، ينطوي على الإيجاب والسلب معًا.

دعني أقف قليلًا عند هذه الإشكالية، والتي تمثل قاعدة كتاباتي كلها عن الاستشراق.

فعلى مدى خمسين عامًا، وعبر مراحل زمنية متقاربة حينًا متباعدة أحيانًا، تعاملت مع ( الاستشراق ) قراءة وتدريسًا وتأليفًا. وقد أتيح لي منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي وحتى العقد الأول من القرن الحالي، أن أقرأ عشرات المصنفات التي أنجزها المستشرقون على اختلاف بلدانهم في أوربا غربًا وشرقًا، وأن أدرّس مادة ( الاستشراق ) لطلبة الدراسات العليا، وأناقش رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي تمسّ الموضوع في العديد من الجامعات العربية والإسلامية، وأن أنجز جملةً من المؤلفات، مُحّض بعضها للفكر الغربي والاستشراقي، وخصّص بعضها الآخر مقاطع وفصولًا عن هذا الفكر، بلغ عددها جميعًا ثلاثة عشر كتابًا.

وقد اتخذت هذه المؤلفات اتجاهين في الكتابة، مضى أحدهما لكي ينقد ويفنّد المعطيات الاستشراقية: ( دراسة في السيرة، ابن خلدون إسلاميًا، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دراسة مقارنة في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتجمري وات، مدخل إلى التاريخ الإسلامي ). ومضى الآخر يتبنى ويحلّل الجوانب الموضوعية المضيئة من تلك المعطيات:

( قالوا عن الإسلام، الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، أصول تشكيل العقل المسلم، نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي، القرآن الكريم من منظور غربي، الفن والعقيدة ).

في البداية كنت أميل – بسبب من قراءاتي الأولى – إلى اعتبار الموروث الاستشراقي بشكل عام سيئًا بما كان ينطوي عليه من تحامل على الإسلام، مكشوف حينًا ومغطى

بخبث حينًا آخر، وهو الأمر الذي أعتقد أن الكثيرين يشاركونني فيه. بل إن عددًا غير قليل من الأوربيين أنفسهم، أدانوا رفاقهم بسبب من إلحاحهم في التحامل على الإسلام قرآنًا ونبيًّا وعقيدة وشريعة وحضارة وتاريخًا.

هذا هو أحد جانبي الصورة، وهنالك الجانب الآخر، فإن ما سبقت الإشارة إليه لم يمنعني من مواصلة المشوار في الموروث الاستشراقي لمتابعة أكبر قدر ممكن من مفاصله ومعطياته؛ حيث تبينّ لي أن هناك، إلى جانب شواهد السوء والكذب، شواهد أخرى من الموضوعية والصدق مكنتني من أن أبني من مادتها المتألقّة العديد من المؤلفات المشار إليها، مردّدًا مع نفسي: ها قد تحقّق التعامل العادل مع الموروث الاستشراقي، وتم تناول الصورة بوجهيها الأسود الكالح والأبيض المشع. فالمؤرخ ليس شاعرًا يكتفي بالمديح أو الهجاء، ولكنه باحث عدل يتوخى الوصول إلى الحقيقة بأكبر قدر من الموضوعية، ملتزمًا مغزى الآية الكريمة التي تنطوي على منهج عمل في الفكر والحياة: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [ المائدة: ٨ ].

○ **من هو الأهل في صناعة التاريخ؟**

* الإنسان بطبيعة الحال... الإنسان الذي استخلفه اللّٰه سبحانه على هذا العالم، وحمّله أمانة إعماره وتحقيق قيم الحق والعدل في مسرحه الكبير.

ونحن، انطلاقًا من التصوّر الإسلامي لحركة التاريخ، نرفض أن نخضع الإنسان، والصيرورة التاريخية بالتالي، للحتميات الاقتصادية أو الطبقية أو الجغرافية؛ فالإنسان سيّد هذا العالم وصانع تاريخه، وهو ينفعل – بالتأكيد – بالضغوط المذكورة، ولكنه يملك القدرة – ابتداء – على مجابهتها والتفوّق عليها، والتحرّر من إسارها.

إن الدين في مفهومه العميق، هو منهج تحرير الإنسان، وتمكينه بالتالي من صياغة تاريخه. ونحن نتذكر هنا شعار الفاتحين يوم انطلقوا لإعادة صياغة العالَم: « اللّٰه ابتعثنا، لكي نخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة اللّٰه وحده »، ونتذكر الآية القرآنية التي تلخص هدف ( الدين ) بكلمات: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [ الأعراف: ١٥٧ ].

هذه هي زاوية الانطلاق التي تميّز التفسير الإسلامي للتاريخ عن غيره من التفاسير التي أخضعت أعناق الإنسان ومقدراته ومصائره للطاغوتيات والحتميات التي طالما سمّاها ( رجاء غارودي ) « بالصنميات ».

**○ كيف تقيّمون البحث العلمي والتاريخي عند العرب الآن؟ وهل يؤدي الباحثون ما عليهم من الأمانة التاريخية والعلمية؟**

* عبر العقود الأخيرة شهد البحث العلمي والتاريخي في الديار العربية والإسلامية، تقدمًا ملحوظًا بسبب تزايد النشاط الأكاديمي، واتساع دوائر الدراسات العليا التي أنتجت مئات الرسائل والأطروحات لدرجتي الماجستير والدكتوراه والتي اعتمدت ونفذت مطالب منهج البحث العلمي إلى حدّ كبير، وأخضعت لإشراف ومناقشة كانتا تدفعها إلى التزام الضوابط العلمية قدر الإمكان... هذا مع اعترافنا بوجود الكثير من حلقات الضعف في العديد من هذه الرسائل والأطروحات... ولكن الخط العام يوحي بتشكل مكتبة تاريخية غنية بمعطياتها الرصينة التي لم تكد تترك جانبًا من جوانب التاريخ إلّا وعرضته للدراسة، وأضاءت ما كان يحيطه من غبش وضباب.

**○ برأيكم هل ترون أن بإمكاننا النهوض من جديد؟ أم أن القطار سبق العرب والمسلمين وما عادوا يلحقون به إلى الأبد؟**

* ليس ثمة « إلى الأبد » في تاريخ البشرية، وإنما هي مداولة الأيام بين الأمم والشعوب والدول والحضارات، وقد قالها القرآن الكريم بوضوح: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [ آل عمران: ١٤٠ ]. وبالإحالة إلى هذه القاعدة القرآنية، تبدو كل النظريات الوضعية ضعيفة متهافتة، غير قابلة للاستمرار والبقاء... حكم البروليتاريا في ( المادية التاريخية ) التي خرجت من التاريخ، و ( نهاية التاريخ ) في منظور فوكوياما الأمريكي، الذي ما لبث بعد سنوات من صياغته للنظرية، أن عاد فعدّل فيها وبدّل. وكل من النظريتين قالت بأسطورة « إلى الأبد » هذه!

والقرآن الكريم يعرض المسألة من زوايا أخرى عديدة: التدافع الذي لا بدّ منه لتحريك التاريخ ومنعه من الفساد: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [ البقرة: ٢٥١ ]... والتغاير الذي جبلت البشرية عليه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [ هود: ١١٨، ١١٩ ].

ومعروف لدى فلاسفة التاريخ أن نشوء الحضارات مرتبط بشبكة الشروط التي شكلتها، وأن هذه الشروط إذا قُدِّر لها التحقّق مرة أخرى، فإنها كفيلة بتنفيذ عملية الانبعاث الحضاري.

ونحن كمسلمين ولحسن الحظ، نملك شروط التشكل الحضاري وتحققه، في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ... ولكن المشكلة أننا لا نملك القدرة على تفعيله منذ زمن انكسارنا الحضاري. فلو قدّر لنا أن نفعّل هذا الذي أكده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإننا سنضع وبكل تأكيد خطواتنا على الطريق الصحيح، ونواصل المسيرة التي تمكننا من اللحاق بالقطار... وهذا ما يؤكده عدد كبير من مفكري الغرب وفلاسفته ومؤرّخيه، وقد عالجت ذلك كله باستفاضة في كتابي ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) الذي صدر قبل أربع سنوات.

**○ بم تنصحون الشباب اليوم؟**

* القراءة... العودة إلى عشق الكتاب، والالتحام به، والتعامل معه بشغف كما كانت تفعل أجيال الأربعينيات وحتى السبعينيات... ودائمًا كنت أقول لطلابي بأن خمسين عامًا من الدراسة الجامعية، وخمسين عامًا أخرى من الجلوس أم شاشة التلفاز، لن تخرّج مفكرًا ولا كاتبًا ولا باحثًا ولا أديبًا ولا مبدعًا... فالذي يخرّج هؤلاء هو الكتاب.

النصيحة الأولى والثانية والثالثة هي ( الفعل ) الذي بدأ به كتاب الله: ( اقرأ )، فهو نقطة الانطلاق لتشكيل أجيال الشباب المثقف والقدير على الإبداع في مجالاته كافة.

**○ ما هي أهم مؤلفاتكم في مجال الدعوة الإسلامية؟**

* تنسج مؤلفاتي كلماتها في سياقات ثلاثة: الفكر، التاريخ، والأدب، وهي في سياقاتها الثلاثة هذه تنطلق من الرؤية الواحدة التي ترى في هذا الدين مشروعًا حضاريًّا أنيطت بالأمة الإسلامية أمانة حمله إلى ذات نفسها وإلى العالم، ومن ثم فإن جلُّ أعمالي تنطوي على خطاب دعوي يستهدف تأكيد هذه البؤرة المركزية للإسلام، فليس ثمة كتاب أكثر أهمية من الآخر، وإلّا ما أنفقت الوقت والجهد في إنجازه.

**○ في بحوثكم وكتاباتكم عن الموصل ( تراثيًا ) كثيرًا ما تدعون لإعادة الواجهة الحقيقية للموصل القديمة، وإعادة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه. وفي الوقت نفسه يوجد بعض دعاة الحداثة الذين يدْعُون لإزالة كل ما هو قديم... فماذا تقولون في ذلك؟**

* تحديث المدينة لا يتعارض مع حماية شخصيتها التراثية، فهنالك مجالات واسعة خارج الموصل القديمة يمكن أن تتلقى المعطيات المعمارية المستحدثة، أما قلب المدينة الغني بموجوداته التراثية: السكنية والتعبدية والخدمية، فتتحتم المحافظة عليه، باعتبار الموصل واحدة من أكثر المدن الإسلامية غنًى تراثيًا... وليس ثمة أمة في العالم تحترم نفسها، تسمح بإلغاء شخصيتها التراثية. فمن أجل الحفاظ على شجرة موغلة في القدم، أو بقايا سور عتيق، وجدنا كيف أن الشوارع المستحدثة في المدن الأوربية ينحرف بها المسار لحماية هذه الشواخص القادمة من زمن بعيد. ونحن - كعادتنا - نضرب في الأرض على غير هدًى، فنأتي على مساحات واسعة من نسيج الموصل التراثي لا لشيء إلّا لأن مؤسساتنا الرسمية تريد أن تختصر على نفسها الطريق... وهذا خطأ... والخطأ كما يقول الداهية الفرنسي العجوز ( تاليران ): « أكبر من الجريمة ».

تذكّر معي مدينتين تراثيتين كفاس المغربية وطرابلس اللبنانية، كيف تداعت مؤسسات العالم الكبرى على حماية شخصيتهما التراثية المشبعة بعبق التاريخ... وأنت عندما تتجول في شرايينهما تجد نفسك في قلب التاريخ، وتذكّر معي كيف أن استعادة النبض التاريخي ليس نكوصًا إلى الوراء، وإنما هو اعتزاز بالأصالة والفرادة والتميّز بين الأمم... ويقينًا فإن الآخر لن يكِنّ لك ذرة من الاحترام إن لم تعرف كيف تحترم نفسك وتحمي شخصيتك من الذوبان في الآخر.

**○ ما هي أهم المنعطفات التي مررت بها بشكل عام؟ وما هي أبرز الأحداث التي علقت بذاكرتكم؟**

* هذا سؤال ينطوي على صعوبة بالغة، فالإجابة عليه، حتى لو كانت انتقائية تتطلب عشرات الصفحات، فيما لا يحتمله لقاء كهذا. فكل واحد منا اجتاز عبر حياته منعطفات كثيرة وكثيرة جدًّا، وعلقت في ذاكرته أحداث معقدة، ومتشابكة. والمكان المناسب لهذا كلّه ليس حوارًا يقدّم لمجلة وإنما ( سيرة ذاتية ) تتحمل دفقًا من المنعطفات

والذكريات منذ لحظات تفتّح وعي الإنسان على الحياة، وحتى وهو يدلف إلى السبعين. ولعل هذا ينقلني إلى سؤال ألمحه في عينيك: ما هي مشاريعك في قادم الأيام؟ والجواب هو التفرغ لسنة أو سنتين لكتابة ( السيرة الذاتية )... فها هنا يمكن أن تجد نفسك قبالة شبكة من المنعطفات الاعتيادية والغرائبية والتي تنطوي على قدر كبير من ( المفارقة ) و ( المجازفة ) و ( المعاناة المبهظة ) و ( الخوف )، وربما الإفلات من الموت!

ومع ( السيرة الذاتية ) ثمة مشاريع شتّى تدعوني لإنجازها: ( آيات قرآنية تطل على العصر ) ( أحاديث نبوية تطل على العصر ) ( أخطاء في حياتنا الإسلامية ) ( من يوميات الأدب الإسلامي )... إلى آخره... قصاصاتها وخطوطها الفكرية أو الفنية معتقلة في أضابير خاصة وهي تنتظر تلبية النداء، وتمارس ضغطًا، أو فلنقل إغراءً يصعب تجاوزه.

هل بمقدورك جعل ساعات اليوم الواحد ثمانٍ وأربعين بدلًا من أربع وعشرين؟ لقد نذرنا أنفسنا للكتابة نحن معشر المؤلفين والكتاب، ولم يعد لقوة في الأرض أن تخرجنا من الدوّامة التي أبعدتنا حتى عن زوجاتنا وأبنائنا... إن الطموح كبير، والنداءات كثيرة، ولكن القدرات محدودة، وليس ثمة تكافؤ بين حدّي المعادلة على الإطلاق... وتلك هي مأساة المؤلفين والكتاب التي طالما تحدّث عنها ( توفيق الحكيم ) في ( سجن العمر )...

○ **هل حدث وأن ندمتم على شيء كتبتموه سابقًا؟ ولماذا؟**

* لقد قالها العماد الأصفهاني وربما الصاحب بن عباد فيما أذكر: إن أي مؤلِّف في العالم عندما يرجع إلى أعماله المرة تلو المرة فإن اللازمة التي تكرر نفسها هي يا ليتني زدت هنا وأنقصت هناك... فليس ثمة عمل متكامل على الإطلاق... وكل بني آدم يؤخذ منهم ويردّ عليهم إلّا رسول الله ﷺ... هل ينطوي هذا على شيء من الندم؟ ربما... ولكن وبشكل عام أجد نفسي سعيدًا وأنا أستعرض كتبي كافة، لا لشيء إلّا لأنها جميعًا، وبعونٍ من الله وحده، مُحّضت لهذا الدين... بل إنني أستطيع أن أذهب إلى أبعد من ذلك فأرى مغزى حياتي الوحيد وفرصة سعادتي الضائعة على مدى عشرات السنين، في نتاجي التأليفي على عواهنه ومناقصه... والحمد لله وحده.

**○ في خصوصيات الحياة، كيف على المبدع والمفكر أن يكون في يوميات حياته؟**

* ألّا يسترخي لحظة واحدة بانتظار مجيء لحظة الإلهام، فالكتابة التزام يومي وساعات مقتطعة من عمر الإنسان، وعليه أن يشمّر عن ساعد الجدّ فيلزم نفسه بالعمل خمس ساعات أو ست كل يوم، بغض النظر عن ( وضعه ) النفسي المحمّل في كثير من الأحيان، بالقلق، والتوتر والاكتئاب، وربما بالخوف من ألّا يكتب شيئًا ذا قيمة، وألّا يقدم في اليوم التالي إنجازًا مضافًا على ما قدّمه في اليوم السابق... إنها حالة قاسية تطال جميع الكتاب والمؤلفين... ولكن هل دفعهم هذا إلى الفرار والبحث عن لحظات الاسترخاء؟ أبدًا... فإنك لو قرأت السير الفكرية لجلّ المبدعين والكتاب في العالم على مداه، فإنك ستجد قاسمًا مشتركًا يجمعهم على التقليد الواحد: التفرّغ للكتابة كل يوم الساعات الطوال.

طبعًا... لا بدّ من إعطاء شيء من الوقت للمتعة... للاسترخاء... للأسرة وللحياة، ولكن هل تسمح ضغوط الكتابة وإغراءاتها بهذا؟ لطالما قالت لي زوجتي - التي كانت تقف دائمًا وراء استمراري على العمل - أننا لم نعش حياتنا كأسرة... وكنت دائمًا التزم الصمت إزاء تعليقها هذا... فكيف لي أن أعثر على الجواب؟!

سأقول لك شيئًا... عندما أجدني جالسًا في مكان بدون عمل، وتمرّ دقائق معدودات على جلوسي هذا، يبدأ منشار القلق يشتغل في أعصابي ممتزجًا بنوعٍ من الإحساس الخفي بتأنيب الضمير، وبأني أمارس ( تبذيرًا ) في الوقت ليس من حقي على الإطلاق، فأنهض قائمًا لكي أمضي إلى مكتبتي فأدوّن شيئًا ما، أو أتمّ نقصًا هنا وملاحظة هناك، وحينذاك فقط أحسّ بأني قد استعدت توازني النفسي الضائع.

أكثر من ذلك، فأنا عندما تحاصرني الهموم، وما أكثرها وأمرّها، وتقفل في وجهي منافذ الخروج، ألجأ إلى ( الكتابة ) فإذا بباب واسع ينفتح في الجدار المسدود، وإذا بي أتحرّر من ضغط الهموم وأحس حتى أعمق نقطة في وجودي بأن ليس ثمة ما يؤلمني على الإطلاق!!

**○ كلمة أخيرة...**

* ليس ثمة غير دعوة الشباب إلى توظيف الزمن... اعتصار ساعاته حتى الثمالة،

والالتزام اليومي الصارم بقضاء معظم ساعات اليوم في العمل والإنجاز... كلّ لما هو ميسّر له... فهذا التوظيف هو الذي يصنع الرجال الكبار الذين يملأون الساحات بإنجازهم، ويضعون بصماتهم على صفحات التاريخ.

أن نطلق الرصاص على الكسل والقعود... أن نلاحق التمطّي والتثاؤب... أن نحكم بالازدراء على كل الذين يقتلون ساعات الليل والنهار دونما أي عمل أو إنجاز.

لقد قالها رسول الله ﷺ: « **من تساوى يوماه فهو مغبون** » بمعنى أن على الإنسان كي لا يكون مغبونًا أن ينجز في اليوم التالي شيئًا مضافًا ومغايرًا لما أنجزه في اليوم السابق... تلك لمسة حضارية من لدن المعلم الكبير ( عليه أفضل الصلاة والسلام )، فبالعمل وحده يمكن أن نردم الهوّة بيننا وبين الغرب الذي ما تفوّق علينا إلّا بقدرته المدهشة على الإنجاز وتوظيف الزمن.

لو سألت كبار الأدباء والمفكرين والكتاب عن العامل الذي يكمن وراء إنجازاتهم المدهشة لقالوا لك: إنهم ألزموا أنفسهم بالكتابة خمس ساعات أو ست في اليوم الواحد... ما كانوا ينتظرون لحظة الإلهام لكي تتنزل عليهم عبر أزمان قد تقصر أو تطول، ولكنه الالتزام اليومي بالعمل... ولقد قالها كتاب الله في عشرات الآيات، وكان دائمًا يربط الإيمان بالعمل، فليس ثمة إيمان جاد بدون عمل أو إنجاز: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [ العصر: ١ - ٣ ]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [ الكهف: ١٠٧ ]، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [ التوبة: ١٠٥ ].

وأظنك تذكر معي كتاب الباحث الأمريكي المعاصر ( مايكل هارث ): ( المائة الأوائل ) الذي بذل في تأليفه جهدًا كبيرًا من أجل وضع اليد على أعظم مائة شخصية في التاريخ البشري، ثم مضى خطوة أخرى للتأشير على أعظمها على الإطلاق، فما كان منه إلّا أن يشير إلى ( محمد ) ﷺ... وكان معياره في الحالتين هو القدرة على الفعل والإنجاز.

لقد وردت كلمة ( العمل ) ومشتقاتها في كتاب الله فيما يقارب الثلاثمائة

والستين مرة، بمعنى أن على الإنسان المؤمن أن يواصل العمل على مدار السنة، وأن يلاحق الإنجاز يومًا بيوم وساعة بساعة... وبذلك وحده يمكننا أن نصحح المسار، وننطلق من البداية الصحيحة.

والقرآن الكريم يصف المؤمنين الجادين بأنهم ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ ﴾ [ آل عمران: ١١٤ ]، وأنهم ﴿ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [ المؤمنون: ٦١ ]، وفي المفردتين ثمة بُعد رياضي يختزل الزمن ويركض إلى الأهداف ركضًا... نحن أمة أريد لها منذ لحظات تشكلها الأولى أن تكون أمة من العدّائين... يركضون في المضمار حتى تتقطع أنفاسهم من أجل أن يصلوا خط النهاية قبل غيرهم، ويحصدوا ميداليات الذهب، ولكن الذي حدث في عصور الانكسار الحضاري أننا غفلنا عن هذا، وكان لا بدّ أن نتلقى العقاب، فكلمات اللّٰه لا تحابي ولا تجامل ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [ النساء: ١٢٣ ]... تلك هي القاعدة... ولقد صنعنا بأيدينا سوءًا كثيرًا، وكان لا بدّ أن نتلقى الجزاء.

## قالوا في الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل

اخترت أن ألتقط بعض الكلمات المعبرة عن مدى تأثير الدكتور عماد الدين خليل، في البعض ممن عاصروه أستاذًا أو زميلًا، رفيق درب أو مصدر إلهام وإبداع.

فجعلت في كل مجال من مجالات الحياة من يتحدث عن شخصية الدكتور عماد الدين وعن علمه وعن أثره ومكانته بين أبناء مدينته، طلبة علم ودارسين، مثقفين وعامة. وهذه بعض من تلك الكلمات.

**الدكتور ذنون الطائي ( مدير مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل ):**

الدكتور عماد الدين خليل، مفكر إسلامي وعالم موسوعي في مجالات التاريخ والحضارة العربية والإسلامية والفكر، وله إسهامات ثرة ومتعددة في إنتاجه المعرفي؛ فلقد كتب في التاريخ العربي والإسلامي والأدب الإسلامي، وله كذلك إسهامات على صعيد الكتابة الأدبية، فله عدد من الكتابات المسرحية والقصصية والروائية وكذلك له في الشعر حضور.

وهو مؤرخ وباحث ومحقق في التاريخ والتراث، وله إسهامات فكرية جادة من خلال المقالات والبحوث العلمية.

له رؤية العالم والأديب والمفكر والداعية الإسلامي، وهو منفتح ذهنيًا على المناهج العلمية والعالمية، وليس منغلقًا؛ حيث إنه يتعامل معها بقلب مفتوح وفكر نير.

**نور الدين سعيد ( داعية وباحث إسلامي ):**

الدكتور عماد الدين خليل، رجل متعدد المواهب، ونعده فيلسوفًا في الحضارة والتاريخ والاجتماع والأدب، وله تصورات حول الفن والفن الإسلامي، وكتاباته متميزة في الأدب ( القصة، المسرح، النقد الأدبي ). هذا غير الكتابة في نواحي الفكر والتاريخ وغيرها.

وهو غني عن التعريف به وخاصة في الدول العربية والإسلامية؛ حيث يعرفه العرب والمسلمون أكثر مما يعرفه العراقيون، حيث إنه لم يأخذ حقه وحظه عبر المؤسسات الإعلامية والبحثية العراقية.

ولقد كُتب عنه الكثير، وحُضِّرت دراسات في الماجستير والدكتوراه عن شخصيته وكتاباته وفكره وقدرته على التحليل التاريخي والحضاري.

وأختم كلامي عنه ( إنه أحد الرموز العربية والإسلامية والعالمية التي يُحتذى بها ).

**الإعلامي ورائد التصوير الفوتوغرافي: نور الدين حسين:**

ماذا عساني أن أقول عن شخصية الدكتور عماد الدين خليل، وماذا عساها الكلمات لتعبر عن عقود من الزمن جمعت بيني وبين الدكتور عماد الدين خليل. ولكن إذا كان لا بد من الحديث عن الإنسان، العالم الموسوعي، الدكتور عماد الدين خليل، فأقول:

عرفته منذ أن كان مسؤولًا عن مكتبة آثار نينوى قبل عقود مضت، وعرفت عنه شغفه الكبير بالكتب والبحث في آثار مدينته الحبيبة إلى قلبه.

هو رجل يتمتع بهدية من لدن الله تعالى ألا وهي شخصية مغناطيسية، تجذب إليها القاصي والداني، فتراه يدخل القلوب من الوهلة الأولى. وكذلك يتميز بأنه يحمل صفات الأصالة والحيوية والمثابرة في زمن انحسر فيه الأوفياء والمحبون والمخلصون الصادقون للبلد والدين.

ولا أراني أبالغ إن قلت: إنه إنسان مجدّ مخلص في أدائه العلمي والإنساني بشكل عام، تجد فيه صفات الموصلي الأصيل الذي خرج من عبق وإرث الموصل الحضاري الذي تفخر الموصل بأنها تحتفظ بالكم الكبير منه على مر الزمن، فالموصل تبقى شامخة بأبنائها من أدباء وعلماء ومفكرين سطروا أسماءهم على جدرانها العتيقة ومعالمها الحضارية، فتراهم بصمة تبقى للأبد، شوامخ كشموخ المنارة الحدباء في سماء الموصل، التي طالما أحبتهم وأحبوها.

وختام حديثي، أرى أن هكذا رجل قلّ أن يلد الزمان من مثله إلا بين العقود والعقود، ومن حسن التقدير الإلهي أن قدر لنا اللّٰه تعالى اللقاء به والتعرف إليه عن قرب وعلى فترة ليست بالقصيرة من العمر.

**د. عامر عبد اللّٰه الجميلي ( كلية الآثار، جامعة الموصل ):**

عرفت الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في العام ( ١٩٩٨م )، حينها كان يشرف على بحث التخرج الذي تقدمت به عن ( عمائر الموصل الخدمية في العصر العباسي )، كما كنت محظوظًا قبلها؛ حيث كنت ممن وقع اختياره عليهم في المادة الاختيارية وهي ( الببلوغرافيا الإسلامية )، التي تُعنى بأمهات المصادر والمراجع التي عالجت وتناولت التاريخ الإسلامي من قِبَل كُتّاب ومؤرخين عرب ومسلمين ومستشرقين، وكانت تلك أفضل فرصة لي بتوسيع أفقي ومعلوماتي من خلال ما كان يضخه علينا بكرم وغزارة من معلومات تنم عن سعة علمه وبأسلوب العالم المتواضع الذي يعطي من دون مَنٍّ ولا أَذَى، حتى مع البسطاء من الطلبة. وكنا نذهل وننبهر من موسوعيته وهو يتحدث إلينا عن التاريخ الإسلامي فكنا وكأن على رؤوسنا الطير، نحاول أن لا يرتد لنا طرف أو ينبس أحدنا ببنت شفة لئلا نقطع استرسال أفكار هذا العالم الجليل في مشهد يذكرنا بحلق الدرس في التاريخ الإسلامي التي كان يتحلق فيها الطلبة حول شيخهم من دون أن ينبُسوا ببنت شفة.

ومما عرفت عن الدكتور عماد الدين خليل، موسوعيته في تناول الفكر فهو في الوقت الذي يكتب فيه عن التاريخ الإسلامي ويبدع فيه نجده حاضرًا في مجالي الأدب والفن كذلك.

وكان مسك ما ختمه من رؤى، أنه مُؤخَّرًا أعلن في مؤتمر كلية الآداب العلمي السنوي السادس، والذي كان محوره ( الاستشراق )، أنه أعاد الاعتبار لجانب من الموروث الاستشراقي؛ إذ ليس كل مقاصد المستشرقين هي الطعن في الإسلام والتاريخ الإسلامي، إنما كان للبعض منهم اليد البيضاء في الكشف عن الصورة المشرقة للإسلام والحضارة الإسلامية، وكذلك كان للبعض منهم الدور الرائد في نشر المئات من المخطوطات العربية وتقديمها للقارئ في حلّة قشيبة وأنيقة ومنهج علمي يرصن تلك المؤلفات التي تعد من كنوز الإسلام التي ظلت حبيسة الخزانات والمكتبات الخاصة لمئات السنين، وبموقفه هذا أكد على الجانب الوسطي في الإسلام الذي لا يغلو ولا يفرط في الوقت ذاته في الحكم على من يختلف معنا في العقيدة، ولكنه يشترك معنا في قيم ومعايير الإنسانية.

وختامًا حسبي شرفًا وتيهًا على الزمان وأهله، أن خصني الأستاذ الدكتور بخط وتصميم أشهر كتبه، فقمت بتصميم نحو ( ٤٥ ) عنوانًا من مؤلفات الدكتور عماد الدين، في فترة أسبوعين، وقد لاقت استحسان الأستاذ الدكتور عماد الدين وذلك من خلال رسالة أرسلها لي من إمارة الشارقة بتاريخ ( ١٣/ ١/ ٢٠٠١م )، وذلك حين كان أستاذًا في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي.

### الداعية الإسلامي والمربي الفاضل: الأستاذ غانم حمودات:

الذي أعرفه عن الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، أنه نشأ وتربى في عائلة محافظة مستمسكة بالدين فاعلة للخير، وقد كان منذ صباه على صلة بالدعوة إلى الله، وكان بعد ذلك ذا اهتمام طيب بالتاريخ وبخاصة التاريخ الإسلامي، ولقد كانت سمعته طيبة بين الناس، مذكورًا بالخير والصلاح، وما أتذكر أن أحدًا ذكره بغير الخُلق العالي والتصرف الطيّب، وإني كنت أتمنى أن يشغل عمادة كلية العلوم الإسلامية، وذلك لما أتوسمه فيه من خير وغيرة على الإسلام وكذلك حسن إدارة وتدبير وتصريف للأمور.

وإني أعتبره من علماء التاريخ الإسلامي ذوي الإنتاج الغزير في التأليف والبحث، وقد أصاب الأستاذُ أنور الجندي رحمه الله عندما أشاد به وذلك في إحدى المجلات الإسلامية وأظنها مجلة حضارة الإسلام الدمشقية.

وختامًا فأنا أدعو له بالبركة في العمر والتوفيق لما يحبه اللّه تعالى ويرضاه.

**الأستاذ نذير العزاوي ( كلية الفنون الجميلة، جامعة الموصل ):**

ما زلت حتى هذه اللحظة أشعر بذلك الحرج الذي شعرت به عندما كنت في سبيل دراساتي العليا في بغداد، وعندما سألني طالب الدكتوراه ( علي الصومالي ) عن الدكتور عماد الدين خليل، حالما عرف أنني من مدينة الموصل. دهشت من فرحته العارمة في تلك اللحظة، فأردف فرحًا.

( بلد الدكتور عماد الدين خليل )؟!

ودخل في صمتٍ يشوبه استغراب، عندما علم بأنني لا أعرف الدكتور عماد الدين! فسألني عن مجال تخصصي، ولما أجبته أنني أهوى المسرح وهو محط اهتمامي ودراستي. أخذ يعاتبني قائلًا: عجبًا لك أتهوى المسرح ولا تعرف الكاتب المسرحي الجاد ( د. عماد الدين ) وهو ابن مدينتك؟ سأجلب لك مجموعة مسرحيات له من كتاب الجوع والكلمة.

زاد خجلي وحرجي وحرت بأي كلمات أجيب ذلك الأخ الصومالي الذي يكاد يجمع كل مؤلفات الدكتور عماد الدين خليل ويقرؤها بنَهَم، وأنا أقرب منه للدكتور عماد الدين، فهو ابن مدينتي، ولست أعرف عنه شيئًا البتة.

فرحت أصغي للأخ الصومالي وهو يتحدث عن هذا الداعية الإسلامي ودهشت من كثرة أبواب الأدب التي تطرق لها هذا الرجل، وبدأت أحبه منذ تلك اللحظة من غير أن أراه أو أتعرف إليه، وصار كل هاجس بداخلي يجري ويحركني للتعرف إلى هذا الأديب والفنان الموصلي.

وكان اللقاء الأول بتوفيق وتقدير من اللّه تعالى وذلك في مركز الدراسات التركية في جامعة الموصل في ندوة كنت أوثقها فيديويًا، وعند الظهر قمت بالأذان للصلاة، وصلّى هو بنا إمامًا، والفرح يكاد يغمر كل مشاعري وهواجسي كيف لا وأنا أقف خلف هذا الداعية الإسلامي. وبعد انتهاء الصلاة، أشار نحوي وهو يهمس في أذن الدكتور أحمد الحسو ( مدير مركز الدراسات التركية ) آنذاك. وما زلت أريد أن أعرف بماذا همس الدكتور عماد الدين « عني ».

وكان اللقاء الثاني من أسعد اللقاءات؛ حيث كنت قد أخرجت عملًا للمؤلف محمد حازم بعنوان ( نينوي من يونس ﷺ حتى خاتم الأنبياء محمد ﷺ )، وكان عملًا استعراضيًا، وكان من ضمن الحضور الدكتور عماد الدين، حيث شد على يدي مهنئًا ومباركًا ذلك العمل الذي وصفه بأنه عمل بديع، فكانت أجمل وأعز تهنئة على قلبي في ذلك اليوم.

وتكررت اللقاءات بيننا وزادت أواصر المحبة عندما كلفني مركز دراسات الموصل أن أقف خلف الكاميرا لتوثيق سيرة الدكتور عماد الدين خليل، وكان ذلك اليوم من أسعد الأيام في حياتي، وهو اليوم الذي قضيته استمع لسيرته منه شخصيًا.

والأجمل من جميع ما ذكرته هو قيامي بدور الملك الصالح في مسرحية المغول، والتي كتبها الدكتور عماد الدين وأنتجها الأستاذ نور الدين سعيد، وشاركني التمثيل فيها مجموعة من خيرة ممثلي الموصل آنذاك؛ حيث شغلت هذه المسرحية جميع أوساط المجتمع الموصلي لفترة من الزمن.

وماذا عساني أن أذكر عن هذا الرجل الذي من حقه علينا أن نكتب عنه ونكتب حتى تجف أقلامنا، فالحديث عنه لا يمل، ويا تُرى إن تحدثنا في حقه أو كتبنا عنه، هل نعطيه من حقه علينا شيئًا؟

**خاتمة الحوار:**

وبعد. فأي بَعْدٍ، بعدَ ذلك؟

أبعد كل ذلك شيء يمكننا قوله في حق هذا الرجل؟

أبعد كل ذلك باب لم نطرقه للدخول إلى حياة وفكر المفكر الكبير والأستاذ والباحث والأديب الكبير؟

ماذا يمكننا قوله لكي نحيط بشخصيته الفريدة؟

بل ماذا يمكننا تجاهه حتى نوفي إليه شيئًا من حقه علينا؟

بعد أن دخلنا في دقائق شخصيته، وعرفنا خط سير حياته، منذ الطفولة وحتى اليوم.

وطرقنا أبواب نجاحاته وتميزه، وقلّبنا أوراق بعض من مؤلفاته، ودخلنا مكتبه وشاهدنا بعض الجوائز والهدايا والشهادات التقديرية وغيرها، وأيضًا وقفنا أمام كتبه ومصادره وأوراقه ومدوناته اليومية، وغير ذلك من نواحي المعايشة التي تشرفنا بها عبر ساعات في ضيافة هذا المفكر الإسلامي الكبير.

إنه الأستاذ الإنسان، المفكر الإنسان، الباحث الإنسان، والأديب الإنسان.

نقول ذلك ولسنا نبالغ؛ لأن إنسانيته تبدو جلية من خلال كتاباته، وتكون أكثر جلاءً من خلال الحديث معه، ذلك إن تسنى لك أخي القارئ الجلوس إليه والحديث معه.

لذا أرى ساعات من حياتي قضيتها معه في سبيل إعداد هذا الموضوع الشيق لهي من ساعات العمر التي لا تتكرر.

أتمنى من لب قلبي وكل مشاعري أن أكون قد أعطيت لهذا المفكر شيئًا مما يستحقه، لِمَ لا وهو الإنسان المفكر، المؤرخ، والمبدع، الذي يستحق منا كل مديح؛ لأنه أهل له وبلا مبالغات أدبية أو مجاملات اجتماعية أو ما سواها.

وأقول في ختام هذا الموضوع لجميع القرّاء:

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

* * *

# اللقاء الثالث والخمسون (*)

**○ يا حبذا لو أعطيت نبذة موجزة عن مسيرة حياتك العلمية؟**

* باختصار شديد: ولدت عام ( ١٩٤١م )، وأكملت دراستي الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدينة الموصل، ثم انتقلت إلى بغداد لإكمال دراستي الجامعية ( البكالوريوس ) في قسم التاريخ بكلية تربية جامعة بغداد ( ١٩٦٢م ). وفي السنة نفسها تم قبولي في الدراسات العليا في كلية الآداب بالجامعة نفسها، دون أن التحق بأي عمل وظيفي، وعندما تخرجت وحصلت على الماجستير، عام ( ١٨٦٥م ) رجعت إلى مدينتي حيث عُيّنت في جامعة الموصل... وبعد أشهر معدودات ارتبطت بدراسة الدكتوراه في جامعة عين شمس في القاهرة؛ حيث حصلت على شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى عام ( ١٩٦٨م ) ثم عدت لكي أعمل تدريسيًّا في جامعة الموصل حتى عام ( ١٩٧٧م ) حيث نقلت وظيفيًّا إلى متحف الموصل الحضاري، لكي أعمل فيه رئيسًا لقسم التراث على مدى عشر سنوات عدت بعدها إلى العمل الجامعي حيث التحقت بكلية آداب جامعة صلاح الدين في أربيل ثم تحوّلت بعد أربع سنوات إلى جامعة الموصل لأواصل العمل الجامعي إلى فترة قريبة حيث أحلت على التقاعد بسبب بلوغي السبعين... أما الآن فأنا مرتبط بكلية آداب جامعة الموصل بصفة أستاذ متمرّس لأداء بعض المهمات في الدراسات العليا.

**○ إذا سألتك كيف صنعت من شخصك الغني عن التعريف هذا الذي نراه قبالتنا، وكيف اكتسبت ثقافتك التاريخية؟**

* إذا أردتم الحقيقة فإن الذي يعطي الثقافة الحقيقية للإنسان ليست الجامعة، ولا المقرّر الجامعي الذي لا يكاد يعطيه شيئًا... إن الذي يخرج الكاتب والباحث والمفكر والأديب والمبدع هو ( الكتاب )... ما نسميه بالمطالعة الخارجية... القراءة بنهم، تلك التي تمزج الليل بالنهار، وتتعامل مع الكتاب برؤية نقدية: تناقش،

---

(*) أجرى الحوار في الموصل وفد من مجلة ( شه يدا ) التي تصدر في دهوك، ونشر في عددها ( ٤٦ ) الصادر في أيار ( ٢٠١١م ).

وتعترض، وتدهش، وتسجّل الملاحظات... وليست القراءة الاستهلاكية التي لا تكاد تترك أثرًا في عقل القارئ... إن قراءة كتاب خمس مرات - كما يقول العقاد - خير من قراءة خمسة كتب!!

**○ الواضح على أسلوبك في الكتابة أنه يمزج التاريخ بالأدب الجميل، ما الغاية من ذلك؟**

* كل ما في الأمر هو عملية التوصيل، فالكتابة خطاب موجه إلى طرف آخر هو المتلقي، ولا بدّ أن يجد هذا الأخير نفسه أمام أسلوب مغرٍ في المتابعة، ينطوي على لغة مشرقة، ولكنها ليست على حساب العلمية أبدًا، وحينذاك تأتي اللغة لكي تعزز قضية توصيل الأفكار إلى الطرف الآخر بأكبر قدر من الإغراء.

ونحن نلحظ عبر مناقشاتنا لرسائل الماجستير والدكتوراه ذلك الأسلوب الذي يعاني من الكساح التعبيري المنفّر، والذي يرغم المرء بعد قراءة صفحات من العمل أن يشعر بالدوار!! ولطالما نبهت هؤلاء الطلبة إلى ضرورة احترام المطالب اللغوية إذا أرادوا لأعمالهم أن تكسب القرّاء.

**○ وما الدافع الذي جعلك تهتم بالتاريخ بشكل خاصّ، دون غيره من الاختصاصات العلمية؟**

* كنت في حقيقة الأمر محتارًا لدى توجهي لكلية التربية للحصول على البكالوريوس بين الذهاب إلى قسم اللغة العربية بسبب عشقي للأدب وبين الانتماء لقسم التاريخ، وأخيرًا اخترت الثانية؛ لأنني أعشق التاريخ عشقي للأدب، وظللت على ذلك؛ حيث تحركت أعمالي التأليفية في الاتجاهين معًا.

**○ وهل ثمة علاقة حميمة بين الأدب والتاريخ؟**

* كنت، قبل عشرين عامًا، قد ألقيت محاضرة بهذا العنوان، وأشّرت على عشرة سياقات يرتبط فيها الأدب بالتاريخ ارتباطًا حميمًا، ولعلّها تجد الفرصة للنشر قريبًا... والمهم أن اللغة والأداء اللغوي يدخل في صلب الأعمال التاريخية، كما أن التاريخ يدخل في صلب العمل الأدبي في الأعمال الروائية والمسرحية التي تبنى على الوقائع التاريخية، من مثل ما فعلته في مسرحيتي التي تحمل عنوان ( المغول ) والتي تعالج -

درامِيًّا - مقاومة الموصل للغزو المغولي وذبحها على أيديهم. إنه عمل يستمد وقائعه من التاريخ نفسه، ويمضي بتقنياته الدرامية لملء الفجوات الضرورية التي لا يسعفنا بها المؤرخ...

**○ كيف تنظر إلى مستقبل جامعات العراق - بشكل عام - من حيث المستوى العلمي؟**

* للأسف الشديد يبدو أن جامعات العراق منذ ما يقارب الربع قرن لا تبشر بالخير، على كثرة ما يفتتح من جامعات في ديارنا العراقية. فهي تخرّج كمًّا ولا تخرّج نوعًا... تخرج أنصاف أميين وأنصاف مثقفين وأرباعهم، والسبب الأساسي في انهيار العمل التعليمي عندنا، أن الطالب منذ ربع القرن ولحدّ الآن، لم يعد يقرأ كُتبًا خارجية، فالمطالعة الخارجية انعدمت في قواميسهم اليومية... فتراهم يلتصقون بالمقرر الجامعي، وينجحون فيه، دون أن يكون أحدهم قد قرأ كتابًا واحدًا في السنة؛ ولهذا يتخرجون وهم أشباه أميين. وما لم ترجع الجامعات لتأكيد فكرة المطالعة الخارجية، وعشق الكتاب، كما كان الحال في أربعينيات وخمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضي فلن تقوم للتعليم الجامعي، بل للتعليم الثانوي قائمة... ذلك أن الذي يخرّج الباحث والكاتب والأديب والمفكر والمبدع هو الكتاب.

**○ هل لك اطلاع على الواقع التعليمي في الجامعات الكردستانية بعد عام ( ٢٠٠٣م )؟ وهل لك زيارات لهذه الجامعات؟**

* لا... لم يتح لي أن أذهب إلى أي جامعة كردية بعد احتلال العراق عام ( ٢٠٠٣م ) وبالتالي لا أستطيع أن أحكم على الوضع فيها. وإنما هناك قضية اللغة العربية التي يجب رد الاعتبار إليها باعتبارها وسيلة تواصل ضرورية جدًّا بين الكرد والعرب؛ لأنها تحقق مصلحة الطرفين معًا. ولكن يمكن القول أني تعاملت مع جامعاتكم قبل عام ( ٢٠٠٣م )، وبالتحديد في كلية آداب جامعة صلاح الدين؛ حيث عملت هناك على مدى أربع سنوات ( ١٩٨٧ - ٢٠٠٢م )، وكنت أجد نمطين من الطلبة - كما هو الحال في الجامعات العراقية الأخرى - طلبة متفوقين يعدون بمستقبل زاهر، ونمط خامل منطفئ لا يعد بشيء؛ لأنهم لا يقرؤون.

**○ فما هي نصيحتك لطلبتنا الجامعيين في الوقت الحاضر؟**

* أنصحهم، كما سبق وأن أشرت، بأن يرموا بثقلهم باتجاه التهام الكتب التي تصدر الآن... سيل هائل من الكتب المؤلفة والمترجمة، ونحن علينا أن نلاحق الزمن وأن نقرأ ما وسعنا الجهد، وأن تغدو المطالعة الخارجية خبزنا اليومي، كما كان الحال في الماضي، من أجل أن ننمي ثقافتنا وقدراتنا العلمية.

**○ لقد تحدثت عن قراءة الكتب وأكدت على المطالعة الخارجية؛ فكملاحظة نحن في الاتحاد الإسلامي الكردستاني، وفي منظمة التنمية لطلبة كردستان، أسسنا مؤسسة خاصة بترجمة الكتب الإسلامية والمكتوبة باللغة العربية إلى اللغة الكردية، فماذا تقول بشأن هذا العمل؟**

* هذا المشروع يعد ضرورة من الضرورات القصوى في مجال الحركة الثقافية في منطقة كردستان، ولا بدّ من المضيّ بها قدمًا لتحويل ونقل التراث الإسلامي الفكري إلى اللغة الكردية لتوصيله إلى الإخوة الكرد. وهذا يذكر ( بدار التفسير ) التي تنشر وتترجم كتبًا ونتاجات فكرية عديدة باللغتين العربية والكردية في أربيل، والتي يشرف عليها ( الأخ مخلص )، وقد قامت بترجمة ( في ظلال القرآن ) للشهيد سيد قطب وأعمال أخرى كثيرة فقدمت بذلك خدمة كبيرة للعقل الكردي في مجال الفكر الإسلامي... وهذا عمل، مع مشروعكم، يعد ولا ريب خطوة مباركة من أجل توصيل الخطاب الإسلامي إلى العقل الكردي، ومن أجل إعادة الارتباط بين الطرفين.

**○ وكيف تنظر لمستقبل طلبة قسم التاريخ باعتباره اختصاصك، ولقد سمعنا منك في مناسبات عديدة أنك تدعو الطلبة المتفوقين، والذين يحصلون على درجات عالية في البكالوريا أن يتوجهوا إلى هذا القسم، بدلًا من الأقسام الأخرى؟!**

* قسم التاريخ في ديار الغرب من الأقسام المرغوبة والمتفوقة، والذين يتخرجون من هذه الأقسام يذهبون كي يتولوا مناصب ومفاصل حساسة في دولهم. ولكن للأسف الشديد فإن الآية انعكست عندنا، فأصبح قسم التاريخ من الأقسام المتخلفة، وكثير من طلبته يشعرون بالضعف وبالإحساس بالنقص تجاه طلبة الأقسام الأخرى العلمية والإنسانية... إنهم يحسون بالتضاؤل أمامهم... وكنت من جهتي أنفخ فيهم روح

الاعتزاز في هذا القسم الذي يعطيهم علمًا متكاملًا، والذي كان أجدادنا يسمونه ( أبو العلوم )؛ لأن الذي يقرأ التاريخ يقرأ كل العلوم والمعارف التي انطوت عليها حضاراته، وبالتالي يصبح خريج التاريخ مثقفًا وسياسيًا وقانونيًا من الطراز الأوّل. إن علينا أن نعيد ثقة طلبتنا بالقسم الذي انتموا إليه، ولكن للأسف الشديد، تبقى الأكثرية الساحقة وكأن لا قيمة لها، ومع ذلك، فقد يحدث وأن يبرز بين الحين والآخر في كل شعبة من شعب التاريخ، أربعة طلاب أو خمسة من المتفوقين الذين يعتزون بانتمائهم إلى هذا القسم؛ حيث إنهم ما جاءوا إليه للحصول فقط على الشهادة أو الوظيفة، وإنما عشقًا للتاريخ، ولهذا فهم يواصلون دراستهم العليا فيه، ويتفوقون... والأمل معقود عليهم - إن شاء اللّه - بملء الفراغ المخيف.

**○ برأيك، ما هو سبب انخفاض المستوى العلمي للطلبة في الجامعة؟**

* في السنوات الأخيرة بالنسبة لطلبة قسم التاريخ، فإن مستواهم العلمي انخفض إلى حدٍّ كبير؛ لأنهم أتوا إلى هذا القسم ليس عشقًا للتاريخ وإنما ملئًا للفراغ، أو رغبة في الحصول على البكالوريوس لعلها تعينهم على العمل الوظيفي. وكذلك أؤكد، وأكرر القول: لأنهم لا يقرؤون... فلهذين السببين نجد طلبة قسم التاريخ قد انطفؤوا إلى حدّ كبير، ولم يعودوا يتخرجون وهم يحملون بذرة الإبداع التي كان خريجو أقسام التاريخ في الخمسينيات وحتى السبعينيات من القرن الماضي؛ يحملونها... وتنسحب هذه الحالة على الأقسام والفروع العلمية الأخرى.

**○ وما هي أسباب الانفلات، وعدم الالتزام بالدوام بالشكل الصحيح من قبل الطلبة؟ هل السبب أمني أم أن هناك أسبابًا أخرى؟**

* عندما يفقد الإنسان الأمل في حصوله على موقع ما في الدولة، أو على وظيفة ما، يضمن الانخراط فيها لدى تخرّجه... يحاصره الإحساس بالإحباط، فليس ثمة من يكترث بهم، أو يسعى إلى تعيينهم، أو سدّ حاجتهم المعيشية ولو بحدودها الدنيا... وحينذاك يكون هذا التسيّب والانفلات من الدوام، والانضباط الجامعي، والإحساس الحادّ باللا أبالية.

**○ في الآونة الأخيرة، عبر الأحداث التي شهدتها مصر وتونس وتشهدها ليبيا واليمن، وحتى المدن العراقية، الملاحظ أن هذه المظاهرات أو ما يمكن تسميته بالثورة السلمية، قام بها شباب محبطون، فقدوا ريادتهم لقيادة المجتمع، ولكنهم أعادوا إلينا الثقة مرة أخرى بأسلوب حضاري سلمي واستطاعوا بثورتهم تلك أن يغيروا حكمًا استبداديًا تحكّم في رقاب الناس لعقود من الزمن، وأعلن الحرب على الشعب، ونشر الجهل والفقر والمرض والتخلّف في كل مكان بعد أن سرق أموال الأمة...**

**والسؤال هو كيف تقرأون وتقيّمون عمل هؤلاء الشباب، وكيف تنظر إلى هذه الظاهرة التي فاجأتنا بالفعل؟**

* المفاجأة هذه لها أسبابها من الكبت المدمّر للشباب ومستقبلهم ومطالبهم، هذا التراكم الذي انفجر على حين غفلة تجاه السلطات التي افترست حرية شعوبها ومرّغت كرامتها في التراب، وباعت مقدرات البلدان لأعداء الأمة... إن الضغط المتواصل يولد تراكمات لا بدّ وأن تنفجر يومًا، ولحسن الحظ فإن الشباب رفعوا رؤوسهم أخيرًا، وتحركوا بهذه الصيغة الجماعية لتحقيق المطلوب، ولقد حققوه فعلًا بمعونة الله سبحانه ...

**○ كيف تقيّمون أقلام الكُتّاب في المرحلة الراهنة؟ وبماذا تنصحونهم؟**

* للأسف الشديد فإننا إذا ما قارنا ما يقدمه الكُتّاب في المرحلة الراهنة بما قدموه قبل ثلاثين أو أربعين سنة، فلسوف نجد الفارق كبيرًا بين الأداءين، بين عصر كان يخرج عمالقة في الكتابة وعصر لا تكاد تلمح فيه أثرًا لهؤلاء، اللّهم إلا في حالات استثنائية... فلا بدّ إذن من إعمال الجهد بالقراءات الجادة والعمل المتواصل من أجل ردم هذه الفجوة بين الجيلين.

**○ لربما يكون هذا السؤال قبل الأخير... إنك تواصل معنا الكتابة لمجلة ( شيدا )... وشهريًا تصل إليك نسخة منها، فما هو تقييمك لهذه المجلة؟ وبماذا تنصحنا؟**

* أن تكتب معظم صفحات المجلة باللغة الكردية... هذا جيّد لإيصال الخطاب الإسلامي إلى العقل الكردي... والقسم العربي قد يحتاج إلى التوسيع بعض الشيء، ولكن ليس على حساب القسم الكردي.

هنالك أيضًا ضرورة تغيير تصاميم المجلة وأطروحاتها وأبوابها بين الحين والحين، من أجل التنويع على القراء وإغرائهم بمتابعة القراءة.

**○ سؤالنا الأخير هو أن تطلعنا على آخر مؤلفاتكم العلمية والأدبية...**

* آخر إصداراتي كتابان جديدان ( عن مركز الإعلام العربي في المغرب والدار العلمية في لبنان )؛ **أحدهما**: يحمل عنوان ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) **والآخر**: يحمل عنوان ( مدخل إلى التاريخ الإسلامي ). وكلاهما يسعيان من أجل إيجاد منهج جديد في التعامل مع الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، وفي إيصال ملامحهما الأساسية إلى عقل الطالب الجامعي بحيث إنه يتخرج وهو يشعر بالاعتزاز بحضارة الآباء والأجداد وتاريخهم... وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك... فهذان الكتابان يُعْتَمَدان للتدريس في أكثر من جامعة عربية وإسلامية في ماليزيا، ودبي، وعمّان، والموصل، وفرنسا. وذلك بتوفيق من اللَّه وحده.

هنالك أيضًا رواية ( السيف والكلمة ) التي توظف روائيًا واقعة الغزو المغولي لبغداد، وفق تقنيات حديثة. وقد صدرت عن مركز الإعلام العربي في المغرب والدار العلمية في لبنان.

* * *
* *
*

## السيرة الذاتية للمؤلف (٥)

**أ. د. عماد الدين خليل.**

- ولد الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في الموصل عام ( ١٩٤١م ).

- حصل على شهادة البكالوريوس ( الليسانس ) في الآداب بدرجة الشرف من قسم التاريخ بكلية التربية/ جامعة بغداد عام ( ١٩٦٢م ).

- حصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي بدرجة جيد جدًّا من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب/ جامعة بغداد عام ( ١٩٦٥م )، عن رسالته الموسومة ( عماد الدين زنكي: ٤٨٧ - ٥٤١هـ/ ١٠٩٤ - ١١٤٦م ).

- حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأولى من كلية آداب جامعة عين شمس في القاهرة عام ( ١٩٦٨م )، عن أطروحته الموسومة ( الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام: ( ٤٦٥ - ٨١٣هـ/ ١٠٧٢ - ١٤١٠م ).

- عمل مشرفًا على المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام ( ١٩٦٧م )، وكذلك عمل معيدًا، فمدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، في كلية آداب جامعة الموصل للأعوام ( ١٩٦٧ - ١٩٧٧م ).

- وأيضًا عمل باحثًا علميًّا ومديرًا لقسم التراث، ومديرًا لمكتبة المتحف الحضاري في ( المؤسسة العامة للآثار والتراث، المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل، للأعوام ١٩٧٧ - ١٩٨٧م ).

- حصل على الأستاذية عام ( ١٩٨٩م )، وعمل أستاذًا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية آداب جامعة صلاح الدين في أربيل للأعوام ( ١٩٨٧ - ١٩٩٢م )، ثم في كلية التربية جامعة الموصل ( ١٩٩٢ - ٢٠٠٠م )، فكلية الآداب جامعة الموصل حيث لا يزال يعمل هناك.

---

(٥) بعض ما ورد في هذه السيرة الذاتية مذكور في بعض اللقاءات، وقد أحببنا هنا أن نورد السيرة الذاتية مكتملة لزيادة الفائدة.

- شارك الأستاذ الدكتور في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية داخل العراق وخارجه في الوطن العربي وأوربا، وكذلك شارك في إنجاز عدد من الأعمال العلمية لبعض المؤسسات العربية والإسلامية، وحاضر في الجامعات والمؤسسات العربية والإسلامية والعالمية وشارك في صياغة مناهج التاريخ لعدد من الجامعات العربية والإسلامية، وله مشاركة أيضًا في عضوية اللجان الاستشارية لهيئات تحرير عدد من المجلات العلمية والفكرية المحكمة، وقد أنجز العديد من المواد العلمية في التاريخ والحضارة والفكر والأدب للموسوعات العربية والإسلامية.

- أشرف على العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه في التاريخ الإسلامي، وكُتب عن أعماله عدد من رسائل الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات العربية.

- وقد تُرجمت بعض مؤلفاته إلى عدد من اللغات وبخاصة الإنكليزية والفرنسية والتركية والفارسية والكردية والأندونيسية.

- أما بحوثه فقد نُشر العشرات منها في العديد من المجلات العلمية والأكاديمية المحكمة.

- وأيضًا نشر مئات المقالات والبحوث الثقافية والأعمال الأدبية ( دراسةً وتنظيرًا ونقدًا وإبداعًا ) فيما يقارب السبعين مجلة وصحيفة عربية وإسلامية.

- وقد قُيّم كتابه ( مدخل إلى الحضارة الإسلامية ) من قِبل مؤسسة أرامكس ميديا واحدًا من أفضل عشرة كتب في العالم لعام ( ٢٠٠٥م ).

- وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واختير عضوًا في مجلس جامعة صلاح الدين في أربيل العراق للأعوام ( ١٩٨٩ - ١٩٩١م )، ومجلس جامعة الموصل للأعوام ( ٢٠٠٣ - ٢٠٠٥م ) ممثلًا عن التدريسيين.

**كتب للمؤلف:**

**أ - الأعمال التاريخية:**

١ - ابن خلدون إسلاميًا ( ط٢ )، المكتب الإسلامي.

٢ – الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام: أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

٣ – تحليل للتاريخ الإسلامي: إطار عام ( ط١ )، دار الثقافة.

٤ – التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٥، دار العلم للملايين – بيروت.

٥ – حاضر المسلمين ومستقبلهم من منظور غربي ( ط١ )، دار النفائس – بيروت.

٦ – الحصار القاسي: ملامح مأساتنا في أفريقيا ( ط٣ )، مؤسسة الرسالة.

٧ – حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ( ط١ )، دار الثقافة – الدوحة.

٨ – دراسات تاريخية ( ط١ )، المكتب الإسلامي.

٩ – دراسة في السيرة ( ط١٧ )، مؤسسة الرسالة – دار النفائس.

١٠ – دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية الشريفة ( بالاشتراك مع المهندس حسن رزو )، ( ط١ )، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان.

١١ – عماد الدين زنكي ( ط٢ )، مؤسسة الرسالة.

١٢ – في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل ( ط١ )، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣ – مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية ( ط١ )، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.

١٤ – المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر: مونتغمري وات ( ط١ )، دار الثقافة.

١٥ – المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي: عصر ولاة السلاجقة في الموصل ( ط١ )، مكتبة المعارف – الرياض.

١٦ – ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ( ط٨ )، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٧ – المنظور التاريخي في فكر سيد قطب ( ط١ )، دار القلم – بيروت.

١٨ - نور الدين محمود: الرجل والتجربة ( ط٢ )، دار القلم - دمشق.

١٩ - الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين ( ط١ )، دار الفكر، دمشق.

**ب - الأعمال الفكرية:**

١ - الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

٢ - أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار ( ط٢ )، مؤسسة الرسالة.

٣ - آفاق قرآنية ( ط٢ )، دار العلم للملايين.

٤ - تهافت العلمانية ( ط٥ )، مؤسسة الرسالة.

٥ - حوار في المعمار الكوني ( ط١ )، دار الثقافة.

٦ - حول إعادة تشكيل العقل المسلم ( ط٥ )، كتاب الأمة - الدوحة.

٧ - رؤية إسلامية في قضايا معاصرة ( ط١ )، كتاب الأمة - الدوحة.

٨ - الرؤية الآن: في هموم فلسطين والعالم الإسلامي ( ط١ )، منشورات فلسطين المسلمة، لندن.

٩ - العلم في مواجهة المادية: قراءة في كتاب ( حدود العلم )، ( ط٣ )، مؤسسة الرسالة.

١٠ - في الرؤية الإسلامية ( ط١ )، دار الثقافة.

١١ - قالوا في الإسلام ( ط١ )، الندوة العالمية، الرياض.

١٢ - القرآن الكريم من منظور غربي ( ط١ )، دار الفرقان، عمان.

١٣ - كتابات إسلامية ( ط١ )، المكتب الإسلامي، مكتبة الحرمين.

١٤ - كتابات على بوابة القرن الخامس عشر ( بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم عويس )، ( ط٢ )، دار العلوم - الرياض.

١٥ - لعبة اليمين واليسار ( ط٥ )، مؤسسة الرسالة.

١٦ - مؤشرات إسلامية في زمن السرعة ( ط٢ )، مؤسسة الرسالة.

١٧ - متابعات في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة ( ط١ )، دار الحكمة، لندن.

١٨ – مدخل إلى إسلامية المعرفة ( ط٣ )، المعهد العالمي، فيرجينيا.

١٩ – مدخل إلى موقف القرآن من العلم الحديث ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

٢٠ – المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي ( ط١ )، دار الفرقان.

٢١ – مع القرآن في عالمه الرحيب ( ط٣ )، دار العلم للملايين.

٢٢ – مقال في العدل الاجتماعي ( ط٤ )، مؤسسة الرسالة.

**جـ - الأعمال الأدبية:**

١ – ابتهالات في زمن الغربة ( شعر )، ( ط١ )، دار الوفاء، المنصورة.

٢ – الإعصار والمئذنة ( رواية )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

٣ – جداول الحب واليقين ( شعر )، ( ط٢ )، مؤسسة الرسالة.

٤ – خمس مسرحيات إسلامية ( ذات فصل واحد )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

٥ – الرحيل إلى إسطنبول ( من أدب الرحلات )، ( ط١ )، دار حضرموت.

٦ – ريبورتاج ( حوار في الهموم الإسلامية )، ( ط١ )، دار الحكمة.

٧ – الشمس والدنس ( مسرحية ذات أربعة فصول )، ( ط٢ )، دار الاعتصام – القاهرة.

٨ – الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي ( دراسة )، ( ط٣ )، مؤسسة الرسالة.

٩ – العبور ( مسرحيات ذات فصل واحد )، ( ط١ )، دار المنارة – جدة.

١٠ – الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي ( نقد )، ( ط١ )، دار الضياء – عمان.

١١ – فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ( دراسة )، ( ط٢ )، مؤسسة الرسالة.

١٢ – في النقد الإسلامي المعاصر ( نقد )، ( ط٤ )، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٣ – في النقد التطبيقي ( نقد )، ( ط١ )، دار البشير – عمان.

١٤ – كلمة اللّه ( قصص )، ( ط١ )، دار حضرموت – المكلا.

١٥ - المأسورون ( مسرحية ذات أربعة فصول )، ( ط٢ )، دار الإرشاد - بيروت.

١٦ - الفن والعقيدة ( دراسة )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

١٧ - متابعات في دائرة الأدب الإسلامي ( نقد )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

١٨ - محاولات جديدة في النقد الإسلامي ( نقد )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

١٩ - مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ( دراسة )، ( ط٢ )، مؤسسة الرسالة.

٢٠ - معجزة في الضفة الغربية ( مسرحيات ذات فصل واحد )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

٢١ - المغول ( مسرحية ذات سبعة مشاهد )، ( ط١ )، مؤسسة الرسالة.

**رقم الإيداع**

٢٠١٤ / ٣٤٣٨

**الترقيم الدولي I.S.B.N**

978 - 977 - 717 - 151 - 9

## هذا الكتاب

هذه وجبة أخرى من اللقاءات الصحفية، بعد أن صدرت الوجبة الأولى عن دار الحكمة في لندن عام ( ٢٠٠٢م ) بعنوان: ( ريبورتاج: حوار في الهموم الإسلامية، والتي غطّت لقاءات الفترة بين ( ١٩٩١ - ٢٠٠٠م ).

فقد استجدّت بعدها جملة كبيرة من الحواريات التي امتدت إلى عام ( ٢٠١١م ). كما أنني عدت إلى أضابيري المكدّسة فاخترت منها مقابلات أجريت في الفترة بين ( ١٩٨٢ - ٢٠٠٢م )، مما ينشر في الكتاب الأوّل؛ لكي يتشكّل بمجموعها هذا الكتاب الذي يجده القارئ بين يديه.. لملء الفراغ الذي تعاني منه مكتبة الأدب الإسلامي، بخصوص أدب الحوار الذي يعكس جوانب مهمة من ( السير الذاتية ) للمتحدثين.

وكسابقتها، جرت هذه اللقاءات وفق صيغ شتّى، بعضها بالحوار المباشر، وبعضها الآخر بالمراسلة على البريد العادي أو الإلكتروني، وبعضها الثالث بالهاتف، وقد حرصتُ فيها على تحقيق قدر من التوازن في التغطية الجغرافية للمحاورين، ما بين إنجلترا وفرنسا وماليزيا وباكستان، والمغرب والجزائر ومصر، ولبنان والأردن وقطر والعراق.. إلخ، وعلى إلغاء التقديمات السخية لهم، والتي قد لا استحق عشر معشارها.. فمعذرة..

**Press Interviews on Issues of Islamic Thought and Life**
by Professor 'Imad ed-Din Khalil | Essays


**الناشر**

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (+٢٠٢)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (+٢٠٣)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com




